

Cornell Univ.

Enal dtd 1.11.07

كتاب

مشهد العيان

# بحوادث سوريا ولبنان

جامع حوادثه

الدكتور نحميل مشاقه

منشأه

ملحهم نحميل عبير

واندر اوس منا شخاسيرى

طبع بمصر سنة ١٩٠٨



٦

## مقدمة

### لنسى الكتاب

لما كانت العادة المتعارفة بين الفئة المنشئة واصحاب التأليف ان يصدر المؤلف كتابه بكلمة اجمالية كقدمة يظهر فيها الغاية التي من اجلها تحمل عناء الانشاء ومشقة التعبير ويبين للفئة المطالمة ما يتوخاه بكتابته من الفائدة لها والمنفعة العامة المحضة وان لا مطعم له غير الافادة وخدمة بني نوعه على الاطلاق واظهار الحقيقة بشوبها الناصع التي لا تمسها شائبة وان طال على ابرازها الامد

رأينا من الواجب الادبي ان نراعي العادة في هذا المقام ونحترم جانبها وعذرنا في انزالنا نفسنا منزلة لمؤلف هو كتابتنا الكتاب من بدايته الى نهايته لان عبارة المؤلف غير صحيحة وجملة الكتاب غير وافية للنشر وقد اضفنا الى حوادثه فذلكلة تاريخ لبنان التي لا شك تلاقي من المطالع عليها من سكان تلك البقعة المحبوبة اشتياقا وهدى

وهناك داع آخر وهو في اعتقادنا اهم واجدر يدعونا الى ارسال كلمة مقدمة لهذا الكتاب الجليل الذي توقعنا به صدفة وقادته اليه التقادير على غير انتظار نبسط للقارىء ماهية الكتاب ونحفظ لجامع حوادثه الفضل المتقدم فلا قرار بالفضل لمستحقه من اجل غاياتنا وتقدير رجاله قدرهم فرض مقدس علينا في كل حين واقرارنا للمؤلف بوضع حوادث الكتاب فقط لا يحيط من شأنه ولا ينقص من فضله كما يتضح لكل ذي بصيرة

اما الغاية التي دعتنا الى ابراز هذا التأليف بعد عثورنا عليه مبلتا الفطري الى خدمة الانسانية وبث الحقيقة متى ظهرت لنا فذلاً عن وثوقنا بعد مطالعته

ان في نشره فائدتين لا يحسن بقاؤهما علي الكتابان الاولى صدق حوادثه الماثلة  
التي يجهاها السواد الاعظم والتي من الواجب اذاعتها ونشرها علي رؤوس الاشهاد  
لثبوت وقائعها واعلامها . والفائدة الثانية تكون قد انقذنا غاية واطمئنان تلك الحوادث  
واعتبرنا جراته الادبية التي نسمي بحاجة الي تلبسها والاقتران بها فاعطينا فضل  
واحيينا ذكره

وحسبنا ما تقدم برهاناً على قولنا وشاهدًا وافيًا على تبرئة ساحتنا من تذييل  
الكتاب باسمنا اذ لو كانت عبارة المؤلف صالحة للنشر رأساً لا كتفينا من خدمة  
الحقيقة بنشره له ولنا . ولك والهدى من الله انه هو الهادي وهو صاحب  
الحق والانصاف





## تاريخ عائلة مشافة

وترجمة حياة بعض افرادها

اذا كان تكريم رجال الفضل واجباً وهم احياء فانه مقدس وهم اموات  
فالدكتور مخايل مشافة صاحب هذه الحوادث وجامعها قد صرف ابامه بين  
قومه كرجل عظيم من رجال هذا العصر دأبه بث الالفه ونشر الاصلاح وخدمة الانسانية  
ولما كان العدد القليل من الجالية السورية يعرفون سيرة حياته والعدد الاكبر لا  
خبرة ولا معرفة لهم بها اغتنمنا هذه الفرصة لندون في مقدمة الكتاب هذا الفصل  
احتراماً للفقيد الذي عاش عظيمًا ومات عظيمًا واجلاً لآلقامه السامي والذي نورده في  
هذا الباب هو غاية ما وصلت اليه معرفتنا والله وحده صاحب العصمة والحكمة

كان يوسف بركي يوناني المحدث يقطن مدينة كرفو من اتمال جزيرة كرفو  
بالارخبيل اليوناني وكانت كرفو تابعة للجمهورية البندقية . ولا نعرف عن هذا الرجل غير  
نزوحه من تلك الجزيرة وحلوله في مدينة طرابلس الشام حيث اتخذ التجارة صناعة له  
في ارض الفيحاء . وكانت تجارته محصورة في المشافة لذلك لقب بيوسف مشافة وهو اول  
من تلغى بهذا اللقب . وكان يوسف مشافة المذكور ذا وجهة ونشاط وتجارته كانت تعد  
عظيمة في ذلك العصر وكان يملك سفينة شراعية ينقل عليها صادرات وادي النيل  
واسا كل سوريا على الاجمال ووارداتها وكان يفضل الإقامة في مدينة طرابلس لما اختبره  
باسفاره المتتابة

فحلت قدمه في تلك المدينة حوالي اوائل القرن الثامن عشر للميلاد وظلت معاملته  
قائمة مع معامل المراكب في البندقية عاصمة ولاية مسقط رأسه  
وقد علق بفتاة من عائلة القلقاط من سكان قرية انفه وهي الآن اسكلة انقه وتبعد  
عن طرابلس الشام ساعتين ونصف ركوباً وهي قرية ساحلية . فقدم اليها باحدى سفراته  
وقد وقع نظره على نصيبه الاول فتزوج الفتاة ورزق منها ولداً دعاه جرجس ثم ادركه  
العجز وتوفي وتوفيت عقيقته قبله بمدة قصيرة

فعرم جرجس مشافة بعد وفاة والدته على الانتقال من مدينة طرابلس فباع ما  
خلفه له والده من العتار وقام معه مال وافر الى صيدا مركز الولاية وتعاطى بها تجارة



التبغ وكان يورد منه للقطر المصري كميات وافرة وبذلك تمكنت صلاته بمشايخ آل الصغير  
حكام بلاد بشاره والشقيف الشيعيين حيث كان يشتري منهم حاصلات اراضيهم  
الواسعة من التبغ

وقد اتخذ له شريكة من عائلة منسى من انفه مسقط رأس والدته بعد ان نزحت  
الى صيدا وعولت على البقاء فيها . وكانت هذه العائلة على مذهب الروم الكاثوليك  
فاعتبق جرجس هذا المذهب واظهر لرجالها بعد مدة ميله الشديد الى تعظيمه بتبرعاته  
العديدة . ومن جملة ما وهبه الى دير الرهبان قبة ومسلات رخام احضرها من اوربا وغير  
ذلك فضلاً عن انه اكمل بناء ذلك الدير على نفقته

ولم يكتف بما تقدم بل اوقف للدير المذكور قرية الوردية بجبل الديمان واربعة  
بيوت للسكن بمدينة صيدا وكانت مساعداته للاعمال الخيرية عموماً وللدير خصوصاً  
متابعة متلاحقة

وقد نقش على جانب الهيكل اسمه على هذه الصورة « لقد احب جمال نجدك جرجس  
مشافه عبدك »

فكافأه اولياء الدير بترتيب قداس يتلى عن نفسه يومياً الى ما شاء الله و باحتفال  
بعيد مار جرجس سنوياً . وكان ذلك سنة ١٧٥٧ هذه هي العلاقة الاولى المتصلة بين  
عائلة مشافة ودير الرهبان الى يومنا هذا

ثم اضطرته المصلحة ان يقوم من صيدا الى صور فانتقل اليها لتسهيل سبل تجارته  
مع مشايخ المتأولة الفاطنيين في جوارها والذين لهم من اغلالها النصيب الوافر مثل التبغ  
والحبوب والاشخاب ولم يكن وقتئذ في تلك البلدة مسيحياً غير جرجس مشافه وحاشيته  
وبانتقاله اليها تكاثرت عدد النصارى حتى ادت زبادتهم الى تشييد كنيسة . وكان جرجس  
المشار اليه هو البادى بتأسيس جدرانها فبنى الكنيسة على اسم القديس توما الرسول .  
وبعد ان اتم بناء الكنيسة رأى من الحكمة ان يجعل له مأثرة خارجة عن حدود مذهبه  
واذ لم يكن في صور جامع للمتاولة يؤدون فروضهم الدينية فيه عزم على ان يبنى لهذه الفئة  
جامعاً على نفقته لان اختلاف عقيدة المتأولة الشيعيين لا يجيز لهم ان يؤدوا فروضهم  
في جامع السنيين لذلك باشر بناء مسجد للشيعية على نفقته . فدرى بعمله والى صيدا فارسل  
واستقدمه ولما امثل امامه ساله الوالى عن عزمه بشأن بنيان المسجد فحقق له الخبر فصرفه  
وانعم عليه بفرو من جلد النمر وطلب منه ان يشركه معه في العمل الخيرى فاجابه الى ما



يريد وسمح له ببناء للأذنة وهكذا تم بناء المسجد على نفقته  
ثم أعاد بناء بيته في صور وبنى بيوتاً ومخلات عديدة في تلك المدينة وقد توفاه الله  
في صور وله من الأولاد إبراهيم وبشاره . وهذا الأخير هو جد عائلة مشافه القاطنة الآن  
بالاسكندرية ( مصر ) وهي مؤلفة من بشاره والياس وابناء يوسف بن بشاره  
وأولادهم

وقد مر بنا أن إبراهيم مشافه هو جد عائلة مشافه وهو جد مؤلف هذه الحوادث  
كان على جانب عظيم من الذكاء والوجاهة عند أحمد باشا الجزائر كما سنبذكره في حينه  
فاقطع له بلاد بشاره والشقيف فقام بمهنته خير قيام . وكان عاقلاً وله أعمال مبرورة قد  
حفظها له التاريخ وسوف نرد في الكلام عن الجزائر

أما قبل وفاته بأيام معدودة ارتاب به الجزائر فكاد يبطش بشيخوخته إلا أنه  
قضى نحبه مغموماً على نكبة أصدقائه آل السكروج الذين نكل بهم الجزائر وقتلهم  
وخلف من الأولاد بضعة منهم جرجس مشافه الثاني وهو بكره وقد توفي عن اثنين  
واربعين عاماً

وبعد وفاة إبراهيم مشافه أرسل الجزائر فاستحضر ابنه جرجس مشافه الثاني ولم يمهله  
أن يدفن والده . ولما وصل إلى عكا أمر بالحجز عليه أياماً طلب منه في خلالها مطالب  
جمة ومتهيلة ومازال الجزائر يعاوده الطلب يوماً بعد يوم حتى انقذ ثروته ولم يترك له من  
الأملاك والمتاع شيئاً ثم أطلق مراحه

وجرجس هذا كان أبوه قد تزوجه قبل وفاته بفتاة من عائلة عنخوري وهي كريمة  
حنا عنخوري جد حنا عنخوري أحد أعيان تجار دمشق الآن ثم وثى به بعض النصارى  
للجزائر فعاود الكرة عليه فأصبح لا يملك شروى تقير

وبعد أن أطلق مراحه أشار عليه أحد من أن يذهب إلى دير الرهبان لعل رجاله  
الآبرار يأخذون بيده ويمدونه بشيء من المال فعمل بموجب النصيحة وسار إلى الدير  
وبعد أن أطلعهم على حاله وكيف قبض الجزائر على ما يملكه أظهروا له كدرهم  
ودفعوا له خمسمائة غرش . فسألهم إذا كان والده قد أبقى له شيئاً عندهم فاجابوه بالسلب  
فعاد إلى بيته فترك لعائلته المال الذي أحضره معه من الدير إلا خمسين غرشاً أبقاها  
معه ليستعين بها على المسير إلى وادي النيل فقدم مدينة دمياط ميناء القطر المصري في  
ذلك العصر ونزل ضيفاً كريماً على أولاد عمه شقائقي عقيلتة وهم ميخائيل وروفايل



وبطرس عنخوري من كرام تجار دمياط وعمدها  
ولما قابلهم اوقفهم على حاله مع الجزار وطلب منهم المساعدة فلم يروا من الحكمة ان  
يمدوه بمال نظهر جسامته لجواسيس الجزار فيلحق به الاذى ثانية وهناك الطامة  
الكبرى . وبناء على ذلك لم يعضدوا صهرهم وانما نقدوه مبالغاً بقوم باوده واشاروا عليه  
بالذهاب الى جبل لبنان . وفي اثناء اقامته في مصر انتقل الى عائلته خمسمائة قرش . ولما  
انقضى فصل الشتاء رجع الى سوريا عن طريق بيروت وقصد دير القمر فاقام فيها  
وغير اسمه مخافة ان بدري به الجزار فتسمى جرجورا فقط ولم يعلم عائلته بوجوده في دير  
القمر من خوفه الشديد من الجزار . ومن حفظه لم يكن في تلك المخلة من يعرفه غير  
ابراهيم داود منسى نسيبه وجرجس بطرس وهذا كان يشتغل بالصياغة فعقد جرجس  
النية على اتقان هذا الفن عن صديقه المار ذكره وقد حصل على اربيه من ذلك الفن  
وبرع فيه ولا يزال بعض مصنوعاته باقية الى يومنا هذا تشهد له بالاتقان وطول الباع  
وفي اثناء مهاجرته من صور كانت عائلته تشتغل بالخبازة وتقوم باودها من تلك  
المهنة . وفضلاً عما اصاب هذه العائلة من جور الجزار حتى ادركت الحضيض بعد ان  
كانت ترتع بسعة العيش والرفاه حمل عليها الدهر حملة عنيفة فقتل بعض افرادها بداء  
الجدري منهم نقولا وقسطنطين وذهب هذا الداء يصير مريم شقيقتيها التي قضت نحبها  
في دمشق بالوباء سنة ١٨٤٨

ولما اثرى رجل هذه العائلة الذي نحن في سياق حياته بعث فاستحضر عائلته الى  
دير القمر سنة ١٧٨٦ وفي هذه السنة رزق غلاماً فاصبح اولاده ابراهيم واندراس  
اما شقيقه انطون مشافة فلم يشأ الحضور الى دير القمر والقيام معه فيها وفضل  
الذهاب الى مصر فتنحصر الى دمياط ونزل على سكانها الافاضل فاكرم وفادته وثقفه  
على نفقته وكان يصحبه معه في سفراته الى اوربا غير ان المنية عاجلت هذا المحسن  
فاضطر انطون ان يترك محله ويستغل في محل آخر واخيراً دخل في شركة بطرس  
عنخوري وتوفي سنة ١٨٢١ عن ثلاثة واربعين عاماً واخلف ثلاثة اولاد  
ولمسه الآن الى حرجس الذي فرضنا على انفسنا ترجمة حياته فهنا نل في دير القمر  
مع عائلته . وانفق ان الامير بشيراً الكبير زار عكا ومر بصور فتشاهد عائلة مشافة وبحث  
عنها فرأى حاكم المدينة يقطن احدي دورهم فقصوا عليه ما اصاب هذه العائلة فاسف  
لذلك اسفاً شديداً



وفي حين وصوله الى دير القمر استخضر جرجس المشار اليه وجعله كاتبه الخاص وأمر له بكسوة واجزل له العطاء وبقي جرجس مشافة بخدمة الامير حتى توفاه الله سنة ١٨٣٢ فاقام الامير بمركزه ولده اندراوس فقام بعبء الخدمة باحلاص ونشاط

### ميخائيل مشاف

صاحب حوادث الكتاب



هو ميخائيل بن جرجس بن ابراهيم بن تيجرجس بن يوسف مشافه وهو اوسع افراد مشافه شهرة واعلام منزلة ولد في ٢٠ اذار (مارس) سنة ١٧٩٩ في قرية رشميا من اعمال جبل لبنان

ولما بلغ السن الذي يؤهل لتلقي علوم زمانه درس على والده القراءة والكتابة واقن بعض المهن الا ان نفسه كانت اكبر من ان تقف عند هذا الحد وقد ظهر فيه ميل فطري الى درس الفلك والعلوم الطبيعية ولم يكن له في ذلك المكان واسطة تنيله اربه ولا كان في تلك المدينة (دير القمر) من يعرف فن الحساب حتى الضرب والقسمة وكان ميالا كما تقدم الى العلوم العالية وكان يسمع ان اليهود يدركون مواقع الكسوف والخسوف وبقية العلوم على انواعها انما يحفظونه بصدورهم ولا يطلعون عليه احدا فصار يتردد على رجل منهم اشتهر بالعلوم الطبيعية على امل ان يحصل منه على بغيته وقد



تأكد خيبة امانيه بعد اختباره مقدرة الرجل . والذي وقف عليه منه هو ان اليهود يعرفون هذه المعرفة السطحية عن الكسوف والخسوف من الرزنامة التي ترددهم من اوربا وفيها مواقع حركات القمر والشمس وبعض الفوائد الملكية فافلح عن زيارة اليهودي وعن الافتكار بحصوله على الفوائد الجمة من اليهود

وحصل له مثل ذلك عندما بعثه والده بمهمة الى القس كيرلس اذ شاهد هذا بطالع كتاباً مخطوطاً وفيه اسماء الشمس والقمر متوالية فظن انه حظي بضالته ولما سال ذلك الراهب عن ماهية الكتاب فاجيب انه 'كتاب الكيكلس تأليف احد الآباء يستعين به على مواقع الاعياد المارة الى بضع سنين وعن مواقع القمر والشمس وغير ذلك من المعارف التي لا تدركها عقول العامة . اراد هذا الراهب ان يوهب مينايل ان منزلته من علم الفلك والفلسفة مثل منزلة ارسطو وسقراط او نيوتن . غير ان مشافة تساهل معه حتى حصل على نسخة من الكتاب ولما طالعها رأى ان معارفه لم تنزل كما هي فرجع وهو في تمن وتردد

وفي سنة ١٨١٤ جاء دير القمر خاله بطرس عنجوري ومعه كتب خطية فطالع منها كتاباً في علم الهيئة والكواكب لدبلاند الفرنسي وآخر في تقويم الكواكب له ايضاً وآخر في حواشي الارشمنديتي اتييموس غازي لبنيامين فرنكلين الاميركي في علم الطبيعة وآخر في العلوم الطبيعية للاستاذ رينا البلاتي وآخر في المآخذ الحديثة في تقويم الكسوفات لبطرس عنجوري . وبعد ان طالع تلك القوم درس على خاله مبادئ علم الفلك حتى تمكن من تعيين خسوف القمر

وفي سنة ١٨١٧ قدم الى القطار انصري ونزل على انبياء عنجوري ودرس عليهم علوماً حديثة . وفي سنة ١٨١٨ فادته افكاره الى البحث في العقائد الدينية شان المتوغل في العلوم الطبيعية وجاهر بارتياحه في صحتها وكان لا يأنف من الجدل وهو الذي زاده ثباتاً في صحة معتقده وعاد من سفرته الى دير القمر سنة ١٨٢٠ وشرع في تجارة الاقمشة الحريرية ولكنه لم يزاو لها الا مدة قصيرة حيث قام لقيام الامير بشير الكبير الى حوران فراراً من مطالب عبد الله باشا والي عكا فاقام مشافة في دمشق متخفياً مدة وقد اشيع ان مع اخوته خزينة الجبل التي اودعها معهم اميره . مرت الايام ولم يحدث له مكروه وقد آب مع الامير الى دير القمر ورجع الى تجارته التي تحسنت من صلته مع مشايخ الدرروز وخصوصاً الشيخ بشير جنبلاط التي كان سببها الامير بشير لما رحل الى مصر . وفي عودة



الامير من مصر قربه وعهد اليه جمع الخراج من اهالي لبنان ودفع الغرامة الى عبد الله باشا وفي هذه الاثناء حصل سوء تفاهم بين الامير بشير والشيخ بشير جنبلاط كان العامل على اثارته وتميزه رؤساء الدين الذين دأبهم القاء الفتن والمداخلة بما لا يعنهم في كل زمان وحيداً لو تلتزم هذه الفئة المباركة نصوص الكتاب المقدس وترك الشؤون المدنية على عاتق اربابها فتحتفظ بذلك مقامها وتجله . وكان غيظ مخائيل مشافة من القاء بذور الفتن بين الامير والشيخ عظيماً حتى انه جاهر بالملامة على الطغمة الاكبريكية في نشوب المخاصمة ولم يرهب لومة لائم . وقدم في تلك الاثناء الى دير القمر احد المبشرين الاميركان فصار مخائيل يتردد عليه احياناً الى ان ظهر ارتياحه الى اعتناق المذهب الانجيلي لان ما ناله من سوء المعاملة من رهبان دير المخلص لقاء تبرعات جده الغزيرة الى ذلك الدير جعله يحق عليهم ويعرض باخلاصهم الذي لا صحة له ولا اساس

ولما حطت اوزار الفتنة المار ذكرها بين الامير بشير والشيخ جنبلاط وجه اليه الامير وظيفة شبه مدير الحكومة حاصبياً وراشياً فاقام بها مع امراء تلك المقاطعة فوق ما ينتظر منه واجبة الامراء لما ابداه من حسن السلوك معهم الى آخر ايامه وفي سنة ١٨٢٨ اصاب بحمى وافدة حملته على العودة الى دير القمر طلباً للابلال والراحة من عناء الاعمال . وقد خطر بباله ان يدرس فن الطب ولم يلبث طويلاً حتى باشر اظهار خاطره الى حيز العمل وبدأ بطالع ويدرس على نفسه لعدم وجود معهد لتدريس الطب بسوريا ولا ريب انه لاقى صعوبة وعقبات حمة وكان يلاصق كل طبيب يقدم الى تلك الديار بايعاز او مهمة لشدة ولوعه بهذا الفن فنال بذلك خبرة واسعة يصعب على الطالب القانوني نيلها فكان الاهالي يدعونه لتطبيب مرضاهم وكانت الثقة به قوية قبل ان يحصل على الشهادة القانونية . وفي سنة ١٨٣٣ انتقل الى دمشق واتخذ شريكة لحياته فاقام بها الى آخر ايامه . وجاء دمشق بايعاز من الدولة المصرية الدكتور كلوت بك ناظراً على المجلس الصحي في دمشق فكثرت اجتماعاته به الى ان اصبح صديقه الحميم فكان يصطحبه بهامه الطبية وقد افاده افادات عظيمة فاهداً كتباً غزيرة الفائدة وادوات للجراحة مستحدثة . وقبل حصوله على الشهادة اقامه شريف باشا رئيساً على اطباء دمشق بمدة استيلاء المصريين على سوريا . وفي سنة ١٨٤٥ قدم الى الديار المصرية واجتمع بالدكتور كلوت بك صديقه القديم الذي ساعده اولاً وآخراً على نيل الشهادة



ونالها بعد ان قدم فحصاً للجنة اطباء فدموا من جامعة باريز الى القطر المصري لتلك  
الغاية . وقد زار الآثار المصرية وشاهد موانع حرية متقف على اخبارها في بابها .  
ودرس علم المنطق وكان كثير التمني لكل العلوم وكان صديقاً حميماً لبحري بك وشريف  
باشا وغيرها من وجهاء القوم . وبعد عودته من مصر طالع كتب الفلاسفة وقرأ نوتر  
ونيون فارتاب بهما وقرأ تأليف الاستاذ كيدن الانكليزي فاعجب به واتخذة دستوراً  
لرجوعه الى احترام الاديان . وقد ثبت لديه من هذا الكتاب صحة الديانة المسيحية  
فاعتق مذهب البروتستانت تاركاً اهلهم مفضلاً عليهم راحة ضميره . فعل ذلك سنة  
١٨٤٨ وقد بذل غبطة البطريك مكسيموس جهده في ارجاعه الى مذهب اجداده  
ولم يفلح فلاقى اضطهاداً عنيفاً من غبطته في وعظاته واجتماعاته وكان يكيل له الكيل  
وازيد ان شفاهاً او كتابة الى ان فصل الموت بينه وبين خصمه فارتاح من عنف الاضطهاد  
اذ ذاك ولكنه بقي على جلوده ونشاطه في الجدل والمخاطرة الى ان قضى عليه

وقد عينته حكومة الولايات المتحدة قنصلاً في دمشق ثم استعفى

وشاهد مذبحه الشام وكاد يذهب بتيارها وشاهد اكثر حوادث هذا الكتاب  
وعاصر اكثر ابطاله والرجال الذين لم ذكر بوفائهم وكان وجهياً ومحبوباً لدى  
الامير بشير وامراء حاصبيا ورشيا من آل شهاب وصادق نخبة القوم وعرف بينهم  
بالنزاهة والصدق

مؤلفاته

- (١) رسالة الدليل الى طاعة الانجيل سنة ١٨٤٨
- (٢) اجوبة الانجيليين ضد اباطيل المقلدين سنة ١٨٥٢
- (٣) جواب صديق من طائفة الروم في حمص واقناعه سنة ١٨٥٢
- (٤) كشف النقاب عن وجه المسيح الكذاب سنة ١٨٦٠
- (٥) البراهين الانجيلية ضد الاباطيل البابوية ردّاً على اليسوعيين سنة ١٨٦٣
- (٦) تبرئة المتهم من قذف البطريك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٥٤
- (٧) رد على منشور البابا يوس التاسع الذي يدعو فيه البروتستانت الى الاشتراك  
في المجمع الفاتيكاني وترك الضلال
- (٨) رسالة البرهان على ضعف الانسان ردّاً على تعاليم الفيلسوف فولتر
- (٩) الرسالة الشهائية في قواعد الحان الموسيقى العربية



- وكل هذه الرسائل طبعت . ومن مؤلفاته التي لم تطبع
- (١) رسالة في ترجمة حياة البطريرك مكسيموس بين فيها كيف اتصل الى درجة  
الخيرية العظمى
- (٢) رسالة رد على ابن الحموية واعتراضاته على مذهب الانجاليين .
- (٣) التحفة المشاقبة مطول في علم الحساب
- (٤) كتاب المعين على حساب الايام والاشهر والسنين
- (٥) وهذا الكتاب الذي جمع حوادثه ومماه الجواب على اقتراح الاحباب  
صفاته واخلاقه

لا حاجة بنا الى الاسهاب لبيان صفاته واخلاقه بعد ان اسهبنا بتعداد اعماله وما  
جد له من الافكار والاختار غير اننا نوجز في تدوين ما يلي :

فكان المغفور له جامع حوادث هذا التاريخ رجلاً مقدماً متوقفاً ذهنه عالي المهمة  
ذا عزيمة شماء لا يقعه في سبيل ما يريد . مقعد ولا يصده في سبيل مبتغاه مانع  
وقد حصل على العلوم بجده واجتهاده كما تقدم . وكان محباً للرفق كثير الاعتماد على  
نفسه ذا استقلال اداري وقد زادت الاضطهادات التي لافها من رجال الدين وثوقاً  
بمقدرته وكان شديد التعصب لدينه قوي الحجة شديد المهجة الى ما وراء الاعتدال  
انما كان ضعيف الانشاء رقيق العبارة شديد الجنوح الى اللغة العامية بكتاباته  
وكان قوي النادرة حسن الساتر لين المعاشرة

اخلف له ثلاثة اولاد وهم ناصف واسكندر وسليم . وقد انتهى كتابه هذا عن  
حوادث سوريا ولبنان سنة ١٨٧٣

## الفصل الاول

ملاحظة وتعميد

لما كان المرحوم الدكتور مشافة مؤلف حوادث هذا الكتاب ضمنه تاريخ عائلة مشافة الكريمة من الجد الاول اي من اواخر القرن الثامن عشر الى سنة ١٨٧٣ ولما كانت حوادث الكتاب تشغل قرناً من بدايتها الى نهايتها ولم يصدر كتابه بفذلكة تاريخية تربط حوادثه بحدوث العصر الغابرة وجدنا ان الحاجة ماسة الى لمحة عن تاريخ جبل لبنان مع الاسهاب في جغرافية لبنان القديم والحديث وفي اصل القبائل والامم التي توطنته قديماً وحديثاً وما طرأ عليها من التغييرات السياسية والاجتماعية من اديبة ودينية ومدنية منذ ابتداء التاريخ الى عصر الجد الاول لعائلة مشافة فنقول

## الفصل الثاني

في مساحة لبنان القديمة

لبنان سلسلتا جبال الاولى داخلية تدعى لبنان الشرقي والثانية ساحلية تدعى لبنان الغربي وتبتدى من حدود آسيا الصغرى وتنتهي بحدود حيفا وجبال اليهودية وبينهما التلول والمفاوز الفسيحة التي قيل عنها انها تدر عسلاً ولبناً واعظم النقط التي جرت فيها حوادث هذا الكتاب هي حاصبيا وراشيا من اعمال الجبل الشرقي ودير القمر وزحلة والمخنارة وصيدا وصور وعكا من اعمال الجبل الغربي ومن اهم القرى الواقعة في الجبل الشرقي حاصبيا وراشيا وكانتا مركز حكومة الامراء الشهابيين

ومن اهم مدن الجبل الغربي صيدا وعكا وبيروت وصور ودير القمر وكانت صيدا مركز الولاية وعكا في غنى عن وصفنا فهي اشهر مدينة دارت فيها رحى الحرب وأهرق على اسوارها دماء الالوف من البشر فالتاريخ وحده كفيلاً لحفظ ما دار فيها من المواقع الهائلة فنباليدون العظيم بعثته مطامعه الاشعبية لذلك حصونها ولكنه رجع بالفشل والخيبة

وبيروت كانت قبل انفصالها عن الجبل ويمده مدينة تجارية لحسن موقعها الجغرافي



ودير القمر كانت مركز حكومة امراء شهاب وخصوصاً كبيرهم واعظهم مقاماً الامير بشير الذي بعد تقيته الى جزيرة مالطة عرف بالمالطي . والمدن المتقدم ذكرها هي اهم الامكنة التي لها علاقة بمجداث تاريخنا وفيها جرت معظم وقائعه وفيها سيرت الجيوش لاختضاع لبنان واذلاله وفيها عقدت المجالس والمؤامرات السياسية على سطوة الامراء واضعاف شوكتهم الى آخر ما هنالك من الاعمال الجائرة والسديدة كما يرد في حينه .

### الفصل الثالث

#### في سكان لبنان الاولين

يقسم علماء الاجتماع الانساني الانسان الى اربعة اصناف القوقاسي والمغولي والزنجي والاسمر ولا يهمننا من هذه الاصناف غير اولها اي القوقاسي لان سكان لبنان منه

ولامشاحة في ان جبل لبنان وارضيه الفسيحة وتربته الخصبة كانت آهلة بسكنها الناس قبل زمن التاريخ بقرون متطاولة

والعلماء متفقون على ان جنة عدن التي اوت الانسان الاول موقعها اما في ارض شنعار على حدود الفرات واما في ارمينيا وسواء كانت في هذه ام تلك فهي على تخوم سوريا ولبنان ومن الادلة القاطعة على وجود الانسان في تلك الامكنة قبل فجر التاريخ قلعة بعلبك فان في شكل بنائها وهندسته ما يدل على قدميتها فهي اندم من اهرام الجيزة بمصر . ومما تقدم يتضح لك ان اسلافنا كانوا على جانب عظيم من الادراك في فن البناء والمدافعة وآثارهم الباقية لم التي عجزت عن ابادتها السنون والعناصر تشهد لهم بالمقدرة وتهزاً بالابنية من نوعها التي اقامها وبقيمها اهل هذا العصر . ولكن الى اي عصر بالقدم يمتد تاريخ تمدنهم لا نستطيع اثباته في هذا المقام

## الفصل الرابع

في سكان لبنان بعد الطوفان

لنا في التاريخ بداية ورشاد نقصها نقيماً للفائدة التي نتوخاها . عرفنا حينما انفجرت انوار التاريخ على المعمور عموماً ولبنان خصوصاً ان جماعة من بني سام بعد خروجهم من الفلك هاجروا الى سوريا ولبنان . ثم لحق بهم ولد حام وكان ذلك قبل الميلاد بقرون عديدة وبعد ذلك بمدة قدم ابراهيم جد اليهود مع افراد من حاشيته فالساميون اقدم من سكن سوريا ولبنان وامتدت تخوم عمرانهم الى شطوط بحر الروم . ومن المدن التي شادوها وتوطنوها جبيل وبيروت وعكا . وفي الداخلية مدن وقرى كثيرة العدد اشهرهن دمشق وبلبك وحلب وحماة .

اما الحاميون لما راوا ذلك من الساميين اندفعوا بعامل المزاخرة فاقبلوا من بابل والعراق وابتنوا لهم من المدن صيدا وصور وطرابلس والبسترون واللاذقية وطرسوس وغيرها ومن المدن في الداخلية حمص وكركيش واورشليم وبعض احياء من مدينة بلبك وخصاصون تامار وصادوم وعمورة

## الفصل الخامس

في ان المزاخرة وان تكن علامة العمران فهي تودي الى الفتنة وذلك لما بين بني سام وحام من المزاخرة والمنافسة في العمران التي سببت لكل فئة منهما ميلاً الى استغراق جهدها وقواها لتحوز على السبق في مزاحمتها ومن البديهي ان المزاخرة اذا وقعت بين قوم او امة ادت الى الاستعمار والتطرق الى المدنية وقد نتوغل الامة المزاخرة في ضروب الابداع والتفنن حتى تبلغ حدّاً تفرغ به جمعيتها وتغني اعاضل اموالها وهي تكون مخمرة في سكرة الجلد والمزاخرة الى ان يقوم عليها بعض افرادها ويطالبونها بالحساب عن اعمالها ونتيجة ما وصلت اليه فتعطل الفوضىّة ويكثر اللغظ وتنظاير الطائفتان بالاسبقية وتمتدح افراد كل امة اعمال امتهما وتنبأى بها على سواها وعند المقابلة يتبين الافضل منها والانسب يبقى ولو كن الانسان مطبوعاً على الافرار ببطائه وسقطته عن رضى وتعبه وعلان الحق حتى رآه وعرفه سواه كان الحق يجانبه



او بجانب خصمه لما كانت الحروب التي ذهب وبذهب بها ملا بين من النفوس البريئة في  
 الهيئة الحاضرة ولا قامت الدين والمخاصمة بين البشر . ولكن لسوء حظ العائلة البشرية  
 خلق الانسان معابوفاً على تعب الذوات والانانية يرى الحق بجانب خصمه ويتناضل عنه  
 — ذلك او مثله حدث لبني سام وحام عندما اشتدت مفاعيل الراحة بينهما وانضت  
 الحال الى تخاصم وتنافر وعداء واحراق دماء الالوف من رجالهما بعد ان كانتا على وفاق  
 ووثام فقس على ما تقدم ما تجري عليه في يومنا هذا الدول وامم الارض فاطبة تر  
 الاصابة معنا فيما قلناه والله الموفق الى السواء

### الفصل السادس

اذا كان القتال وانفاً بين امة واخرى وهجم عليها عدو تعاضدنا على التنكيل به  
 والسبب في ذلك ما يكون للامة المتقاتلة من الحق والمقد في صدرها على خصمها  
 وقد اوجدته بها تعب الفرد في السلطة والسيادة على اقرانها ولما كانت هذه الامم من  
 اوليات ايمانها فهي تسترحص كل عزيز لديها في تحقيقها ولا تقص في تنفيذ ما ربه  
 والبغش في ما يحول دور بلوغها ما تشتهي بسنك آخر نفس من حياتها ومما لا ريب في  
 حدوثه اذا كانت الحرب واقعة بين امة واخرى ودهما عدو انهما تشككتان الى البغش  
 به والفتك بعدوه وحاميته ذلك ما حدث لبني سام وحام وهما في حرب سجال اذ دهما  
 البابليون والاشوريون في قيادة بطاهما مرجون الاول فانفمما بذا واحدة على التنكيل  
 بخصمهما والدافع لهما على ان ذلك الانضمام ميل غريزي بالانسان وهو حبه اظهار  
 مقدرته ولو سحق بها انفس بريئة وميله الى البغش في الحوائل التي تصده عن تنفيذ  
 رغبته في خصمه فبنو حام لما رأت العدو مقبلاً نجوها حولت سهامها عن بني سام اليه  
 خوفاً من انها اذا ترددت لحظت عن ذلك تحسبه بنو سام عابها وجلاً وجبانة وهكذا قل  
 عن بني سام . ومما حدث لمولاه القوم هو من حوادث يومنا وحدث في كل زمان ومكان  
 وقد تمكن اهل بابل واشور من اخضاع بني حام وسام قبل الميلاد بقرون وارغموها على  
 دفع الجباية والغرامة الى ان تعززت لهما القوة وتوفرت لديهما النجدة فنهضتا نهضة  
 واحدة على طرد اولئك الفاتحين وقد تم لهما النصر بعد حروب طال امدها



## الفصل السابع

### في اجتياح المصريين سوريا ولبنان

وكان ذلك في نحو القرن الثامن عشر قبل الميلاد لما زحف المصريون بقيادة تحتمس وابلوا بلاء حسناً ووضعوا على سوريا ولبنان الجباية . ولكن ذلك لم يطل حتى قامت رجال سوريا ولبنان وطردوا المصريين من البلاد واذ ذلك كتب المصريون معاهدة هجوم ودفاع مع امراء سوريا ولبنان وفي القرن الخامس عشر قبل الميلاد حمل رمسيس الثاني بطل مصر المشهور على سوريا ولبنان واخضع الحثيين واخذ منهم الجزية لكنه عجز عن اخضاع امراء لبنان خصوصاً شماليه حيث امدن وبشري فوقفتا بوجهه وردتا مطامعه وقد كاذ يفرغ قواه ويفني رجاله من ارساله النجدة وراء النجدة واخيراً ارتضى الفريقان ان يكون له السلطة الاسمية على تلك الربوع فقط

وما لبث رمسيس ان آب الى مصر مدحوراً وعلى غير ما كان ينتظر ورضي ان يتخذ ملك سوريا الحثي صديقاً فابرم معه معاهدة دفاعية وبعد زمن ترك الجندية وبعد خروج المصريين انقسم السوريون الى قسمين قسم استقل بحلب وكركيش واعالي سوريا برئاسة الحثيون والقسم الثاني الكنعانيون استقل بلبان وسواحل سوريا البحرية وفلسطين وبعض بلاد العرب ثم انقسم الفينيقيون الى امارات صغيرة تازعت بعضها بعضاً وكانت اقواها وافضلها الباقية

## الفصل الثامن

### في اجتياح موسى فلسطين

وبينما كانت القبائل المتقدم ذكرها في مناوشات وخصام اقبل عليها اليهود ويشوع بن نون فدوخوا بلاد فلسطين وازاحوا الكنعانيين عن ارض اليهودية وقد حدث للكنعانيين ما حدث لبني حام وسام من التعاضد والتكاتف حينما هجم عليهما بنو بابل واشور فقد اجتمعوا تحت راية واحدة ونكلوا باليهود واذلواهم ثم غزا سوريا الاشوريون واوجبوا عليها ثمانية اعوام في نهايتها رجعوا عنها بالفشل وتناصلت



الحروب بين اليهود واهالي لبنان ومرت الاعوام على مخاصمتهم الى ان عاد الاشوريون الكرة عليهم فاخذوهم على غرة وبسطت سلطنة الاشوريين عليهم ونزعوا استقلالهم ومن الامم التي تداوت الحكم على اهالي سوريا بعد الاشوريين البابليون فالفرس فال يونان فالرومان فالعرب المسلمون فالأتراك السلاجقة فالأكراد الايوبيون فالصليبيون فالملوك الاولين والآخرين فالأتراك الحاليين

### الفصل التاسع

#### الأتراك العثمانيين

الأتراك قبيلة طورانية اختلفت اسيا الصغرى وبعض شواطئ البحر الاسود وارمينيا ونزحت الى تلك الافطار من اهالي اسيا التركية على حدود الصين في القرون الوسطى هرباً من وجه جنكيزخان الفاتح التتاري المشهور وفي احتلالهم اسيا الصغرى وبلاد اخرى تسمت على اسمهم التجاوا الى السلاجقة المسلمين فحومهم واقطعهم اراضي لمواشيهم وكانوا يقتصرون على الماشية من اعمالهم وهم كثير والشبه بعرب ايامنا وكانوا يعتقدون في حل ما يطرا عليهم من المشاكل على عثمان وهو زعيمهم بل فائدهم في كل اعمالهم وكانت الحروب الصليبية دائرة رحاها في ذلك الوقت وكان آل سلجوق صاحب السيادة الاسلامية تطوع عثمان المشار اليه مع اولاده وبعض من رجاله في نصرة بعض سلاطين السلاجقة واظهر شجاعة وحسن دراية مما استدعى الانتفاة الى مكافأته وتقديره حقته فرقي الى درجة الامارة وعينوه حاكماً على مقاطعة وبعد بضع سنين توفي السلطان السلجوقي الذي لجأوا اليه فانتهز هذه الفرصة الأمير عثمان وجاهر باستقلاله وقد خدمه حسن الطالع فأسس له ولولده دولة مستقلة لم تنزل اعلامها مرفوعة الى الآن



## الفصل العاشر

### في فتوحات السلطان بايزيد

فالانسان كان ولم يزل لا يحترم حقوق جاره وفي امكانه الاستيلاء عليها فالسلطان بايزيد لما آتس ضعف المملكة الرومانية الشرقية واقترابها الى الهرم جمع شتات رجاله ونفخ في صدورهم روح المجد والحمية فتألبوا ورفعوا الاعلام وزحفوا على المملكة الرومانية وهم يستطيون الموت في بناء مجدهم الذي كاد يذهب منهم ضحية على مذبح الشقاق والمشاكسة فدوخوا اكثر ابالانها ما عدا عاصمتها القسطنطينية التي كادت تدخل في مطامعهم لولم يعترضهم تيمورلنك الثري المشهور بين قواد العالم اذ ذاك وصددهم عن متابعة فتوحاتهم وقد جرت بينهما موقعة عظيمة في انقرة اسفرت عن وقوع السلطان بايزيد اسيراً بيد تيمورلنك فقبض عليه واخضع رجاله وبعد ذلك خلا له الجو فاستولى على مملكة الترك وتمكن من جمع الجباية من مصر وملك الروم واسكره النصر فقاده الى فتوح الصين لكن المنية عاجلته وهو في الطريق ونوفي السلطان بايزيد بعد وفاة تيمورلنك بمدة قصيرة

## الفصل الحادي عشر

### في ان الملك المستبد تموت دولته بموته

كان لتيمورلنك الهيبة والعظمة بين رجاله حتى كانت ترتعد فرائصهم عند مواجهته فتفرد برأيه واستبد بحكمه لما ناله من النصر في فتوحه والطاعة العمياء من رجاله وكان يأنف من مكاملة اخص رجاله في أهم الشؤون وكانت مملكته بما اضاف اليها من الممالك متعلقة به رأساً لذلك لما انتشر خبر وفاته بين رجاله وسائر مملكته تقوضت اركان سلطته ودكت الى الخسيف لانه لم يكن بين رجاله رجل به الكفاءة لادارة شؤون المملكة فتبعثرت ولعبت بفتوحاته ايدي سبا ولو كان تيمورلنك في حياته قرب اليه رجلاً او بضعة رجال وكان يتظاهر بالاعتماد عليهم في حل المشاكل لحفظ لهم في ممانه رهبة في قلوب جنده وساعدهم على احياء مملكته وتعزيز شوكتها الى ما شامت اللقادر ولما رأت الانراك وبقية الممالك التي اجتاحتها تيمور وملكها ما وقع لجنوده بعد وفاته جاهدوا



لإستقلالهم ورفضوا ان يكونوا تحت سلطة النتر . اما الاتراك العثمانيون فاقاموا عليهم  
اميراً من سلالة الامير عثمان وطابت لهم الفتوحات ومد سلطتهم  
فاجتاحوا القسطنطينية وتملكوا على بقية الدولة الرومانية . وبعد ان عرفوا بطشهم  
طلبوا سوريا بقيادة السلطان سليم الفاتح فاستولوا عليها وعلى مصر وفيها بقية الخلفاء  
العباسيين فبايعوه بالخلافة العربية فاصبح اعظم ملوك الاسلام بطشاً و سطوة واعرفهم  
نسباً وصلة

### الفصل الثاني عشر

#### في امراء الممالك البحرية

هو لاء الامراء يقال لهم ممالك البحرية نسبة الى بحر النيل لانهم كانوا يقيمون  
في جزيرة من جزره جعلوها حصناً لهم  
فهو لاء الممالك وضعوا ايديهم على مصر بعد الدولة الكردية الايوبية وكانت السلطة  
تداول بينهم لا عظمهم سطوة وكانت سوريا تابعة لهم ولما اذلم السلطان سليم واخرج  
الدولة من ايديهم عينهم جواسيس على رجال دولته في مصر وسوريا فظفوا في خدمته  
ولكن مطامعهم كانت تحمهم بطرد العثمانيين وارجاع دولتهم الى الوجود . ولما درت  
الدولة العثمانية بما يضمرونه في صدورهم عليها من الحقد او عزت لرجالها في قطع دايرهم وراحة  
البلاد من شرهم ولم يتمكن من تنفيذ اوامرها الا سنة ١٨١١ على يد محمد علي باشا فقد معا  
آثارهم بالمكيدة المذكورة . اما قبل ذلك فكانوا يترقبون الفرص لاعادة سيادتهم حتى  
قام بهم علي بك الكبير وادعى قيادتهم وقام بهم بعد ان در بهم على الحرب ولكفاح  
وطرد الاتراك من مصر وامم سوريا وغيرها من ابالات الدولة العثمانية وكان النص حليفه  
ولما رأت الدولة سطوته وشعرت بانتصاراته العديدة اوجست منه فبعثت اليه صهره  
ليفتك به غدراً فقبل المهمة التي دعت اليها الدولة ومضى قاصداً حماه وبعد ان غدر به  
وناز بعمله الشنيع حدثته نفسه ان يتولى قيادة الجيش ويحل نفسه محل عمه . لكن الدولة  
اوفدت جيشاً كبير مطامعه وغل يده و بقيت مصر في حوزة الممالك وتحت رعاية الدولة  
العثمانية الى سنة ١٧٩٨ حيث اقبل اليها نابليون الاول فاتحاً مجنده الفرنسي ثم  
خرج هذا الجند منها سنة ١٨٠١ وعادت الى كنف الدولة وتولاها محمد علي سنة ١٨٠٤



وهو الذي فرض المالك سنة ١٨١١ كما تقدم

### الفصل الثالث عشر

نوع حكومة سوريا في عصر حوادث هذا التاريخ

وما يجدر بنا ذكره هو ايدع كتابنا هذا لمحة اجمالية عن نوع حكومة الانراك بسوريا بعصر حوادث هذا الكتاب ليحيط القارى بها علماً ويعلم ما كانت حالة الحكومة القانونية والمالية وكيف كانت تضبط امور الدولة بذاك العصر ونعتمد هنا على ثقات المؤرخين وخصوصاً تاريخ حسر اللثام عن نكبات الشام فنقول :  
مما لا يختلف فيه اثنان ان العدل اساس الملك بكل المصور الغابرة والتي سوف تأتي . فالدولة التي ساد العدل فوق ربوعها وعمت المساواة افرادها تنمو وترتقي وتوسع املاكها وتعم سطوتها وتتوافد القوم لطلب نصرتها والاحتواء بظلمها من تغالب الاستبداد والجور وحسبنا ما رواه التاريخ شاهداً لما قلناه وما نراه يجري بالممالك الحية دلالة قاطعة على ان العدل والمساواة امام القضاء ودستور الدولة واعطاء كل ذي حق حقه هي اساس الارتقاء . على هذا الطريق مشيت دول التقدم والارتقاء القديم وعليها تجري الدول الحية بايامنا

وعلى هذا الطريق تمشت الدولة العثمانية باول ادوارها في عهد السلاطين العظام الفاتحين الذين وسعوا نطاق المملكة واجروا العدل والقسط في الرعية فتهاوت للخضوع لهم الربيع والوضع حتى ارتقت دولتهم من مقاطعة صغيرة الى مملكة واسعة الارحاء ومضى عليها عصر كانت به اعظم دولة بالعالم على الاطلاق

وكان يستظل عشرات الملايين من البشر بظلمها الزاهر ومجدها الباهر بتسابقون الى اعزاز حمايتها من كل صقع وناح

الما عند وقوع حوادث كتابنا هذا كان العدل والقسط قد تركا ربوعها لفساد المأمورين وجهالة الشعب الذي بفضل عسف الحكام وجورهم واصل سيره للوراء في عصر حوادث هذا الكتاب لا يختلف عن الشعوب الممجية باواسط افريقيا الا ببعض الشؤون الثانوية

كل ذلك من فساد الحاكم ونشوب نظام الدولة وخروج مهايتها من صدور اولئك



بين كانوا يعيشون في الارض فساداً  
كان همهم ابتزاز مال الرعية وتعزيز الحمجية ومحاربة العلم واستئصال شأفته حتى  
لا ترى في سوريا واحداً من مائة يحسن مبادئ القراءة فما قولك بالعلوم الاخرى  
كان كل منهم دأبه جمع المال والتعم بالملاذات وانيان المحرمات كيف ما كانت  
يقعده عن قصده دين ولا ذمام ولا يعتبر نظاماً وكثيراً ما كان يجرد سيفه لقتال  
الدولة ويرغمها على الرضا بالسلطة الاسمية فقط لقاء مال يدفعه لها  
فكانت الدولة لا يهتمها من امور الرعية شيء شقيقت ام سعدت اذا كانت تدفع  
المال المطلوب لها فاستبدت بالحكام وعظم شرهم وكبر امرهم واصبح من المستغفل ردعهم  
فناصل بهم هذا الخلق حتى تخلفوا به وبش المسير والمصير

### الفصل الرابع عشر

#### تقسيم الايالات

وكانت البلاد السورية تقسم الى اربعة اقسام ادارية او اربع ايالات . الاولى  
ايالة حلب والثانية آيالة دمشق وهذه كانت تتناول اواسط البلاد مما يلي الشرق .  
والثالثة ايالة صيدا او بيروت وكانت تتناول اواسط البلاد مما يلي الغرب . والرابعة  
ايالة القدس الشريف

وكان لكل ايالة وال مستقل عن الآخر يصعد باسم الباب العالي رأساً في أمور  
— الا ان البلاد او الايالات كانت تخضع عسكرياً لسلطة قائد عام يقيم بدمشق  
ويدعى مشير العرضي الهمايوني الخامس . وكان هذا المشير وظيفته ادارة  
الجنديّة بسوريا كلها ولم يزل هذا النظام للآن

وكان رجال الجند بذاك العصر الا نفر صغير منهم اجانب اخلاطاً من ولايات  
باوريا وبلاد الاتراك بآسيا الصغرى والعرب بينهم قليلون لان النظام لم يكن

فيهم

يكان لكل ايالة مجلس شوروي مؤلف من بعض علماء المسلمين والوجهاء  
النفوذ والباشا يترأسه الوالي . ومن شأنه انظر في الامور المالية واحوال الجنديّة

فذلك من المهام



وكان الحكم في الدعاوي الجسائية منوطاً بالناضي باشي ومركزه في باب السراي  
الاميرية ثم بالتمكجي باشي وهؤلاء الجماعة كانوا رؤساء القراقولات في المدن وكانوا  
قوم أميون لا يعرفون الكدح من البوع يحكمون بحسب ما تقودهم  
وافكارهم وكية الرشوة التي يدفعها اليهم المجرمون ولم يكن لهم قانون يعرف ولا  
نظام يوصف

هكذا كانت تضبط الحقوق بذلك العصر الى الاحكام الحقوقية وما شابهها فالذي  
يسلم من تداخل الوالي وارادته يحال للشرعية — اما الخصوصيات فكانت تساط  
بظوائف الاديان تحكم بها كل طائفة حسب تقاليد دينها

### الفصل الخامس عشر

#### في اسباب الثورات والفلاقل

وكانت الفلاقل والثورات والاعتداءات متواصلة على التتابع ومعظمها يقع على  
المسيحيين واهل السكية من فقراء المسلمين • وكان اكثرها يقوم به الجند وكانت  
رجل الجندي لا جمال جماعة غطى الجهل والحق ابصارهم وضربت الفحة اطنابها  
فوق رؤوسهم • وكان افجور والفسق ديدنهم اذ لا رادع يردعهم ولا نظام يقيدهم  
ولا قوة تصدهم فتماروا باللاؤم والدناءة لدرجة الوحوش الضارية

وكان الجند يقسم الى ثلاثة اقسام اولى منها اثنان وطنيان يلقبان بالوجاقات وهما  
وجاق الانكشارية ووجاق القيقول والقسم الثالث مأجور يحضره الولاة كحرس  
خصوصي لهم • وكان هذا الوجاق يؤلف من اخلاط الامم كالمغاربة والتكرنة والترك  
والدلاة والارناووط وغيرهم

وكانت المداوة متصلة بين هذه الفرق او الوجاقات وقد قامت بسببها حروب كثيرة  
بين هذه الاقسام المتضاغنة هرقت بها دماء غزيرة فتسبب من جراء ذلك مخاوف  
وويلات عديدة وقعت على الشعب — حيث كان هؤلاء الرعاع يهبون الدكاكين  
وتفعل الاسواق وتوقف حركة الاعمال ويستحيل على ابنه السيل الخروج من  
بيوتهم لتحصيل طعامهم

ومرات عديدة كان بعض المدن السورية مرسحاً لنوراتهم واطرافهم وكثيراً



ما اوقدوا النار باحياء المدن السورية وخصوصاً دمشق وحلب ولا ينفذ المشكل الا  
بتدبير لالة او بعض الاعيان . ولا تلبث ان تعود الثورة الى حالها الاول بعد ايام  
قليلة . كانت احوال الشعب السوري بذلك العصر

وكان الدافع لذلك عدم مقاصة المجرم وقلع جرثومة الفساد واكره الاوباش  
على احترام الشريعة ولاجل هذه الاضطرابات ومثلها كنت ترى شوارع المدن  
وحاراتها كثيرة الابواب العظيمة . تقفل وقت الثورات وقاية لمن ورائها

وكان اكثر رجال الوجاقات نفوذاً الانكشارية لكثرتهم وشدتهم وصداقتهم للوالي  
ويأتي بعدهم القبيقة وغيرهم وكان زعماء هذه الفئات يلقبون بالاغوات وكانوا يرسمون  
على ايديهم الوشم شعار الفرقة التي ينتمون اليها حتى كانت القهاوي التي يتردد اليها  
هؤلاء ينقش فوق بابها اسم الوجاق الذي يتردد اليها

ولم يكن لهم نظام عسكري يرجعون اليه . وكانت الاحياء المدنية تخضع للاغا الذي  
يقيم بها وهذا يخضع الى زعيم الوجاق المنتخب من الاغوات لشدة بأسه او لصداقته  
لوالى او غيره

وكان الاحداث والنساء لا يتجاسرون على المرور بمجتمعات هؤلاء الجبهة خوفاً من  
الاجتصاب وكان ذلك عقاباً على الرعيبة وكان المنتقمون اليهم كثيرين لعناية الحماية  
او المشاركة بالقبايح وما شابه

وكان ما يصلهم من مال الخزينة لا يكفي نفقاتهم لكثرة اتباعهم فاضطروا  
للعمل . فكانوا يذهبون للعمل مثل بقية الناس وعليهم السلاح ليجهل لهم الانضمام  
الى فرقته متى دعت الحاجة

اما الخاملون منهم واهل الفسق كانوا يجتمعون في القهوات ويعاقرون الخمر وبعندون  
الى القوم ويصادرون اموالهم ويفترسون نساءهم واولادهم . وكثيراً ما كانوا يقتلون الناس  
بسر سبب كخزيرة سيف او بندقية باحد المارة ولم يخافوا من بعض اهل الشهامة المروءة  
كانوا يعدون على الاصابع

لهذه الاحوال الفوضوية جمعت الرعايا لثمادي بالقحة والفجور لدرجة قصوى  
بسبب ضعف الحاكم وقصوره عن ردع القوي عن الضعيف وكانت الباعة على اظهار  
وجه الافراد فكثير بذلك العصر الجبايرة الاشداء من مسلمين ونصارى من غير المنتمين  
الى الاحزاب الجندية والمتكئين على انفسهم وشدة بأسهم



وكان القوم يحسبون لهم الحساب ويخافون بطشهم ويخترعونهم ويدعونهم بالمعتبرين وكانت هذه الفئة صاحبة مروءة وشهامة يحكي عنها حكايات عديدة تظهر مروءتها للعيان نسبة واحدة منها للقياس ونترك الباقي لتصور الناري.

قيل ان رجلاً من وجهاء المسيحيين مرت زوجته بالشارع مقبلة من الحمام فنظرها احد الانكشارية فراقت بعينه فتعقبها لبيتها وبعد ان علم المكان وسأل عن زوجها قيل له ' انه ' يعمل بتجارته فقصده وقال له ' : يا فلان استعد لتدبير عشاء ومسكر وقل لزوجتك ان تجلس لاني سوف اضيفكم بعد ساعة

فهم الرجل ما يريد هذا الوغد من هنك عرضه فكبر عليه الامر وكان له صديق من الجبابرة مسلم فقص عليه مصيبته فقال له ' : افعل ما امرك به وسوف احضر لبيتك واريحك من شره . فاقبل الانكشاري حسب وعده فاكل وشرب الخمر وبينما هو يستعد لهتك عرض الرجل حيث طلب المرأة لتسقيه الخمر ذهب الجبار واحتز رأسه وعلى هذا المتوال كانت تجري الاحوال



## الفصل السادس عشر

### نظر عام في حالة المسيحيين

وكان التعصب الديني بالغاً اشدّه بشعب ذاك العصر حتى تجاوز به القوم حدود الافراط . وكان المرء منهم يحسب كل رجل غير متدين بدينه جازله قتله والاعثاء عليه لا اثم في ذلك ولا نثر يب في ابتزاز ماله وعرضه . وانتشرت هذه الروح حتى عمت السواد الاكبر من القوم . وكان فريق من العلماء واهل التقوى يرون معاملته الذمي بالحسنى تبعاً لقواعد الدين الشريفة — ولكنهم لم يتوقفوا لردع الرعاع في زمان عمت فيه الفوضى وساد الجهل والهمجية على عيون القوم

وكان المسيحي عرضة للاهانة والذلّ بينهما مرّة او حلّة وكان المسلم يسيء معاملته لدرجة مفرطة حتى الف الذل كما الف مذله اذلاله . فكان النصراني حينما مر وتوجه بنعت بالكافر ويشتّم صليبه ويخترق واقلب عمامته ويدفع ويرفس الى غير ذلك من الاهانة

وكان اذا مرّ في حي المسلمين لحقه صبيان الازقة معبرين قائلين له ' نصراني



كلب عواني . رفوله بالصرامي . . قالت امه فينه . ضربة ثقلع عينه « وغير ذلك من القبايح

فكان يحتمل كل هذه الاهانات بصبر لا يفوه بكلمة دفاع ولا يقدر على غير الاستجارة بتقي مسلم اذا صدقه فيحاول هذا ابعاد الصبيان عنه والا فلا

وكان المسلم اذا مر بمسيحي يقول له : اشمل . . . يريد بذلك ان يسير عن يساره فيفعل صاغراً . واذا كثرت الناس بالطريق بين ذاهب وآيب كثر شقاؤه ولا يعلم كيف يذهب فيدعى للطورقة فيطوق اى يمشي في الطاروق . . . والطاروق عبارة عن منخفض في وسط الشارع تسير به البهائم ينحط عن رصيف المارة قدماً تقريباً وعرضه من اربعة الى ستة اقدام لتجمع به الدواب محملة وفي فصل الشتاء يجتمع به ماء الشتاء وفي الصيف الافذار . وكان يصادف هذا التعيس الاماً مبرحة من الحيوان والانسان على السواء هذا الحيوان يدفعه وذاك يزحمة والسائق بوخزه وغيره يلكمه . وهنا نمسك القلم ونترك للقارىء تصوير حالة هذا التعيس وكيف كان يسام العذاب من الحيوان والانسان ويعامل اقباح من الرق

وكان كثيراً ما يسخره اصحاب الدكاكين لقضاء حوائجهم . او يستعملون اهانتهم واسطة لازهاب ملهم وتفريج كرههم فيناديه بعضهم تعال يا معلم فيذهب اليه فيصنعه ويكلفه ان يذهب بحاجته او يلبسه حذاءه او يشتغل عن شغلاً ما - واذا كان مازحاً يمس في اذنه شتماً أو اهانة

او يأخذ عنته ويصفعه على ام رأسه ويرمي العمة الى جاره وهذا الى الذي يايه وهلمنا جرأ ويقول له : اذهب وخذها منه فيذهب فيكررون عليه العمالة الى ان يملوا فيتركوه - وكانت تلك العمالة كبيرة مستحكمة الربط كي تتغلب على ما تقدم وتقي ضمنها ورقة الجزية لانه لو سار خطوة بدونها عرض نفسه لخطر الاهانة لانه قد يفتش كل يوم مراراً وتكراراً ويبل له ان لم يبرزها عند كل سؤال عنها

وكان قانون الحكومة اذ ذاك يكره المسيحي ان يحمل على كتفه كيساً يسمونه كيس الحاجة وليس له ان يخرج من بيته بدون المقتض من هذا الكيس ان يضع به من الاغراض وحوائج المسلمين ما يسخره هؤلاء بحمله من بقول - يضار وغيرها واتفق غير مرة ان النصراني كان يقضي بومه مسخراً ببعض الاوقات رغماً عن كونه صاحب عائلة تعيش من عمله ومضطراً للعمل لتحصيل قوتها ومتى قضى



يومه مسخراً باتت تلك العائلة بدون قوت او تقنات على صدقات اهل الرحمة . . .  
وتكرر عليه الاذلال حتى الفه وحسب نفسه خاق ليكون رقاً لقوم ليس بقلوبهم رحمة  
ولا حنان

وكانت اموال المسيحيين مطعماً للحاكم وغيره فلا يعدم من انتحال الاعذار  
لاستنزافها فان لم تكن بالخراج والحزبة والقروض والمطالبة وما شابهها ومن لم يدفع  
سجنه حتى يدفع او يقتله وكثيراً ما قتل جماعة منهم خنقاً وشنقاً لكونهم لم يدفعوا  
ما يطلب الحاكم منهم القروض وغيرها . ولم يكن الحاكم وحده يضغط على النصارى  
مالياً بل هناك كان يؤدي جزية لزعماء الرعاع من المسلمين ليركوا له حياته ثم الى  
المتشردين من (الابضيات) واهل البأس من الذين متكيب على كسبهم هذا فضلاً عن  
مغارم الجند واصنافها العديدة وقد لا يمر به اسبوعاً الا يدفع به غرامة وكانت الحياة  
صعبة على من رزى بحكم الوحوش الضواري الذين سولت لهم النفس انه يجوز لهم  
تعذيب من كان على غير دينهم

وكان اكثر التعدي الذي يقع باهل الذمة من الجند والاولا باش ورعاع الاسلام  
كثيراً ما اضطر بعضهم لاعتناق الاسلام هرباً من الحيف والذل وفات هؤلاء ان  
الدين لا يقوم بالاكرام بل يأمر بالحسنى والمعروف لمن لا يتدين به وقد كانت هناك  
جماعة من الفقهاء المسلمين لم يرضوا بهذه المعاملة لكنهم كانوا القليل من السواد العظيم  
ولذلك لم يجد منهم نفعا ولا رد سهام الرعاع عن المسيحيين

وقد حظروا على النصارى لبس شيء يقترب من الملون ولو كان لهم مقدرة مادية  
على الحصول عليه ولا ركوب المطايا الا بطريقهم فهذا كان يسمح له بالركوب وحصل من  
جاء ذلك امور تميزق منها الاكباد ويتفطر لها الفؤاد كظلم وشم وهتك اعراض  
وسلب الروح والمال . ومن غريب عادات ذلك العصر انهم كانوا يعتبرون اذلال  
المسيحي تديناً . ولا ثبات ما تقدم ثبت منشور درویش باشا وهو واحد من مئات  
تقدموه وعقبوه فيعلم القارى العزيز منزلة اولئك التعساء وبقيس عليها حالة غيرهم من  
تقدمهم وعقبهم وهذا هو بنصه الحرفي :

« صدر مرسومنا هذا المطاع الى مشايخ واختيارية اهالي قرية سيدنايا المسلمين  
ليجروا بحسبه ويعتمدوه فالبادي هو ان النصارى عندكم عمال يقلدوا الاسلام في  
ملايسهم وعمائمهم ونعالهم وتعدوا درجاتهم وخالفوا فهذا ضد ارادتنا ولم يعطى به رخصة



منا فبناء على ذلك بعثناكم مرسوما هذا لاجل ان تحذروهم وتنذروهم من عواقب ذلك  
حالا وتنهبوا عليهم لا يلبسوا الا ملبوس ازرق وعمامة سوداء ونعال سود ولا تدعوا  
بقلدوا المسلمين بشيء لا نساء ولا رجالا وان بلغنا ان واحد تعدى الحدود المذكورة  
فما له لا يغني عنه وخطيئته في عنقه ونطلع من حقكم وحقه فبناء على ذلك ارسلناكم  
مرسوما هذا من ديوان الشام على يد رانعه فخر افرانه جندي باشي ارقداش محمد اغا  
في وصوله تعملوا بموجبه وتخاصوا مخالفته اعلموه واعتمدوه والحذر من الخلاف  
في ١٩ رمضان سنة ١٢٣٦ هجرية

الختم

محمد درويش

هكذا كانت حال المسيحيين في عصر حوادث هذا الكتاب واكثرها كانت تقع  
ودامت على هذا المنوال لفتح ابراهيم باشا سوريا فرفع عن اعناقهم الاستعباد  
والاضطهاد

## الفصل السابع عشر

في نسب امراء لبنان ومشايخه

من اعظم امراء لبنان بعد امراء معن المتفرضين امراء شهاب الذين يرجع نسبهم  
الى اقدم عصور الاسلام . ولما قدم العرب لفتح الشام بقيادة ابي عبيدة بن الجراح  
وخالد بن الوليد قدم معهم بطن من بني مخزوم الذي يرجع اليه تاريخهم بالشام  
وقد توفي جدهم الاول بحصار دمشق وبعد الفتح اقطعهم الخليفة ارضا واسعة في  
حوران واقاموا في مدينة شهباء من اعمال جبل الدروز ومنها اخذوا لقبهم المتعارف  
بالشهابيين

وفي تلك الاعصر امتنعت امراء لبنان وولاة اموره عن طاعة دولة العرب فبعثت  
اليه بني مخزوم وغيرهم من بطون القبائل العربية وامراء معن ليرغموا امراء لبنان على  
الطاعة للدولة وكانت الدولة ترسل التجنيدات وتعد صاحب الغلبة بالولاية على لبنان وما  
يتبعه من الولايات وقامت الحروب اعواما عديدة ولم يكن النصر ليمتد لفريق الا ويعبس  
له الى ان دالت دولة امراء المردة وقامت على انقاضها دولة امراء معن واخلفت هذه امراء  
الشهابيين

اما المشايخ فدرجات متفاوتة فمنهم الحاكم الكبير والصغير  
ولفظه شيخ عربية وهي لقب يراد به وصف وجيه القوم او زعيمهم واحياناً يقصد بها  
الطاعن بالسن

وفي الطبقة الاولى بين مشايخ لبنان ممن حكموا في ناحية الجنوب بيت علي الصغير  
فامتدت حكومتهم من جسر القاسمية الى النهر الليطاني بما يتخلل هذا القسم من القرى  
والمدن ومن بلاد بشاره الى حدود الكرمل ومن الكرمل وناحية صدمع مدينة عكا  
كانت تحت سلطة مشايخ الزبادنة ومن النهر الليطاني من ناحية صيدا فاقليم الشوير  
وبلاد الشقيف كانت بيد مشايخ الصعبة الشيعيين او المناولة  
ومن خارج صيدا يميل يبتدي اقليم التفاح وهو آخر حدود لبنان جنوبياً ونمكه  
آل شهاب من صيدا لحدود ولاية طرابلس شمالاً

### الفصل الثامن عشر

في حكومة لبنان وسوريا الاهلية واستعباد الشعب

فالمشايخ الذين تقدم لنا الكلام عنهم كان يتولى امرهم شيخ منهم توليه عليهم الدولة  
بعد ان تعرض عليه الجباية وتطابق له التصرف باحوال الشعب وراحته وكانت شريعة  
شيخنا هذا ارادته

وكان هذا الزعيم او شيخ المشايخ يقيم له معاونين ووكلاء و يطلق عليهم اسم مشايخ  
تعزياً لهم وكان يفرض عليهم مالاً محدوداً ويعدهم ان لا يتعرض لاعمالهم فيمحقون  
ويطلقون لمطامعهم الاشعبية الاعنة في مص حياة الشعب من عروقه بلا شفقة ولا  
حنان وكانوا يستعبدون وبأتون المنكرات في كثير من افعالهم الجائرة

وكان الشعب المسكين يوردي الطاعة العمياء الى حكماءه ويأتمر عنواً باوامر ولاية  
امرهم ولم يكن ادراكه يخوله معرفة انه ما خاق ليكون عبداً عتيقاً لحاكمه . وكانت  
الدولة علة وجود هذا الاعتساف في اعمال رجالها الامناء حيث كانت تطلق للوالي  
حقوق التصرف بولايته بعد ان تنال منه الرسم المعين وكان هذا يولي شيخ المشايخ وهذا  
يولي مشايخ ومعاونين على سلب مال الرعية بما تتوصل اليه بدهم وبقدرون عليه

وكان الشعب لا يرد لهم طلباً لجهله القانون ولذلك كان كفيلاً قوياً لاملأ  
بعاون مشايخه وهو زعيمها وهذا مكلف باشباع بطن الوالي ومن الوالي يرسل ما بقي



عن تلك النفوس الجائعة والبطون المحاوية الى الخزينة الملتببة ومن سوء طالع الشعب  
لا الخزينة ولا بطون المشايخ والوالي تعرف الامتلاء فكانت البلصات متتابعة والنهب  
فانم على قدم وساق  
فنأمل وما نرجوه من ذلك الشعب الذي طاب له الذل والفساد العبودية

### الفصل التاسع عشر

في ان الاستبداد يذهب بالوطنية

كان شيخ القرية ينظر الى الشعب نظر السيد ويسلمه راحته فضلاً عن ماله اين  
شاء وكيف شاء كما تقدم وكان الشعب تعود الطاعة والفساد الجبانة فنام الى الذل وحسب  
لشيخه مزينة عليه ومقدرة له لا مناص ولا مهرب له من جور حاكمه فكان كالنمجة  
تساق الى الذبح بلا معارضة او اقل مدافعة عن حياتها ومن البديهي من شب على هذه  
العوائد والفساد تلك الاعمال الجائرة — والانسان اين عوائده ومأوفه — يستطيع  
الذل والخضوع وكيف لا بذل وحالته كما عرضناها لك كيف بقدر على رد الغزاة وتلك  
جامعته ومع هذا الانحطاط الذي كان فيه شعب لبنان لو قدر لزعامته الاتفاق والانضمام  
ربما كان له النهوض ونض الشعب على مناصرته في رد الاتراك والاجانب عن وطنهم  
ونظروا استقلاله ولكن اين كان ذلك الشعب حتى وولاة اموره لم تكن تعلم من الوطنية  
غير جمع مال الشعب والى الهار مقدرتها عليه  
وبعد ان علمت حاة الشعب في عصر حوادث كتابنا صار من السهل علينا افذاك  
ميتها وثبوتها وهانحن شارعون بسردها

### الفصل العشرون

في نشأة وسيرة احمد باشا الجزائر

جل ما نعرف عن نشأة هذا الرجل انه قدم من بشناق احدى الولايات العثمانية الى  
مصر وقيل انه دعي بالجزائر بعد ان شاعت اعماله البربرية ومما جاء عنه في تاريخ نابليون  
بعد حصاره عكا ورجعه عنها بالفشل والخيبة مانعه «وكان من قبل الدولة التركية وال  
على عكا بدعي احمد باشا الجزائر ممي بالجزائر لظلمه الشنيع وذبحه الا برار ذبح الذاج

ويعنون بلقبه جزار الغنم صاحب المقصبة لظلمه وكثرة شروره ونسأوته حتى على عائلته التي ذبحها ذبح النعاج»  
وسواء دعي جزار الظلمه وغدره او كان ذلك له فلا يهيننا اثباته الآن ولما من اعماله التي نوردتها عبرة للبصير

وكان احمد الجزار داهية كبيرة ذا مطاعم شعواء وشجاعة نادرة واقدام ورجل مثله "انصف بمنل هذا الاخلاق تحتاج اليه الدولة وهي تفتش عن امثاله لتجعله من اتباعها الامناء فقد بعثت استحضرت اليها المشار اليه وحالا ارسلته الى مصر ليفتك بالامراء المماليك ويريجها من شرهم فقدم الجزار الى مصر ودخل في خدمة فرسته ولما نوطن البلاد وعرف مالكمها وكان في ذلك قد قطع الجانب الاعظم من مهمته التي حضر لاجلها حيث توصل بدهائه الى جلب ثقة اسياده المماليك به واجماع من عرفه منهم على محبته والاعجاب بنشاطه وحق ينفذ ماأرب الدولة اولم وليمة على نفقته دعي اليها جماعة من الامراء المماليك فالذي حضر منهم واجاب دعوته كان ذلك النهار آخر ايامه لان المذكور صاحب الولية اكثر لضيوفه من الخمر حتى فقدوا رشدهم ثم نهض فذبح الواحد بعد الآخر الى ان فلك بجميعهم وقد عرف بعد ان اقدم على هذا العمل الابتدائي انه غير كاف لتحقيق امنيته في اعادة مصر الى الدولة ففر الى سوريا من وجه المماليك وحول نيته الفاسدة عن المماليك الى امراء لبنان

### الفصل الحادي والعشرون

في وصول احمد الجزار الى دير القمر

واول مكان حط رحاله فيه دير القمر مركز الامارة حيث كان مركزها بها حيفا وبيروت شتاء . وكان امير لبنان وقتئذ الامير يوسف الشهابي الذي كانت تمتد سلطوته على تخوم لبنان الغربي والشرقي وعلى مسافة ميل عن صيدا الى عكا شمالاً فحصى واحياناً حلب

وهذا الامير كان تفوذه على سوريا برمتها فضلاً عن شرقي لبنان وغربه حيث كان له نسيب حاكم على لبنان الشرقي وهو مقيد بأرادته



وكان غرض الجزار التقرب من امراء لبنان لاغراض ائيمة وهي الغدر بهم وابقاد نار الفتنة بينهم وبين المشايخ

وكان يتردد على قهوة الميدان بالقرب من مسكن الامير ومن دهائه ومكره كان يتردد الى ذلك المكان باوقات معلومة طمعا في ان يراه الامير من احدى نوافذ القصر وكان ظاهره يدل على المسكنة والفقر مما جعل الامير عند ما اتفق له وراه اكثر من مرة ان يبحث عنه وقد سأل بعض رجاله ف قيل له انه تركي قدم من مصر مطروداً

وللحال امير الامير كاختيه الشيخ غندور الخوري ان يحضر الجزار اليه ( وكاخية لفظة تعبر عن كاتم امرار الامير او نائبه والشيخ غندور الخوري هو جد غندور بك القاطن بلدة عندار والمدرسة التي انشأها بطريرك الكاثوليك فيها هي نفس بيت الشيخ غندور ) ولما مثل الجزار امام الامير سأل كاتم سره الشيخ غندور ان ينظر في امره ولم يكن من حضرة الشيخ الا الاعجاب والاطناب به امام الامير الذي سمح بادخاله في بطانته وربما كان رأي الشيخ الاستعانة به لدى والي صيدا لان واليها تركي مثله

والامراء كانوا بكثرون اعداد حاشيتهم واتباعهم ويرحبون بكل من يعرض لم نفسه لخدمتهم

ولم يكد الامير بلفظ جعل الجزار من اتباعه حتى سر من هذا الفوز وبش له وقد امر له الامير بكوة وجواد مع بقية ما يلزم النارس من السلاح وعين له مكاناً لياوي اليه وقربه اليه وفي الوقت القصير اصبح الجزار اقرب الى الامير من بقية رجاله

## الفصل الثاني والمشرون

### في ارتقاء الجزار الى منصب الحاكم

ومن ذلك الحين اخذ الجزار يعد المعدات لاتمام حياته واول اعماله كانت ترمي الى تحقيق ثقة الامير به والاعجاب باعماله التي تجعل صاحبها ان يكون ذا نشاط وحذق وقد تحققت امانيه حيث اخذ الاعجاب من الامير به مأخذه وقد رفاه الى رتبة اغا ووجه حاكماً على بيروت

فاظهر الجزار حزماً غريباً وحكمة في منصة الاحكام يبرز بها على معاصريه ولتتالك



الرعية عن الاطئاب به والثناء عليه حتى بلغ اعجابهم به . مسامع الامير فزادت ثقته به  
ومر بالصدفة التي قادته اليه ولو كان الامير علم الغيب لتخلص من الجزار وعفى نفسه  
من شروزه وويلاته

ولما انس الجزار ان ثقة الامير به قوية عرض عليه ترميم اسوار بيروت وحسن له  
السرعة في العمل خوفاً من بطش الدولة به واستيلائها على البلاد ولم يعلم الامير ما يمكنه  
صدر ذلك الجزار من الشرور والمقاصد الفاسدة فاستحسن رأيه ووافقه على ترميم اسوار  
المدينة على نفقة الحكومة وفوض اليه مراقبة العمل وفي الحال قام الجزار ونادى بالسخرة  
فاجتمع اليه عدد غفير من الاهالي وبدأوا في العمل الذي اوجبه عليهم الجزار حاكم  
المدينة وقد ناظر العمل بنفسه وانتهى من ترميم الاسوار في مدة قصيرة ولما درى الامير  
به اثني عليه وانعم عليه بالالقب وكان يخاطبه كقرب الناس اليه . ولم يكن اعجاب الشيخ  
غندور يقل عن اعجاب الامير باعمال الجزار وما ابداه من الصدق والاخلاص ( ولو )  
كلمة يقال مع الاسف فلو دريا ان هذا الرجل سوف يجلب على سوريا مجازر وكروباً  
تنفطر لها القلوب دماً لكنا اول من سعى الى التنبكيل به

### الفصل الثالث والعشرون

في ترقية الجزار الى منصب الولاية وصلاح بيروت عن حكومة الجبل

ومما يجدر بالذكر ان احمد اغا الجزار بعد ان انجز عمله من تحصين مدينة بيروت  
ورأى ان الفرصة لو ثبته الاخيرة قد حانت عمل على انتهاء تعليماته ورغائبه الخصوصية الى  
الدولة على يد من يثق به . ولم يكن له غير ناظر قافلة البريد او سواه وفي ذلك الوقت لم  
يكن يريد الدولة منتظماً كما هو عليه الآن فكانت الاخبار تصل الاستانة ببطء عظيم  
وكان رجال الدولة حكام الولايات ومن شاء المخارة مع رجال الاستانة ينتظرون قدوم  
قافلة البريد المؤلفة من بضعة انفار وما ينيف عن ثلاثين جواداً لنقل البريد والمبادلة في  
اثناء الطريق . وكانت الاهالي مضطرة ان تقدم لرجال البريد من طعام لهم وخبول  
مع عايقها متى شاءت السؤال عنها كل ذلك لوجه الله . وقد يموت للرعية من الخبول  
في هذا الطريق عدد وافر في كل سفرة والمساءة بين صيدا والاستانة ركوباً تستغرق  
اربعين يوماً ورجال البريد كانت تقطعها في اسبوع او اقل . فتأمل رعاك الله كم



كانت الاهالي تشكبد من المشقات والخسائر  
وكان هذا البريد يمر ببيروت اولاً وصيدا ثانياً وكان كلما وصل الى بيروت يظهر  
الجزار لرئيسه كل حفاوة واكرام وكان يظهر للامير انه يفعل ذلك حبا بمصلحة الجبل  
التي هي مصلحته

وفي المرة الاخيرة مرّ به مع البريد احمد ثقات الدولة مرسلين من قبلها للمرافقة  
ونخص اعمال رجال الولايات وامرائها ومشايخها وقد سر اليه الجزار نضج معدات  
مهمته ولا ينقصه لابرارها الى حيز العمل غير توليه على صيدا واذ ذاك يسهل عليه  
الفنك بامراء ومشايخ البلاد ويخضعها للدولة بعد ان يرفع عنها سلطة الامراء الحالية ولما  
بلغت رسالة الجزار الى مسامع الدولة على يد ذلك المندوب من قبلها ارسلت له فرمان  
ولاية صيدا

ولما رقي الجزار الى رتبة الولاية واصبح اليك على صيدا لقب بالوزارة والبشوية  
ولاية صيدا تضم نصف سوريا تقريباً واصبح سيده الامير يوسف يصدع باوامره  
ويرهب بطشه

وكانت ولاية صيدا توجه حكومة الجبل الى الامير الذي تختاره من آل شهاب  
وترى فيه الكفاءة بعد ان تفرض عليه جزية مهرباً لاستقلاله الداخلي وعلى جاري  
العادة وجه الجزار ولاية لبنان الى سيده الامير يوسف وكان بإمكانه تعيين سواء  
ولكنه راعى في هذه المرة خاطر من كان السبب في ارتقائه فابقاه بوظيفته بعد ان  
ساخ بيروت عن حكومة لبنان واصبحت تلك المدينة تحت سلطته

وبعد ان كان والي صيدا لا يحكم من الولاية غير صيدا وضواحيها فقط وما بقي من  
البلاد والقرى يحكمها الامراء والمشايخ اصبح والي صيدا على عهد الجزار يحكم بيروت  
علاوة عن ولايته المحدودة

فقبل الامير يوسف الولاية بالرغم عن كدره الشديد من اخراج بيروت عن حكمه  
وبدلاً من ان يقيم الاعتراض على الجزار ويناقشه الحساب ويرد له الكيل فيطرده عن  
صيدا ويرجى لبنان منه ومن فساد ابدى شكره له وامتنانه من بقائه في مصلحته  
وانى له مقاومة الجزار والتغلب عليه وامراء لبنان في ذلك الحين لاهون عن

العموميات بالخصوصيات

وسيان عندهم عمرت البلاد او خربت . لذلك فلوم الامير يوسف على تقاعده



ونعذره في عدم اظهار مقاومته للجزار والسبب الذي يحملنا على ملائته هو ما اظهره من الجبانة في مقاومة خادمه واذا كان عذره عدم الالفة ومعاذته من الرعية فوجوده حاكماً عليها يولد الالفة بين افرادها والمحبة في نصرته على العدو المازق — ونعذره لان الشعب كان لا يفرق بين من حكمه في الامس ويحكمه في الغد لان الحكم كانوا يضرّبون على وتيرة واحدة وهي اذلال الشعب وتجسيم خسارته من يوم الى آخر

## الفصل الرابع والعشرون

في الاستيلاء على عكا وقتل الشيخ ضاهر العمر

وبعد ان نزع الجزار في دست ابالة صيدا شرع في تنفيذ ما ربه باهلها وكانت با كورة اعماله فرض سلطة المشايخ الداخلية وقد حدثته نفسه بالاستيلاء على عكا وفرض سلطة مشايخها آل ضاهر العمر وكان صاحب الوجاهة والحكم على عكا له النفوذ عند الدولة لمناعة حصون المدينة وما نالته من الشهرة في حروبها القديمة . وحاكم عكا على الاطلاق وخصوصاً من وقعت على ايامه هذه الحوادث الشيخ ضاهر العمر كان له السلطة في عزل والي صيدا وتعيين سواء محله متى شاء فتنبه له الجزار واخذ بقدر فكرته في ايجاد واسطة يتوصل بها الى الفتك به والاستيلاء على منصبه

ولما كان الشيخ ضاهر ذا ثروة طائلة كان من السهل على الجزار ان يوقع به ويعلق مطامع الدولة في ماله الكثير فتبدده واذا رفض طلبها تبطش به . ولما حسن لديه هذا الرأي بعث الى الدولة فاخبرها عن تصرفات الشيخ وعظمته الفائقة وثروته الفادحة وفي الوقت ذاته اخلص له زمرة من الرجال وارسلهم الى عكا وسعى لهم لدى الشيخ ان يدخلهم في خدمته فاجاب الشيخ طلبه غافلاً عن غدر الجزار وما خبأت له الافدار . فادخلهم حصن عكا واوكل بهم معدات الدفاع في وقت النزال

وما حسب به الجزار حدث تماماً فالدولة بعثت عمارة للتطواف وزبارة المدن الساحلية بقيادة حسن باشا وكانت اول مدينة رست العمارة في مينائها عكا فعرض حسن باشا للشيخ ضاهر العمر طلب الدولة وقدره نحو ستمائة الف غرش فرفض الشيخ الطلب



حيث داخله ربيب في صدقه وكان الشيخ يعتمد على المعلم ابراهيم الصباغ فاستخضره وعرض له المعضلة فاشار عليه بعدم الدفع ولكن بعض مستشاري الشيخ خالفوا رأي المعلم ابراهيم واوجبوا على الشيخ تقديم الطلب للدولة من الخزينة وجمعه من الشعب بعد حين فقال المعلم مسكين الشعب يكفيه ما هو عليه من الفقر والمذلة . ثم قال ان الدولة طلبت الآن هذه القبيحة فاذا قدمتموها زادتك مثلها وطمعت بك وتظل تجد الطالب الى ان تثق بفراغ يدك وعند ذاك نرغمك على ترك منصب الولاية وهناك البلية وفضلاً عن ذلك كله انت تعلم ضعفها وعجزها عن مقاومة عكا فالأفضل لك ان ترفض طلبها الجائر ولا تطعمها ببال رعيتك وان تحرشت بك فاسوار عكا تهزأ براكبها وقوتها

فارتأى الشيخ رأي الصباغ ورفض اجابة الدولة على طلبها وعده جازاً فعاد حسن باشا الى عمارته فانزل جيوشه وشرع بواصل قلعة عكا ناراً حامية ونهض الشيخ ليقابل القوة بالقوة ويولي العماره ناراً من مدافع القلعة المشهورة لكنه حظي بالفشل والحقارة من رجاله الذين هم صنيعه الجزار وسخروا به ولم يحفلوا بأمره بل عطلوا المدافع وانضموا الى عسكر حسن باشا ولما نظر الشيخ ما وصل اليه امره مع رجاله وما حل بقاعدة دولته فر من عكا نجاة لنفسه لكن رجال الانراك لحقوا به وقتلوه خارج السور ودفنوه هناك وبموته انتهت دولة مشايخ الزيادة في عكا بعد ان حكموها اعواماً طويلاً ولما انتشر مقتل الشيخ في المدينة هان على حسن باشا الدخول اليها بجنوده وقد تم له فتح عكا في سنة ١٧٨٠ . وبعد المعركة قبض حسن باشا على اولاد الشيخ وابراهيم الصباغ وقبض اموالهم واملاكهم واطلق لرجالهم التصرف في نهب المدينة فنهبوها . وفي عودة حسن باشا الى الاسكندرية اصطحب امراءه واموالهم بعد ان تصرف باملاكهم وبلغت ثروة الشيخ ضاهي التي دخلت خزينة السلطنة فقط ثلاثة وثمانين الف كيس فضلاً عن بعض امانة ثمينه وكان نصيب اولاد الشيخ السجن . اما الصباغ فاطلق سراحه بعد اشهر مرت على وصوله . وقيل في سبب عفو الدولة عنه انه وصف دواء له نيلة السلطان التي كانت مريضة وعجز الاطباء عن معرفته مرضها فلما العلاج الذي وصفه لها الصباغ كان العامل الوحيد على ابلالها فكان جزاءه اخراجه من السجن ونجته حريته فسعى جهده ليخرج اولاد الشيخ من السجن ويرجع بهم الى عكا فلم يفلح . وبطل ان ينوي على الرجوع دعاه حسن باشا الى وثيقة اعداها على ظهر العماره ولم يبلغ المسكين ظهر السفينة



حتى امر حسن باشا بشنقه فذهب الصباغ وذهبت امواله الوافرة  
ونال الجزار بعد رجوع حسن باشا الى الاسنانة انتقال مركز ولايته اليها وفي  
ذلك اضافها على ما اضافته الى ولايته قبلاً بيروت فامتدت سطوته واصبح نفوذه يحترق  
هضاب سوريا ولبنان

### الفصل الخامس والعشرون

#### في مطامع الجزار

لما نربع الجزار في كرمي عكا شرع في ترميم حصونها واذخار المؤونة الحربية وقد  
تحدث في انتقاله الى عكا فانتحل لنفسه عذراً وذلك انه لما كان للشيخ ضاهر العمر واولاده  
احزاب يخشى من وجودها على الراحة العمومية اقتضت الحاجة خروجه اليها بنفسه  
لاخضاع تلك الاحزاب ولذلك اضطر الى نقل مركز الولاية . ولكن كثيرين كانوا على  
المعرفة الاكيدة من قصد الجزار من هذا الانتقال . وكان الجزار يستعد لانشاء دولة  
مستقلة عن دول الارض قاطبة . فرأى في حصون عكا عوناً كبيراً لتتيم مطامعه  
ولذلك كان يكثر عنده من رجال البشناق ووطنه الاول والاكراد العناية وقرب اليه  
المشايع ليعضدوه في اعداد دولته العتيدة وكان بين المشايخ اقوام الشيخ طه الذي اشتهر  
بظلمه وجوره

### الفصل السادس والعشرون

#### في ابقاد الفتنة بين مشايخ صعب وامراء لبنان

وبعد ان تمكن الجزار من عكا واخضع البلاد التي كانت لتولاها مشايخ  
الزيادنة وصفدنواحيها اضرم الفتنة بين الامير يوسف الشهابي وبين مشايخ صعب  
حكام بلاد بشاره والشقيف وقصده من ذلك اضعاف الفريقين ليستولي على بلادها  
غنيمة باردة وبذل اهلها في الحروب الاهلية بدون ان ينفق عليها مالا او رجالاً وكان  
يخشى اتحادهما عليه اذا تظاهر بعداوة فريق منهما



فاصبحت الحرب سجالاً بين الفريقين وطال امد اشتغالها حتى اسفرت عن انتصار  
البنانيين وفشل مشايخ آل صعب وعجزوا عن حفظ استقلالهم

## الفصل السابع والعشرون

في خروج الجزار على آل صعب

ولما رأى الجزار فشل آل صعب الشيعة انتهر الفرصة لاعمال سيفه في رفاهم فخرج  
عليهم بعسكره المؤلف من الاكراد والانراك واعمل بهم السيف واستباح اعراضهم  
ونهب اموالهم بعد قتل عميدهم الشيخ ناصيف الضاهر وبدد رجاله وتعضعت بقية  
المشايخ وفروا من امامه لا يلبثون على شيء . فكان ذلك يوماً شديداً للمول على الشيعة  
المناولة اشباع صهر النبي علي بن ابي طالب امام المسلمين العظيم . ولا بدع فتهتك  
حرمة العرض واغتصاب العذارى من شيم اللثام واذا كانوا استحلوا هذه الاعمال الوحشية  
في اقرب الناس اليهم مذهباً فكيف يكون شأنهم مع قوم يختلفون عنهم مذهباً

## الفصل الثامن والعشرون

في توجيه ابراهيم مشافة حاكماً على بلاد بشاره والشقيف

ولما وضعت الحرب اوزارها واصبحت بلاد بشاره والشقيف تابعة لولاية الجزار  
مقيمة باوامره وارادته استخضر اليه ابراهيم مشافة جد جامع حوادث كتابنا ووكل اليه  
ادارة الحكم على تلك المقاطعة مع معاون له من المسلمين . وكان ابراهيم على جانب عظيم  
من الذكاء صاحب ادارة وفضل وكان يعاطى قبلاً تجارة التبغ مع اهل بلاد بشاره .  
لذلك رأى الجزار انه قد اصاب الغرض بتوليها عليها لانه الرجل الذي يريد لعظم ثقته  
به ولما عرفه عنه من الشيعة سكان البلاد

فتوجه مشافة الى ولايته وجعل مركزه في قلعة مارون وقد احسن الادارة وعامل  
الرعية بالقسط والعدل ونال ثقة الاهالي فضلاً عن ثقة الجزار وظل في منصبه الى آخر  
ايام حياته مكرماً ومعزز الخاطر . ومن اعماله الماثورة انه كان في اثناء تجوله في ولايته

يرى بعض العيال من النصارى مهضومة الحقوق ومحرومة من تأدية فروضها الدينية فكان يساء على نيل حقوقها المدنية والدينية وبني للروم الكاثوليك كنيسة واحضر لها كاهناً

وهكذا كان شأنه مع بقية الطوائف والمذاهب وظلت فئة من المشايخ حافدة على الجرار ومن لف لفه فكانت تعيش في البلاد فساداً ونسب الامنية بالرغم عما احرز ابراهيم من الثقة في استقامته وانصافه . وكان الجزار يقتني آثارهم ويفتك بمن لحق به وادركه حياء منهم . واتفق لابراهيم مشافة وهو في زيارة الجزائر انه شاهد في محل الاعدام خارج سور عكا مشهداً نصطك له الركاب رأى ما ينيف على اربعين شخصاً من سكان ولايته مسافرين للاعدام فصاصاً لما كانوا يقدمون عليه من سلب الراحة وفقد الامنية كما تقدم ولم يكذب بل بلغ المحلة الا وشاهد ستة وثلاثين منهم كان قد قضى عليهم واربعة منهم لا يزالون في انتظار فراغ المحل . وطريقة الاعدام في ايام الجزار متنوعة واغلبها على الخازوق فكانوا يجلسون المجرم على الخازوق جلوساً عادياً او باقونه على بطنه او جنبه وتدخل حربة الخازوق في جسمه من جانب وتخرج من الجانب الآخر . فتوسط ابراهيم للاربعة لدى رجال التنفيذ ريثما يقابل اميره الجزار بشأنهم وقد حصل على وعدهم في ان يوجلاوا تنفيذ الحكم بهم ريثما يعود اليهم اما بالعمو عنهم او في بقاء الحكم على اعدامهم . . . ولما كان لابراهيم المنزلة الرفيعة عند الجزار وسمعه يخاطبه بشأن المجرمين عفى عنهم وسلمهم اليه فوعده ابراهيم بتقديم فدية عنهم فضلاً عن تعهده بان لا يعودوا الى اعمالهم السابقة . ولما درى الرجال بالعمو عنهم وبين كان السبب في بقائهم احياء بعد ان شاربوا الموت تقدموا الى ابراهيم وقالوا له نحن الآن طوع بنائك . فطلب منهم الذهاب الى بيوتهم والاخلاد الى السكينة والسلام . فأبوا ان يتركوه وقالوا له لا تفارقك ايام حياتنا فقد اشتريت لنا الحياه بنفوذك ومالك فاصبنا عبيداً لك ونريد ان نخدمك بارواحنا لانها منك وقد كنا من المعدمين كرفاقتنا الذين ماتوا اشنع المينات وافتديتنا دعنا نقيم على ابوابك الى ما شاء الله فقبل دعوتهم وارجعهم معه الى ولايته . ومأثرة كهذه تشهر فاعلمها اين كان ومهما كانت منزلته في قومه ولا مشاحة انها جعلت اسم مشافة اشهر من نار على علم واجمعت قلوب رعيته على محبته والافتار بشهامته وكان الاربعة المذكورون اصدق خدمته واكثرهم نشاطاً واخلصهم على مصالح قاديتهم



## الفضل التاسع والعشرون

### في المؤامرة على قتل ابراهيم مشافة

ولما كانت المتأولة اهالي بلاد بشاره والشقيف خاضعة للجزار خضوع المغلوب لبثت  
تترقب الفرض لارجاع استقلالها واعادة الحكم لرجالها فتفرد منهم عصابة وقرأهم على  
القدر بالجزار وقتله وقتل ابراهيم مشافة وطرد جنود الجزار من بلادهم  
وفي ثاني الايام دخلوا على ابراهيم مشافة وطلبوا مواجهته وبينما كان يخاطبهم بلطفه  
المعهود وثب عليه احدهم مشهراً يده خنجرأ يريد زرع في صدره ولولم يرم بنفسه  
رجل ( وهو احد الاربعة المار ذكرهم ) امام سيده ابراهيم ويتلقى بصدرة الطعنة لكان  
قضي على مشافة كما قضي على رجال الشهم الذي لفظ روحه بعد دقائق قليلة وقبل ان  
يلفظ تلك النفس الشريفة من صدره قال لسيدة ابراهيم انني اشكر الصدفة التي  
ساعدتني على مكافئتك

وعند ذلك هجمت رجال مشافة على العصابة وبددت قواهم وفتكت ببعضهم وكان  
ابراهيم شجاعاً فابلى بهم بلاء حسناً

وبعد هذه الحادثة بلغ مسامع ابراهيم عن ثقة ان المنزعين سوف يعيدون عليه  
الكرة بعدد اوفر ولما لم يكن لديه حامية كافية طلب تجانبتهم فجمع حاشيته وقام بها الى  
عكا حيث قص على الجزار ما حدث له وكيف جماعته لا يقل عددها عن الالف لحقت  
بهم ولما لم يظفروا بوطرهم نهبوا ما وجدوه في بيته وطلب منه ان يعفيه من الوظيفة

## النصل الثلاثون

### في توجيه ابراهيم مشافة حاكماً على بلاد بشاره والشقيف ثانية

ولم يكن ماسمعه الجزار من ابراهيم مشافة بالامر السهل عليه فقام وقعد له وبالخال  
امر بتجهيز عسكر لاخضاع العصابات ولم يقبل طلب مشافة من حيث اعتقاره من  
الوظيفة بل طلب منه ان يعود الى تلك البلاد مع الحملة  
وقامت الجنود ومعهما قام ابراهيم مشافة الى ولايته لينفك بالعصابات ويرغمهم الى  
المسالمة وقد التفت الجنود بالعصابات الى حدود البلاد المنيحة ودارت رحى الحرب بينهم

وبعد قتال شديد انجلت المعركة عن ثلثائة قتيل من المتسائلة وعدد وافر من الاسرى وانهمزامهم . اما الاسرى فسيقوا الى عكا حيث جرى اعدامهم على الخازوق في حال وصولهم . وظلت الجنود تطاردهم وتنتوغل في النهب والسلب الى ان اخلد المتسائلة الى السكينة ودفع غرامة الحرب

ثم نشر الجزار امره بينهم وهو ان كل من اشتهى اوسطا على ابناء السبيل واخذ براحة البلاد وسكانها فصاحه الخازوق وهذه الثوره كانت الاخيرة فاخذوا للطاعة رغماً عن انوفهم

### الفصل الحادي والثلاثون

#### في عزل امير لبنان

وبعد ان اذل الجزار الزبادة والصعبيين وأمن على نفسه منهم عمد الى الاستيلاء على لبنان والضغط على سكانه

وكانت باكورة اعماله سلخ بيروت عن حكومة الجبل كما تقدم في حينه اما الآن فبعث بسأل الامير يوسف ( سيده سابقاً ) اجابته على مطالب مستحيلة وارفق طلبه عدم قبوله عذراً عن تاخيريه وما ذلك الا ليحبره على شق عصا الطاعة ليكون له العذر في الهجوم عليه والتنكيل بمن صده

وفضلاً عن جسامه طلبه المالي سال الامير ان يرفع يده عن اقاليم الحروب والتفاح وجزين . وكان من الامير يوسف انه اجاب مطالب الجزار وامثل لاوامره الصارمة . وكان من الجزار تكرار مطالبه حيناً بعد الآخر حتى ابلغ الامير عجزه عن القيام بها واضطره الى الجلاء عن دير القمر مع حاشيته فقام الامير مع افراد عائلته وبعض اتباعه من دير القمر وتوغل في بعض قرى لبنان الداخلية خوفاً من بطش الجزار ولم يتخذ له مركزاً معروفاً فكا ينتقل من درروردت ومجدل معوش الى عبيه وشحلال حتى لا يهتدي على محل اقامته جواسبس الجزار وكان الامير يوسف ظالماً عاتياً فظ الطبع كثير السيئة في اقرب الناس اليه وقد حدث له فقتل اخيه الامير افندي وسمل بصر اخيه السيد احمد والد الاميرين سليمان وفارس المتوفيان بقربة الحدث من عهد قصير وفتك



باخواله الامراء اسماعيل و بشير خوفاً من مزاحمتها له في السيادة . واذا كانت اعماله تركت هذه الآثار في اهله فكيف تكن تصرفاته البربرية في افراد رعيته  
 وكان عند الامير يوسف فتى شجاع وهو نسيبه الامير بشير الكبير بن الامير فاسم بن  
 الامير عمر بن الامير حيدر الجبل الجامع لعائلة الامراء الشهابيين وهذا من امراء حاصبيا  
 ابن الامير موسى الذي حفر اسمه على جسر نهر حاصبيا ونسبه بالنقي بنسب الشهابيين في  
 لبنان ونسب الامير سعد الدين امير حاصبيا الذي قتل في حادثة الستين  
 وهذا الامير تزوج بارملة الامير بشير خال الامير يوسف الذي غدر به الامير  
 يوسف بعد استحضاره من ولاية حاصبيا فني ذهب الامير الفتى الى تلك الولاية وضبط  
 متروكات خاله رأى ارملة المغدور به فاحبها وتزوج بها وكان لها اولاد من زوجها الاول  
 الامير نسيم والاميرة خدوج  
 والارملة هي الامير شمس المديد شقيقة الامير قعدان قاطن عبيه وكانوا يتزوجون  
 من بعضهم لا العقائد المذهبية ولا لجة القرابة تمنعهم  
 وقد ولدت له ثلاثة اولاد الامراء امين و خليل وقاسم . ولما كان الامير بشير  
 الكبير شب في بيت الامير يوسف نال ثقته واصبح من الذين يعتمد عليهم في كل شؤونه

### الفصل الثاني الثلاثون

في تعيين الامير بشير الكبير حاكماً على لبنان وفتى الامير يوسف  
 وبعد ان قرأ الامير يوسف رجاله من وجه الجزار كما تقدم فاوض الامير الفتى  
 (الذي عرفنا ثقة الامير يوسف به من الفصل السابق وكيف كان معروفاً بالامير بشير  
 الكبير) في الذهاب الى عكا ومقابلة الجزار وكان قصد الامير يوسف ان يجعل الامير بشير  
 الكبير حاكماً على الجبل حيث يأمن جانبه ويوثق به اكثر من سواء  
 فرفض الامير بشير الذهاب ومقابلة الجزار في بادىء الامر وقال للامير يوسف :  
 اخشى من الجزار ان يحباني على قتالك ولكن الامير الخ عليه حتى اقنعه بالذهاب  
 وتقدم واجب الطاعة للجزار مع الجزية بعد ان اشترط عليه اذا جعله الجزار حاكماً  
 على لبنان وامره بمقاتلته وطرده من البلاد يركن الى الفرار وقد صمم ان يجعل ابن رجاله  
 ورجال الامير يوسف فسحة تمكنه ابلاغه في قدومه اليه وتمكن الامير يوسف من القيام في

وجهه . كل ذلك حتى لا يجعل هذا الامير الشهم سبيلاً الى رجال الجزائر من الفتك  
باهل لبنان فقبل الامير يوسف هذا الشط وقبل الامير بشير الكبير اذ ذاك القيام  
الى عكا فقام واصحب معه عدداً من وجوه القوم مثل ابراهيم الطرابلسي ويوسف عزيز  
وسواهما من البواصل



الامير بشير الشامي الكبير

وفي طريقه مرّ بصور ونزل ضيفاً كريماً على ابراهيم مشافة الذي اكرم وفادته  
وانزله على الرحب والسعة ومن ذلك التاريخ اصبح ابراهيم مشافة من المقربين الى  
الامير بشير وفي ثاني الايام قام الامير الى عكا فارفق ابراهيم مشافة رجل ثقة مع الامير  
وحمله توصية الى الشيخ طاهرا كاتم امرار الجزائر ومستشارة واخرى الى اولاد السكروج  
اصحاب النفوذ عند الجزائر وحضهم على مساعدة الامير . ولما وصل الامير الى عكا  
وقابل الجزائر حصل على الاكرام اللائق وفي الحال عينه الجزائر حاكماً على لبنان والبسه  
خلعة الولاية بعد ان استوثق منه على العهد النظامية وكان ذلك سنة ١٧٨٥

### الفصل الثالث والثلاثون

في رجوع الامير بشير الى دير القمر وغدر الامير يوسف به  
وبعد ان وجه الجزائر ولاية لبنان الى الامير بشير الكبير امره على قيادة الحملة في



مقابلة الامير يوسف واخراجه من لبنان . ولما الحملة اعدت استسلم الامير بشير  
قيادتها وعاد بها الى دير القمر . وهنا لا بد لنا من ارسال كلمة نذكر بها الفاري . ان  
الامير يوسف هو الذي احتفل بالجزار وادخله بخدمته وولاه على حكومة بيروت وخطابه  
مخاطبة الصديق ووثق به وسعى في ترفيته .

ولما وصل الامير بشير الى صور بعث امامه اعلام تعيينه الى الجبل وانبا الامير  
يوسف بالحملة التي يقودها للتشكيل به وطلب منه ان يبر بوعده ويقوم من الجبل  
ولا يفتح سبيلاً لحدوث الفتن واهراق الدماء وافاده انه مأمور باخراجه وسوف يقوم  
من صور الى دير القمر بعد يومين من تاريخ الرسالة .

وفي ثاني الايام عرج الامير فنزل صيدا ومنها قام الى دير القمر فلاقاه وفد من  
اعيان لبنان وهناؤه بعودته ظافراً واخبره بعضهم عن قيام الامير يوسف عن طريق المتن  
واخر الامير وصوله الى الدير يوماً آخرًا ليحعل للامير يوسف فرصة وافية للفرار  
من وجه جنوده . وبعد وصوله لمركز الولاية بابام نهض الى مطاردة الامير يوسف الذي  
ظنه اعقل من ان يجعل سبباً لسفك الدماء ولم يدر في خلده غير اعتقاده الشريف  
بقيام الامير بوعده شأن الحر المستقيم .

اما الامير يوسف كان يضم شراً وينوي فساداً فقد وطد رأيه جماعة التفوا حوله  
وحسنوا له الايقاع بالامير بشير غدرًا وتبديد رجاله فوراً فكمن مع عصابة لحملة الجزار  
في مضيق وبات يترقب قدوم فريسته اليه ليقبض عليها ويريح البلاد شرها من ولم يعلم  
انه اضاع الفرصة حين كان له ان يفتك بذلك البشناق ويريح نفسه ووطنه منه وفضل  
الشخصيات على العموميات واشغل نفسه عنه بقتل اخوته واخواله واذلال اقباعه  
المخلصين واني له الآن ان يقهر الجزار بعد ان امتدت شوكته وملك حصن عكا  
واصبح امنع من عقاب الجو .

فلو لم بشير العداوة لمشايع آل صعب المتأولة بل سالمهم واتفق معهم وقتئذ على  
مقابلة الجزار وطرده من الوطن واعفاء بنييه من ظلمه لو فعل ذلك لكان بالامكان ترجيح  
نصره اما الآن فيعد عمله تجرشاً وطيشاً .

وبينا الامير بشير مع رجاله يعبرون مضيق كان قد كمن فيه الامير يوسف ورجاله  
اخذته الخيرة بغتة حيث رأى على حين فجأة الامير يوسف شاهراً بوجهه الحسام  
ووراءه عصابة فتبين له اخلاف الامير وعده .



وفي الحال امر رجاله بالمجيء عليهم وكان هو اول المهاجمين لانه انصف بالشجاعة  
 وكان قائداً محمداً وخبيراً بنفوس الحرب والشاهد انه في حروبه الكثيرة كان النصر دائماً  
 رائده وبعد ساعات قليلة انجلى المعركة عن انهزام الامير يوسف وقتل عدد من رجاله  
 وظل الامير بشير يطارده الى ان اخرجته من حدود لبنان او بالاحرى ولايته  
 التي امره الجزار عليها . واذ ذاك عاد عنه الى دير القصر وفي حال وصوله ارسل فاختبر  
 الجزار بما جرى له مع الامير يوسف من الوقائع وكيف انه تغلب عليه فيها وابعده عن  
 حدود لبنان حسب ارادته وتعليماته  
 فسرى الجزار من اخبار الامير بشير وما ناله على يده من المال الكثير الذي اضافته  
 الى الخزينة

### الفصل الرابع والثلاثون

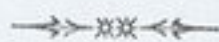
في شتى الامير يوسف وعدد من اتباعه

وبعد خروج الامير يوسف من حدود لبنان ظلت امانيه تحذره بالعودة اليه والتمتع  
 بالسلطة عليه . وكان الشيخ غندور مستشاره يحمي مطامعه فقال له اذهب بنا الى  
 الجزار وذكره بالايام التي صرفها بخدمتك وكيف كنت السبب في ترفيته الى آخر ما  
 هنالك فلا شك انه يندم على معاملته اياك هذه المعاملة ويرجعك الى مركز الاول  
 فجاء كلام الشيخ مطابقاً لاماني الامير فعمل به ففقد عكاً ومعه الشيخ وبعض اتباعه  
 ولما دخل على واليها هش له الرجل بما عنده من المكر واحتفل باستقباله ومن معه وعين  
 لهم محلاً فخياً ولكن لم تطل اقامة الامير والشيخ في ذلك المحل طويلاً فامر الجزار  
 بسجنهما مع المجرمين وكنها بالقيود والسلاسل القوية وكان عمل الجزار مع الامير يحدث  
 نعمته كافراره بانفضل اصاحب الفضل عليه ولكن متى كان مثل هذا شهياً وقادراً حليماً  
 وكان مع الامير ابراهيم غفار سجنه الجزار مع جملة اتباع الامير ورفض اطلاق سراجه  
 ما لم يفع القديبة عن نفسه مع ان ولده خليل غفار كان في ذلك الحين مستخدماً عند  
 الجزار في ثكنة الذخائر الحربية

وصدق في تلك الاثناء ان ثار على الجزار اهالي صفد وتوابعها وامتنعوا عليه فخرج  
 اليهم بنفسه واصلاهم حرباً طاحنة وحاصروهم مدة بالقرب من قلعة واخيراً لما طال عليه  
 الاملد ولم يزل منها مأرباً الغم الثلاثة وكان من انفجار الغم خسارة فادحة عليه وعلى



رجالهم ولم يلحق بالقلعة ضرراً يذكر فظهر على الجزائر الحيرة ولولم تدركه النجدة وراء النجدة لادركه الفشل . ولما رجع خليل غفار الى عمكا كتب الى والده في السجن عن الواقعة وبشره بفشل الجزائر وقرب انحلال دولته وراحه البلاد من جورهم وظلمه فتوصل الجزائر الى الرسالة وعرف مضمونها فاوجس بالامير يوسف واتباعه ان يكون لهم بد بثورة صفد عليه فامر بشنق الامير والشيوخ غندور وابراهيم غفار وولده خليل ونالقت للحال المشقة وسبق المجرمون في اعتقاد الجزائر وهم ابرياء من السجن حيث صار تعاقبهم فذهبوا ضحية الوهم



### الفصل الخامس والثلاثون

في نكبة مومى رزق

وفي رجوع الجزائر عن صفد منتصراً وتنكيله بمحدث نعمته طيشاً بدأ من ذلك الحين يعاقر الخمرة كأنه اراد ان يخدر خلايا ذاكرته ويتنامى عمله النذيع امام الله والهيئة وكان ضعيف الاسلام متهماً به فسخط عليه المسلمون سرّاً ومن غريب حسناته انه كان يعامل الرعية على السواء وظلمه بنال الكبير والصغير بالقسط فكان يسجن علماء ومشايخ المسلمين وكهنة الذميين وعقال الدروز وحاخام اليهود ولا يفرق عنده اختلاف مذهبهم وكان يعذبهم المذابات البربرية بلا ذنب ولا جرم كأنه يريد الترين على عوائده الجائرة وتشغيل رجال التنفيذ عند ما يرام لاعمل لديهم . . . لذلك كان في اغلب الاحيان يخترع من عنده الذنوب ويلقيها على من يشار به اولاً . وكان يقيم بين الرعية جواسيس يتنصتون له الاخبار ولغف القوم عليه وكان الجاسوس يأتيه بالاخبار التي يشاء واذا عثر على مثري كان له بوجوده بشرى امام سيده . وكان الجزائر يرسل يستحضر المشبه به اليه ويسأله كمية وافرة فاذا ابدى بماطلة او تردد في اجابة الطلب كان ذلك من اجل مقاصده فيأمر للحال بتعذيبه او شنقه

وقد بلغ الجزائر خبراً عن مومى رزق انه وقف على كنز من المال في حفله وهو يحرثه وانه مصر على عدم اعلام احد عن محله وقيل له ربما يكون لابراهيم مشاققة شركة معه ويعلم مقر الوديعه فاستحضر الرجل وهو من رعية ابراهيم مشاققة اليه ووعد ان يجزل له العطاء وينعم عليه بوظيفة اذا دله على محل المال — ولما رآه مصرّاً على الكتمان امر



بتهذيبه فطال عذاباً ايماً الى ان دخلت اليه عقيلته بأمر الجزار ربما يخلص لها  
ويرشدها عن محل الكنز . وفي الوقت ذاته بعث معها جواسيس يلتقطون كلام الرجل  
وزوجته ومن حسن الطالع عادت الجواسيس واخبرت الجزار بما سمعته من الرجل  
يحدث امراته ومن بعض ما نقلوه اليه ان المال وفرته لا توصف وان لا شريك له به  
ولا احد يعلم بوجوده لا ابراهيم مشاقة ولا احد من الناس سواء وانه لن يعلم  
الجزار به لانه يتمكن ان يبالغ الدولة وتزداد شروره ويعم فسقه . ولما سمع الجزار ما قاله  
مومى رزق لزوجته تأكد براءة ابراهيم مشاقة وعمل على ايجاد المال فامر بتهذيبه مع  
حفظه حياً ولكن شفقة رجاله الا كراد ابت ان تخفف من الرحمة في صدرها . فقضى  
الرجل وهو بين يديها يتألم من الاوجاع ألواناً بدون ان يهدي على مظمورة الذهب احداً

### الفصل السادس والثلاثون

في المائتين والثلاثين

ومن اعمال الجزار البالغة حد القساوة والظلم انه في ذات يوم امر بتخضير باب  
الحرف والصنائع اليه وكان تنفيذ هذا الامر سهلاً على من تعود الشنق ومشاهدة  
سفك الدماء فحضر اليه التاجر والفاعل والاسكاف والتجار وكل صاحب حرفة من  
المدينة وامر ان يدخلوا عليه فرداً فرداً وكان الداخل اليه يكشف عن رأسه ويتقدم  
من الجزار ليتوضح جلياً في تكييف حجمته وكان يطلق سراح البعض ويبقي على  
البعض الآخر وكان عدد البقي عنده مائتين وثلاثين رجلاً على اختلاف فحلهم وجرفهم  
وعرفنا منهم روافيل قنواقي ومخابيل الباشا

وفي موخر النهار امر بذبحهم ظهرياً عن شاطئ البحر وابقائهم طعاماً للوحوش  
الى ثاني الايام فيدفن فضلات الوحش فساقتهم رجاله الزبانية الى النقطة المعينة وبدأت  
بذبح القطيع دفعة واحدة فما هو ذنب القطيع حتى استحق الذبح او ما هو جرمه لا احد  
يتعلم غير الجزار نفسه وقد يمكن انه هو لا يعلم ايضاً فتأمل في شهداء الظلم والاستبداد  
وفي حكم تلك الايام كيف كانت تختلق الاعذار في تجريم الرعية ولا تحترم لها وجوداً  
ولا ثريها انصافاً



## الفصل السابع والثلاثون

في نجاة مخائيل الباشا عن يد مسلم

اتفق ان رجلاً مسلماً من اهل التقوى والشهامة اتى عكا لقضاء بعض الحاجات ورام الدخول اليها فوجد البوابة مقفلة وتخيّل ان ينتظر بينما تعود الرجال من المجزرة وقد قص عليه خبرها وكيف ان الجزار امر الزبانية بذيبح مائتين وثلاثين رجلاً ظلماً فتمرر القروي من صدى الخبر وظل واقفاً الى ان رجع الجزارون عن القطيع وقد حدثته نفسه ان يمر بمحل المذبحة ولما فعل ذلك رأى بين المذبوحين رجلاً لم يزل يتحرك فاقرب منه وفي نيته اغاثته . لكن الجريح لما شعر بوطء اقدام اليه اخذ الى السكينة فنادى به القروي على ما في صدره من العواطف الاليفة اني نظرتك ايها النعيس فحرك فافدمت لاسعافك لوجه الله فتق بي ولا تحشني ساعدني على الهداية اليك

فاجابه المذبوح بصوت متقطع نعم اني حي ولم امت بعد  
فترجل القروي عن جواده وتقص الجريح فرأى ان جرحه لا ينذر بالخطر لان الضربة كانت لحسن حظه خفيفة فلم تقطع شرايين الرقبة واوردتها فقصده له الجرح على قدر معرفته وانفضه الى ظهر جواده وسار به الى بيته وظل يستحضر له الادوية مراً الى ان عادت الى ذلك المذبوح مخايل الباشا حياته واستحوذ على جانب عظيم من العافية فشكر القروي على معرفته وقام الى دمشق هرباً من الجزار فودعه القروي وساعده على القيام من مال ومتاع

## الفصل الثامن والثلاثون

في قطرة من بحر فظائع الجزار

ومن افعال الجزار الذميمة المستقبحة وجوره في الرعايا التي ارسلته الدولة للذب عن حياضها ودفع المكروه عن ديارها وتأمينها على مالها وحياتها من عدو مداهم وتشريبها عوائد التمدن التركي — فبدلاً من ذلك كانت اعماله تناقض النظام وتختلف عن فصوصه تمام المخالفة

ففي سنة ١٧٩٧ م . توجه اولاد عطية اخوة خليل عطية المهندس المشهور في دير القمر بتجارة الى وادي النيل فاقاموا هناك سنة . قدم الفرنسيون في نهايتها الى مصر بقيادة بطلم العظيم اعظم قواد العالم حنكة وشهرة في الحرب وهو نابليون الاول بونابرت الشهير وتولوا السيادة على تلك الاقطار وطردوا منها الامراء المماليك فلجأ هؤلاء الى الدولة التركية التي اشهرت على نابليون الحرب طمعاً في اعادة مصر الى حظيرتها فحاصرت المواني البحرية المصرية واصبح الداخل لا يقوى على الخروج منها بتلك الظروف . ومن جملة من وجد في داخلية مصر في اثناء الحصار اخوة عطية المزار ذكره وكاهن ماروني من عائلة فباله فادم من مدرسة رومية الى الجبل

وفي احدى الطرق سافر الاخوة مع الكاهن وسبعة وثلاثون نفساً من السوربين الى سوريا عن طريق صيدا لكن الريح فذفتهم الى عكا فقبض عليهم الجزار بعد وصولهم بضع دقائق وفيدم بالقيود الحديدية وعاملهم بفظاظته ولومه المشهورين . ولما بلغ الخبر الى دير القمر ودري آل عطية بما حدث للاخوة نهض منهم اثنهم واتى عكا ليقابل اخوته وبينما هو يقدم الى اخوته في السجن بعض الطعام نظره الجزار فسأل عنه ولما قيل له انه اخ لولدي عطية المسجونين امر بسجنه معها ويقال انه لما تكاثر عدد المحابس وضافت بهم سجون عكا على رحبها ولم يعد للسجان قيد لمن يدخل اليه بعدهم امر الجزار ان القطيع الذي قدم من مصر حديثاً وبينه اولاد عطية يساق الى الذبح وكان عدد من جاء من مصر اربعين كما تقدم وزاد الجزار على كلامه الاول انه امر السجان بعد ان بقي جثث الاربعين في قاع البحر بأخذ القيود التي كانت مطوقة ارجلهم واذا كان ذلك العدد من القيود لا يكفي فليأخذ القطيع الثاني المؤلف من مائة رجل ويفتك بهم كالاولين وبادوم على ذلك حتى يصير لديه عدد كاف من القيود فقام السجان وتصرف بمهمته كما شاء وكان يعدم السجين القديم اذا احتاج الى قيده ليضعه على السجين الجديد

## الفصل التاسع والثلاثون

### في نكبة السكروجين

ومن اعمال الجزار—وهل لاعماله حد— نكبته عائلة السكروج صاحبة التفوذ عنده



في اول مدة ولايته وكان افرادها مستلمين خزينة الولاية وكان ابراهيم مشافة صديقهم الحميم وكان الجزار شعر بثقاتهم لطول مدتهم عنده فاحب ان يستقبلهم بسواهم فظهر الريبة بمال الخزينة وعين عليهم مالا تعويضاً فدفعوه افساطاً ولما دفعوا آخر قسط جدد الطلب وضرب على ذات الوزر وظل يحتلب مالهم حتى استنفده وابقاهم صفر اليدين ومع ان الجزار علم ان لا مال بقي عندهم عاود الطلب

فارسوا يستشيرون ابراهيم مشافة صديقهم المخلص فجاوبهم ان يتعهدوا بالدفع ولا يعرضوا ارواحهم الى التهلكة وقال لهم اذا لم يكن لديكم مال فانا ابذل اخر باره في سبيل نجاتكم ولكن النفس الالية اذا مسها ضيم فضلت الموت على الدل وازدادت عنواً وتوغلاً في الالباء

لذلك رفضوا ان يعملا بوضعية مشافة ورفضوا ان يتعهدوا للجزار بدفع ما هو فوق طاقتهم فامر الجزار في الحال كانه منتظر هذه الكسبة لندبهم وقطع دابرهم وضبط محلاتهم واملاكهم وامر بتخضير اوراقهم ومن جملة الاوراق التي عثر عليها بين اوراق اولئك النساء رسالة مشافة لهم فاضمر له السوء

## الفصل الاربعون

### في وفاة ابراهيم مشافة

وكان لانتشار خبر ما حل بالسكر وج وقع عظيم في القرب معارفهم والم شديد في عواطفهم ومن الذين اثرت بهم الحادثة تأثيراً بالغاً ابراهيم مشافة لانه كان كما مر صديقهم الحميم فكان اسفه عليهم شديداً كره لاجله الحياة وعول على الاقالة وربما كان اضطرابه لم يبلغ شدته لانه لم يكن له دخل معهم فلما علم باطلاع الجزار على رسالته تاكد ان دوره اصبح على الابواب ومن كثرة مخاوفه والافتكار بقساوة الجزار اصابته حمية شديدة اعتزل لاجلها مركز اشغاله فتقدم الى صور للمعالجة وكان الحمي ودت ان تكون الغالبة والسابقة في قطف زهرة حياته فلم يمهله الجزار الا فرصة يسيرة فابل رجاله على بيت ابراهيم مشافة ليبلغوه امر سيده في الحضور اليه ولما كانت انة من ذلك الرجل الذي بذل حياته في الخدمة الصادقة تودع مقرها وداعاً ابدياً



ولما عادت الرجال بالخبر الى الجزائر امرهم بالعودة واحضار اكبر انجاله  
فعادوا الى صور وقبضوا على ولده الاكبر وهو جرجس وجاؤا به امام الجزائر ولدى  
مقابلته طلب منه مبلغاً وافراً ولما لم يكن في طاقة جرجس تقديم الطلب امر بسجنه  
وتصرف بتروكات والده من كلي وجزئي ولم يترك لولده ما يعمل عليه في قوته اليومي  
وعند ذلك عفى عنه واطلق سراحه — فخرج جرجس مشافة من السجن بعد ان  
فحص الجزائر جناحيه وهكذا كانت اعماله وتصرفاته مع من يدري ان لديه مالا وافراً  
وكانت الضربة على عائلة مشافة شديدة حتى التجأت الى الاشتغال كعامة الناس  
لتحصيل قوتها وسد جوعها وكان سقوطها سنة ١٧٩٠

## الفصل الحادي والاربعون

في مدير خزانة الجزائر الجديد

وبعد ان فتك الجزائر بمدير خزينة السكروجي وآله والحق بهم هتك حرمة مشافة  
وانكار خدماته النبيلة شعر بالحاجة الى رجل يشتغل مكان مديره الاول فانتخب لهذا  
المركز المعلم حايسم فارحي وسلمه زمام شؤون الخزانة وكان حايسم على جانب  
عظيم من العلوم التاريخية التلمودية وكانت اعماله التي ظهرت في ايام خدمته المركز  
الذي دعاه اليه الجزائر شاهداً اقرباً على حسن ادارته وسداد رأيه ولكنه مع ما كان عليه  
من النباهة واصالة الراي لم يعفه الجزائر من ويلاتة وشروره وكان يسومه العذاب  
الوانا ويريه الموت اشكلاً فكان يأمر بسجنه اباماً ويرجعه الى وظيفته بعد سجنه وقد  
شنع سجنه فجدع انفه وقطع اذنه ويقال انه رأى قذى في عينه مرة فقلعها له وكان حايسم  
اشبه بالآلة بيد الجزائر بل اطوع من الآلة عنده واتفق للجزائر انه تردد في ارسال  
الجباية الى الدولة وشرع ينتحل الاعذار لنفسه وبعد ان سئمت الدولة من مماطلته  
بعثت اليه كلامها الآتي :

« اما بعد ولما كنت عاجزاً عن اخضاع لبنان وظهر ضعفك الى هذا الحد رأيت  
الدولة ان ترسل وزيراً يخلفك في الولاية على تلك الربوع يكون فيه النشاط والقوى  
الكافية لضم تلك البقاع الى مملكته »



وفي الحال كتب الجزار الى الدولة بعد ايام قليلة يبلغها اذلاله لامراء الجبل وجعله  
من ابالائها  
وبعد بضعة ايام الحق برسائله المتقدمة هذا البلاغ الى الدولة « انه اخضع لبنان  
وفهر رجاله البالغ عددهم من النصارى مائة وعشرين الفا ومن الدروز ستين الفا ومن  
الشيعة المتأولة ثلاثين الفا ومن المسلمين ثلاثين الفا ولم يطل على جواب الدولة حتى  
بعثت تطلب منه الجزية عن النصارى  
فاشكك عليهم الامر وكان حايم مسجوناً فصدر امره باطلاقه واحضاره اليه ولما  
امتل امامه طلب الجزار رأيه  
فقال له حايم بعد الروية الافضل ان تدفع جزية النصارى من مالك الخاص  
هذه السنة وفي السنة القادمة تبلغ الدولة ان نصارى الجبل اعتنقوا مذهب الاسلام  
فتسقط عنهم او بالاحرى يرفع عنك تقديم هذا المال  
فاستصوب الجزار رأي حايم وعمل بموجبه

## الفصل الثاني والاربعون

### في ذهاب الجزار الى مكة

ففي سنة ١٧٩٥ عزم الجزار على الحج ليظهر تقواه لمشايخ الاسلام ويطلي على  
الرعية ورعه وايمانه ولم يكن لديه رخصة قانونية للذهاب الى كعبة الدين الاسلامي  
فالتمس من الدولة ان تخوله الذهاب فورد اليه الاذن مع الفرمان في ضم ولاية  
الشام واميرية الحج اليه لينذهب بالمخفل الى مكة تقديرًا لاعماله وافراراً بنفضه عليهما من  
تدويخ البلاد وضمها الى مملكتهما  
وبعد اتمام معدات السفر نهض الجزار بمخفل الحج الى مكة مغلفاً وراءه قواد جنده  
واخصهم سليم باشا حرساً على حريمه ونائباً عنه في شؤون المدينة مسئولاً عن ايجاد  
الامن بين الرعية فقام سليم باشا وهو قائد المالك بوظيفته كما قام سواه حتى القيام  
فاكثر من التردد الى مسكن الجزار وسمح لبعض رجاله في مشاركة الحريم والاطلة  
معهم وقد اكثرت الاهالي من الطعن على حريم الجزار مع المالك واحتقروهن

ولما عاد الجزار لحظ امورا غريبة في حريمه فسخط عليهم واضمحلهم وللمالك شرًا

### الفصل الثالث والاربعون

في قتل الجزار حريمه

ظل الجزار بعد رجوعه من مكة اباما يقدر فكرته في استنباط طريقة للايقاع بحريمه والتخلص منهم ولم يكن ما يغفل بده عنهن غير خوفه من الممالك وحقد الجند عليه فتظاهر لسليم باشا قائد الممالك واسماعيل الكردي قائد الجند الكردي بالمودة وحسن لهما منزلة امراء لبنان وضمه الى ولايته والجندي الشجاع متى سمع بالحرب وقرب نشوبها يتهلل وجهه بعلائم الطرب ويعود وهمه الوحيد في دنياه اصلاء وطيسها وخوض عباها — ذلك ما حدث للقائدين عند ما طرح عليهما الجزار رأيه في مهاجمة لبنان وللحال جهز لهما مؤونة الحرب وامرها بالقيام فقاما برجالهما ووجهة الحملة لبنان

وكان مع الحملة ابراهيم القاوش من الذميين الكاثوليك ربيب المشايخ الزيادنة وكان شجاعا كريما . وله نفوذ حسن عند ممالك الجزار وكان قائد اربعمائة فارس

ولما بعدت الحملة عن عكا عوّل الجزار على انجاز وعده في قرض حريمه فامر خصيانه ان توفد نارا كبيرة في صحن الدار وتأتيه بحريمه واحدة واحدة . وذكروا ان الخصي كان يسوق الى الجزار لسوته افرادا والجزار يقبض عليها من عنقها ويطرحها في النار على وجهها ويدوس على ظهرها وبضغط على رأسها حتى يتم شيها وتلنظ روحها فيأمر الخدي برفعها واحضار سواها . قالوا وعلى هذه الصورة الشنيعة اعدم الجزار سبعة وثلاثين امرأة ولم تنج واحدة من حريمه غير فتاة في الثامنة من عمرها .

وبعد ان اتم الجزار مهنته في ابعاد الممالك وبقية من ظنه من العصابات وقرض حريمه تظاهر بالعداوة وبجازاة من امتن حرمته فبلغ سليم باشا وهو في صيدا مقاصد الجزار واضمار الشر عليه وعلى من لف لقه وكيف انه افنى حريمه وشواهن احياء

فعظم الامر على سليم باشا واطلع رجاله على فحوى الخبر فقام الجند وقعد وجاهر بصوت واحد بمقابلة الجزار وقطع دابره وابادة قوته وللحال امر سليم باشا بالعودة الى عكا وعادت الحملة عن لبنان لوجود الخلل في رأسها وفي جسمها فرامت اصلاح شؤونها قبل ان تباشر معالجة مريض لا تتوقع لمرضه



ولما وصل سليم باشا برجاله الى صور وجد ابواب المدينة مقفلة بوجهه فادرك خطارة موقفه وعلم ان الجزار اصبح خصمه

### الفصل الرابع والاربعون

في فتح صور وارغام اهلها

وكان من حاكم صور انه بلغه الامر من الجزار ان يقفل ابواب المدينة بوجه سليم باشا وبقية الحملة ويمنع عنهم المدد فصدع بموجب الامر ولما رأى بواذر الحملة مقبلة بعث الى سليم باشا رسولا وبلغه اوامر الجزار اليه وعند ذلك هجم سليم باشا برجاله وفتح المدينة عنوة وارغم حاكمها واهاليها على امدادهم من عقيق ومال وزاد واغتصبوا امتعة ثمينة فرضوا على اصحابها مالا لقاءها وقد لحقت الجنود امتعة لعائلة مشافة هي بمقدار ثمانية لكنها كانت عزيزة على تلك العائلة بعد ان اناخ الدهر بكامله عليها واصبحت بحالة محزنة يرثى لها

وبعد ان قضت الحملة وطرها من صور تقدمت الى عكا وقلعها بتدفق حقد آلى الجزار وهي واثقة بالنصر لها والبطش به

### الفصل الخامس والاربعون

في فشل سليم باشا

ليست هذه المرة الاولى التي رجع عن حصون عكا محاصرها بالفشل والخيبة وحفظت لمقامها الهيبة والصولة فكانت ولم تنزل تسخر بالقوة التي تريد ان تنزع منها تلك السيادة وسليم باشا وان كان معظم الجند معه لما حاصرها ورام اذلالها وليس في حصون عكا رجال اكفاء فان الجزار تغلب عليه بدهائه وشنت رجاله ولولا ذلك لثم له النصر ونال مبتغاه من مجازة سيده ولكن الجزار لما رأى رجاله قليلين واغلبهم لا يصلحون للنزال استمال اليه قائد الاكراد اسمعيل الكردي ونال وعده ولما دارت رحى الحرب لحظ سليم باشا انفصال الاكراد عنه واعمال سيوفها برجاله فدارت الدائرة عليه وعلى عصابة ظلمه على عهودها معه الى ان تضعضت قواه وطلب لنفسه مع رجاله النجاة ومنهم

القالوش الذي اتى الى الحصن ونزل على اولاد موسى الحناحكام تلك المقاطعة فامتنعوا  
على حياته واقام بينهم مكرماً الى ان شعرالجزار بوجوده فارسل يستخضره اليه ولما لم  
يكن له نفوذ ولاسلطة على الحصن تعذر عليه تنفيذ امره في حكمها كانت الدولة لم  
تعلن رسمياً تعيينه على ولاية الشام بعد

## الفصل السادس والاربعون

في اعدام ابراهيم القالوش وآله

ولما فشل الجزار وعاد امره مدحوراً بالخليفة بعث الى الاستانة وفداً في طلب تعيينه  
رسمياً على ايالة الشام وتوابعها وما ذلك الا ليرغم حاكم الحصن على تسليمه القالوش  
ويقره ان امره لا يستخف به فرجع اليه الوفد مصحوباً بالفرمان القانوني فعزل عنها  
والها واستخضر من الحصن ابراهيم القالوش وفي هذه المرة لم يكن بد من تسليمه ولكن  
رجال الجزار لما وصلوا بالقالوش الى حماة اخبروه ان الجزار يعني عنه اذا اعتنق  
الاسلام واذا اصر على الرض ارسلوا رأسه اليه ٠٠ فرنض القالوش وآثر موته  
على دين اجداده مسيحياً من الحياة في الذل فقطعوا رأسه وعادوا به الى الجزار اما  
اولاده ففروا الى عكار حيث التجأوا الى بكواتها وكان لابراهيم اخ سيف بلاد صفد  
امر الجزار بشنقه الحافاً بجزيرة اخيه الشهم

## الفصل السابع والاربعون

في القبض على الامير بشير

وبعد ان فرغ الجزار من ثورة المالك وجه مظامعه نحو لبنان فارسل الى الامير  
بشير يطلب منه مطالب مستحيلة وجائرة ليكره الامير على العصيان ويكون له عذر  
بارسال حملة عليه وكان الامير يماطله وفي ذات يوم مر الامير بساحل بيروت ومعه  
عدد قليل من رجاله فوثب عليه رجال الجزار الذين كانوا ينتظرون هذه الفرصة والقوا  
القبض عليه وارسلوه مكبلاً الى عكا فامر الجزار بسجنه مع رجاله وعين في مخله



رجالاً اقتبل ان يدفع مطالبه الفادحة  
وكان الجزار يفعل ذلك كله ليضطر رجال الجبل على الثورة فيجعل له مبيلاً الى  
المدخلة في اخمادها ونشر علمه فوق ربوعه كما كان شأنه في ولاية المشايخ الصعبيّة وغيرهم  
وما كانت غاية الجزار الا حشد الاموال لا خلاف عنده بطريقة جمعها قانونية كانت  
او ظلماً

كل ذلك كان يجري على امراء لبنان والشعب يستجيبون من قلب الاحكام وتلاعب  
السياسة وهم لاهون عن الاتحاد بالخصام والشقاق مفضلين الشخصيات على العموميات  
والعداء الاهلي على الاتحاد وطرح نير الدل  
فقبل الامير الجديد بمطالب الجزار المالية وجمعها له من الشعب المسكين وارسلها  
الى خزينة عكا غنيمة باردة

وظل الامير في سجن عكا عشرين شهراً افرج في نهايتها عنه الجزار واعاده الى  
وظيفته السابقة بعد ان استوثق منه بالوعود حسب امياله وحتى يجعل الامير يصدق في  
وعده ابني ولده قاما عنده في عكا ريثما يرسل اليه والده تمام طلبه فقبل الامير بشروط  
الجزار ورضي ان يبقى ولده في عكا وقام الى دير القمر مركزه القديم

### الفصل الثامن والاربعون

في تعيين الشيخ بشير جنبلاط حاكماً على اقاليم الشوف وجزيرين والخروب والتفاح

وبعد اياب الامير بشير الى دير القمر حاكماً على لبنان كما كان سابقاً — خرج  
من سجن عكا الشيخ بشير جنبلاط الدرزي وصار تعيينه حاكماً على اقاليم التفاح  
والخروب وتوابعها وكان الشيخ جنبلاط فاضلاً ذا وجاهة وثروة طائلة ومن اخص  
اصدقاء الامير بشير الذين يعتمد عليهم عند الشدة وقد ذاق عذاب السجن الجزاري كما  
ذاقه الامير في الوقت ذاته فقام الشيخ بماعده اليه حق قيام

وفي هذه الاثناء بعثت الدولة تسميت الجزار على فتح لبنان وضمه الى ابا التمر ...  
ولما لم يكن للجزار سبيل للمداخلة في شؤون لبنان وقتئذٍ ويعلم مناعة لبنان ونجاعة  
رجالها وحصافة اميره لم يشأ التحرش به رأساً انما ارسل من قبله عصابة لالقاء نور

الفن بين مشايخ الدروز وبين الامير بشير

### الفصل التاسع والاربعون

في اسقاط مساعي الجزار الفاسدة

وكان غرض الجزار من اشعال نار الفتنة بين الدروز والنصارى واضحاً لا يحتاج الى تفصيل فكان ينتظر وقوع الحرب بينهما وعند شبوب الحرب الاهلية يراقب الحزب الاقوى فيسأله والحزب الضعيف فيطمس آثاره فانشرت جواسيسه بين الدروز وحسنوا للمشايخ الفتك بالنصارى واغروهم بمواعيد الجزار بالمساعدة سواء كان بالرجال او بالمال فاجتمع مشايخ الدروز وعقدوا جلسة امضوا صكوكاً على نفوسهم في الاتحاد على التتكيل بالنصارى وقد رفض ان يوقع على هذه المعاهدة الهجومية الشيخ نجم العقيلي وهو اعقلهم وافطنهم في عاقبة الحرب ولم يكتف بعدم توقيعه بل اظهر للمشايخ غلظهم وطيشهم وسوء مصيرهم وادعم اقواله في تبين مقاصد الجزار الدنيئة وما زال يناضلهم حتى افنعمهم بابرهان واقنع من قلوبهم بذور الشقاق ضد اخوانهم النصارى وامرعى الى الامير وطلب مقابلته وامر اليه ما وصلت اليه اعمال الجزار في تغريز المشايخ وطلب منه ان يتخذ الاستعدادات الكافية لمنع نمو بذور الجزار في قلوب رجاله واجلى له ما وقع للمشايخ وكيف تغلب على افئاسهم واخلادهم الى السكينة وسأله ان يعفو عنهم لقاء طاعتهم له . . . فاجابه الامير الى طلبه وعفى عن مشايخ الدروز وعادت المياه الى مجاريها وكان نائب الامير الشيخ ابا خطار سلوم الدحداح الذي هو جد المطران نعمة الله الدحداح صاحب كرسي دمشق على الموارنة في ابامنا هذه

### الفصل الخمسون

في وصف اقسام اهالي لبنان

وان تكن مساعي الجزار في ابغار صدور الدروز على النصارى فسدت ولم يبق لها قائمة



فأهالي الجبل منقسمة طبيعياً الى قسمين من مشايخ وامراء اي دروز ونصارى ونتمي الى حزبين سياسيين عظيمين هما حزب جنبلاط وحزب يزبك الا ان الامير بشير كان ميالاً الى الحزب الجنبلاطي وافرغ قسارى جهده في التوفيق بين الحزبين فلم يفلح وسبب ذلك هو ان آل يزبك لم يكن لديهم ثروة عقارية تقوم بمصرفاتهم واودهم كما كان للجنبلاطيين فزاد حنقهم عليهم وميل الامير الى جنبلاط كان يزبد في حقد يزبك الذي كان من اتباع الامير يوسف . ومن هذه الاسباب وعدة غيرها لم يحسن الامير ظنه بهم وكان يحترس منهم

اما مشايخ آل نكد فكانوا يميلون مع من له الارجحية فتارة مع هولاء وتارة مع اولئك ولتعماسة الشعب كانت هذه الصغائر باعثة على الشقاء وجلبت لاهالي الجبل وبلاات الحروب الاهلية على التتابع ومدائمة المشايخ على ايقاد الفتنة واشهار القتال وابتزاز اموال الرعية زادت الشعب تباعداً وتقوراً وجعلت الاتحاد الوطني ضرباً من الخيال ومن جراء ذلك سهلت للدولة المداخلة بينهم وكان الجزار يضحك منهم ويفخروهم بعضهم على بعض لان ذلك من مرامي نفسه الشريرة

### الفصل الحادي والخمسون

في قدوم نابوليون الى سوريا وفتح غزة وبافا

وبعد ان دوش نابلون مصر شخص الى سوريا برّاً فاعترضته قلعة العريش عن السير برهة لكنه واصل سيره بعد ان اضافها الى انتصاراته وعدها من قوايع فتوحاته وبعد ان فرّق جموع الانراك عن الحدود السورية ارسل كتاباً للجزار يعلمه بقدومه اليه وينصحه في المسألة فلم يتنازل الجزار الى مجاوبته فعاد الرسول بلا جواب فارسل نابوليون رسولاً ثانياً واصحبه كتاباً آخر فكان نصيب هذا الرسول من الجزار القتل فحنق نابوليون على الجزار وتقدم برجاله البالغ عددهم عشرة آلاف مقاتل نحو غزة وهزم من رجال الجزار اربعة آلاف فارساً واستولى على محلات الذخيرة والادوات الحربية وواصل سيره الى بافا وهنا وقفت جنود الجزار امام الجنود الافرنج بضع ساعات في نهايتها اسفرت الواقعة على ثلاثة آلاف قتيل من الجنود التركية وبخلت



رجال نابوليون مدينة بافا وتصرفت بما عثرت عليه من مال ومتاع وهذه هي المرة الاولى والاخيرة التي سمح نابوليون لرجاله بالتصرف والتمتع بالالمغلوب واملا كه وقبل ان يترك بافا ويقوم رجاله الى عكا امر بقتل الامرى الذين وقعوا بين يديه ثلاثا في العريش وفي غرة وفي بافا وكان يطلق سراحيهم بعد ان يستوثقهم ان لا يقاتلوه ولما امرهم هذه المرة وعددهم بنيف على ثلاثة الآف حنق عليهم وعلم انهم لا يراعون ذمة ولا يحترمون الشرف العسكري فامر جنوده برمايتهم ولم يواروهم التراب بل بقيت اجسادهم طعاما للطيور وظلت رفائهم مكشوفة فوق الخمسين سنة

### الفصل الثاني والخمسون

#### في حصار عكا



نابوليون بوناپرت

كان في مياه عكا مركبان حربيان انكليزيان للدفاع عن عكا من هجمات بوناپرت ارسلتهما الدولة البريطانية لما علمت بانتصارات نابوليون المتتالية في مصر وان في نيته



اكتساح سوريا ونحن لا نتعرض لما حدث بين فرنسا وانكلترا من المزاومة والمساابقة  
للمداخلة في الشؤون المصرية والسورية لان ذلك دون في حينه وانتشر للبلاد بجلاء  
لا يحتاج من بعده الى الزيادة

وكان نابوليون عارفاً بمناعة حصون عكا فطلب من مصر مدافع وذخيرة كافية  
ليؤكد نصره وتقدم بجنده الى عكا وعند وصوله بلغه ان المراكب الانكليزية قبضت  
على المدافع وكل ما ارسل اليه من مصر فلم يبال بالامر كثيراً فشرع بحصار عكا في  
الثامن عشر من اذار ١٧٩٩ ومما يجدر بالذكر خطابه الذي القاه على جنوده حيث وقف  
وقال مشيراً الى عكا « هذه المدينة هي مفتاح الشرق فاعلموا حرج مركزكم ووطدوا  
عزائمكم على امتلاكها لان بامتلاكها تسلمون لدوائكم مفتاح الشرق فتدخل القسطنطينية  
عاصمة قياصرة الرومان وغلاك شرقي وشمالى اوربا فاعلموا ذلك واخلصوا نياتكم »

وبعد ان اتم كلامه الموجز المملوء حماسة ونشاطاً امرهم بالهجوم وتشديد الحصار  
وفي نهاية العشرة الايام تمكنوا من فتح الخنادق وازاروا الدور وهجموا على حامية السور  
واعملوا فيها السيف الى ان ادخلوها داخل الحصن واقتفوا آثارها وما عثم ان ظهر الجزار  
بنفسه محرضاً جنوده على الثبات واخذ يفتك بكل من يركن الى الفرار منهم بالرصاص  
فعاد الى الحامية نشاطها وعمد الجند الفرنسيون الى الانسحاب بانتظام وهكذا  
ظلت الحال نحو شهرين قامى بهما الجزار الاهوال ومع وفرة عدد جنده على الجنود  
الافرنسية فضلاً عن حصون المدينة كاد يالحق به الفشل لو لم ينسحب نابوليون برجاله  
عن عكا ويعود الى مصر . وذلك حدث بعد ان واصل عكا هجماته وضيق على  
اهاليها اشد الضيق واذا وردت اليه عن فرنسا اخبار غير مرضية فآثر الالم على  
المهم وقفل راجعاً الى مصر



### الفصل الثالث والخمسون

في اتهام الامير بشير بالخيانة

ولما رفع نابوليون الحصار عن عكا صوب الجزار نحو الامير بشير واتباه تهمة الخيانة  
بمساعدة نابوليون وامداده بالمؤونة والذخيرة في اثناء حصاره عكا وقد تظاهر بحنقه  
وكدره الشديدين منه وظل يهدده ويتوعده الى ان اضطره على طلب الاقالة لنفسه  
فترك الامير دير القمر وقدم الحصن تصحبه حاشيته وجرجس مشافة مدبر خزينة الجبل



واتفق في تلك الاثناء ان بعض المراكب من العمارة الانكليزية كانت ساجية في بحر الروم تجاه الحصن وكان على ظهر مركب منها الصدر الاعظم ضيا باشا آتيا ليقود الجنود التركية في الحرب الواقعة بين الدولة وفرنسا

فكتب له الامير كتابا ارسله مع قبطان المركب الذي كان عائدا من النزهة الى مزرعته وفحوى كتاب الامير شكواه من اعتساف الجزائر واظهار عبوديته الى الدولة وكان من ضيا باشا بعد وقوفه على فحوى رسالة الامير بعث استخضره اليه وعند مقابلة الامير بضيا باشا على ظهر البحر رجع موعودا منه على مساعدته وبعد ايام قليلة بلغته اوامر الجزائر برجوعه الى مركزه واستلام زمام حكم لبنان ففعل

### الفصل الرابع والخمسون

ثورة ابناء الامير يوسف بتحرر بض الجزائر

وبعد ان رجع الامير الى دير القمر لحظ حركة غير عادية على اولاد الامير يوسف ومن يميل الى حزبهم طلائعها عدائية وهي اقرب الى الحرب منها الى السلام وكان بترأس حزب اولاد الامير يوسف البطل المشهور الشيخ جرجي باز وكان الامير يستميل اليه مشايخ جنبلاط ولم تمض الايام عبثا فدارت الحرب واشتد القتال بين الفريقين حتى قدر للامير في موقعة بالقرب من بيروت ان يطلع على الدافع باولاد الامير يوسف على عداوته راى رجال الجزائر يمدونهم ويحرضونهم على مداومة القتال فكظم الامير غيظه وللحال بعث برسالة الى الشيخ باز عرض له بها ايقاف الحرب عند هذا الحد وما وقف عليه من مقاصد الجزائر وكيف يجب عليهم ان لا يجعلوا للانراك يدا في سلب راحة الاهالي وجلب الفتن وضياع الامنية في ربوع الجبل وطلب من الشيخ ان يتروى ولا يسبب للبلاذ ما لا يحمد عقباه ويكون معالجة لخرايبها ودمارها وكان الشيخ لا يقل عن الامير وطنية وغيرة على مصلحة البلاد فقبل اقتراح الامير انما طلب منه ان ينصف اولاد عمه ولا يفكر بسواهم وقد تنازل له عن حقوقه كراما منه بحيث لو اشترط على الامير مائة طائلا لكان اهون على الامير تنفيذه من ان يرى مقاصد الجزائر سائرة الى



الامام ناجحة فيهم فقبل الامير بمطالب الشيخ العادلة ووعد ان يولي اولاد الامير يوسف جبيل وتوابعها — وعين اخاه نائبهم ومستشارهم وبذلك قطع الامير حبال الجزار الفاسدة ورفرف السلام على لبنان مدة

### الفصل الخامس والخمسون

#### في وفاة الجزار

اذا أمعنا الفكرة بأعمال الجزار ونظرنا الى نتائجها نظراً عادلاً بما ادته من النفع والضرر للدولة والرعية على السواء وجدنا هذا الرجل لم يكن نائباً عن اعمالها كما هو مألوف من حكام ذلك العصر

فقد كان داهية ذا باس وحكمة واسعة وقد سلمت اليه الدولة ادارة شؤون اياالتها وعولت عليه في اخضاع سور باو ضمها تحت جناحها على طريقة الغدر والخداع ودمس الفتنة والحروب الاهلية بين امراء البلاد والمشايخ الذين كانوا يحكمون الرعية بالجور والفسق ويسومونهم النذل انواعاً والظلم اشكالاً ولا يعتبرونهم ارقى من الرقيق فكانوا يتصرفون بمالهم وارواحهم كيف شاؤوا وكانت شريعة الرجل منهم ارادته السخيفة وكان الحاكم يشقى ويقتل ويشوه اخلاق الشعب كأنه الحاكم المطلق على قطيع غنم ولا فرق عنده لتتيم او امره الجائرة وكان ظروف الحال فيضت لهم رجلاً كالجزار لينتقم منهم وبكيل لهم الكيل كيلين

وكان هؤلاء العتاة لاهين بالمنازعات العائلية والحروب الاهلية يكرهون العدل ويعشقون الظلم لا يرحمون ضعيفاً ولا قريباً ولم يقيم فيهم رجل قادر يلم شعثهم ويجمع قوام المتفرقة تحت لواء الوطنية ليقاتلوا عن الامة ويذبوا عن حقوقها ويتركوا الشخصيات جانباً ويعملوا للمعمويات ويطردوا الاجانب من وطنهم ويدافعوا عن استقلاله

ان معاملة الجزار للامير يوسف لم تكن اقسى من معاملة الامير لاختوته وانسابه وان ما لحقه من الجزار هو غاية ما كان يستحقه وعدالة اليوم تطالب اجراءه وقس على الامير يوسف بقية المشايخ والامراء الذين كانوا يستبيحون مال وعرض الرعية في سبيل مصالحهم الذاتية

قد خدم الجزائر الدولة والشعب وان شلماً . وعادت مخدماته على الدولة بالنفع  
فأخضع البلاد لشوكتها وأصبحت تطيعها وتعمل بأوامرها قانونياً بعد ان كانت ثانوياً ورد  
عنها في ثباته امام نابوليون خطراً كان يهددها لو تم النصر للجنود الافرانية في حصار عكا  
واقاد الرعية انه ازاح عنها ضغط المشايخ والامراء المستبدين بها ولا ذمة ولا حرمة لهم  
فكال لهم الوزن وتكرم فاضاف على وزنهم وزنة اخرى ورغماً عما اشاعته الاسنة وان  
القوم خرجوا من ذل الى ذل فما هو فضل الجزائر الذي تطروه لاجله

فيقال في الجواب على ذلك القول : انه وان تكن حالة الشعب لم تختلف في ايام  
الجزائر عما كانت عليه سابقاً فالجزائر اعدتها لذلك الاختلاف وعلى كل حال فقد كان  
الجزائر اقل جوراً بالنسبة الى الامراء والمشايخ قبله ولما جاءهم وضع حدّاً لظلمهم  
وعسهم وزعزع سلطتهم وارغم انوفهم واطلق الفلاح من عقابهم  
ولا نريد الثناء على اعمال الجزائر والاطناب بما آثره الوخيمة انما نحصر قولنا في ان الجزائر  
عمل بما يطابق زمانه ورجال عصره

وقضى الجزائر نجبه في سنة ١٠٨٤ عن اربعة وثمانين عاماً ولما انتشر خبر وفاته تهالت  
وجوه الشعب وافرج عن الذين كان غضبه يهددهم وعلى شفا الابقاع بهم  
وبعثت الدولة راغب افندي وحجز على متروكاته من مال وعقار وتصرف به  
بموجب ارادتها

## الفصل السادس والخمسون

في تعيين سليم باشا والياً على عكا

لا حاجة بنا الى الافاضة في كيفية تعيين خلف الجزائر وكيف ان الدولة اهتمت  
الى الرجل المستوفي الشروط وانزلته في الفراغ الذي احده الجزائر عند وفاته فاشغله  
وكان لا ثقاً به فسلم باشا قد عرفنا عنه الشيء النذر في الفصول المتقدمة فهو من اصل  
كرجي مسيحي خطف من اهله وهو حديث السن وبيع للمسلمين ووصل اخيراً الى  
الجزائر حيث احتفظ به واعلى منزلته لما رأى فيه من النباهة والنشاط

وقد اشتهرت بمجاياه الحميدة بين الجنود حتى اجمع على محبته كل من عرفه  
وقد اصابته الدولة في تعيينه والياً خلفاً للجزائر لما له في قلوب الشعب من الهيبة



والوفار وكان غيوراً على تأييد الشريعة والعدالة صادعاً بأوامر الدولة عاملاً شفوفاً على  
الرعية معاملاً للجميع على السواء  
وكان متساهلاً يحترم كافة الأديان وكان نائبه علي باشا يماثله خلقاً وخلقاً وعين  
مديراً للخزينة حاتم فارحي بعد أن رفض طلبه خوفاً من أن يحمل به ما أصابه من الجزار  
فأصر عليه سليم باشا إلى أن يقبل بالوظيفة وأطلق يده وعقله في شؤون الولاية  
والعقول الكبيرة إذا أطلقت تأتي بالمعائب ولما قبض حاتم على زمام وظيفته وأمن  
على إطلاق أفكاره وتسريحها في فضاء عكا أذهل معاصريه ونال ثقة مولاه فكان  
بفتش عن الرجل ذي الاستقامة وبوظفه وسعى فجعل مشايخ آل صعب رانباً للتقاعد  
وتأميناً على أملاكهم وحياتهم ثم حمل سليم باشا على رحمة الرعية فلم يجمع من الأهالي  
مالاً جديداً

ورسم على الواردات الأجنبية رسوماً كان منه الدخل الوافي إلى الخزينة  
ثم أشار على سليم باشا أن يمنح الألقاب إلى أمراء الجبل في مخاطبته لهم وأصبح  
يستهل كتابه فخر الأمراء الكرام ولدنا المكرم الأمير كذا  
فساد الأمان في مدة هذا الجوق النبيل على ولاية صيدا ونوابها وشمرت الأهالي  
بارتفاعها مادياً وادبياً

## الفصل السابع والخمسون

### في المأمرة على آل نكد

في هذا الفصل وما يليه شواهد قاطعة على أن وفاة الجزار ورفع يده عن أمراء  
الجبل ومشايخه وأحزابه لم يحدث تغييراً مرضياً في جولبنان وسياسته ومن ألف المشاكسة  
واعتماد على التلاكم والخصام عبثاً يرتجى منه إصلاح  
ففي هذه الأثناء عقد مشايخ جنبلاط وعماد المأمرة على تدمير آل نكد بحكم  
مقاطعة دير القمر ونوابها ونسبوا إليهم مواصلة الحروب الأهلية وواقع الحال كان أن  
نكد ينضمون مع الحزب الأقوى وينصرون المنتصر ولا فرق عندهم غير الفرق الموجود  
بين قوي وضعيف أما بقية الأهالي وأمراء ومشايخ فكانوا منقسمين إلى قسمين قسم  
مع آل جنبلاط وقسم عمادي فأنشأت العداوة والحروب في قلوب هذين الحزبين اقويين

وطال امدها ولما لم يكن لدى الفريق ادلة واسباب واضحة لهذه المشاغب زعموا ان  
ال نكد علنها وسبب اشتعال جهرتها وقد اتفقا معاً على هذا الزعم وتآمرا على التثكيل  
بين كان تعزى له هذه القلاقل وقد اطلعوا الامير على ما وطلدوا عزيمتهم عليه فاظهر  
لهم الامير ارتياحه ووعدهم بالمساعدة على خصصهم والامير عذر وهو زغا عن كون  
دير القمر مركز حكومة امراء شهاب لم يكن لهم غير السلطة الثانوية فيها وكانت السلطة  
المرهوبة الى آل نكد حكامها وكان اذا ارتكب احدهم جرماً امام بيت الامير وتمكن  
من اجتياز بضم خطوات عنه اصبح حراً من الامير ومقيداً بسلطة ال نكد وكانوا  
ان شاوا تسليحه للحكومة كان لهم ذلك ولا احد يعترضهم ان شاوا الخلاف لان لهم  
مقاطعة ولهم حق التصرف فيها بعد تقديم الجباية  
وكان الامير يقرم منهم ويود الخط من نفوذهم ولذلك لما علم باتفاق مشايخ جنبلاط  
وعمد على سحقهم غدر اسر واظهر ارتياحه

ولما توفرت معدات الموامرة لدى اربابها اولوا وليمة دعوا اليها اهل الزعامة من  
آل نكد وقد وفقوا الى الفتك ببضعة منهم الشيخ قاسم واخيه احمد وكلهم ذو شدة  
وباس وبعد ان قتل لال نكد زعامتهم فر من بقي منهم لابلون على شي وفي ذلك  
يخلص الامير من مزاحمه على السلطة في قلب حكومته

## الفصل الثامن والخمسون

### في الموامرة على اولاد الامير يوسف

وبعد نكبة ال نكد وازاحتهم عن دبر القمر خلا الجو للامير بشير فارادان يستقل  
بمحكومته على الجبل فلم يفلح  
والسبب كان نائبه وقتئذ الشيخ جرجس باز وكان هذا وصياً على اولاد الامير يوسف  
وكان له مقام وكلمة نافذة في الشعب كما مر بنا في الفصول المتقدمة  
وظن الامير انه عثرته الوحيدة فاضمر له سوء ولكنه كان يخشى جانبه ويحترم شجاعته  
وقد اشتهر باز بعد جلاء آل نكد عن دبر القمر بين الرعية وكاد يستأثر بالحكومة وحده  
وذلك مما دعا الامير الى تنفيذ غايته فتآمر مع مشايخ الدروز على الفتك به وارسل



رجالاً من قبله الى جبيل لتفتك باخيه عبد الاحد وفي الوقت المعين حضر اليه اولاد زين الدين ومكنوا في بيته ولما حضر الشيخ باز اجابة لدعوى الامير ودخل غرفة الاستقبال وهو اعزل فاطبق عليه اولاد زين الدين وامانوه خنقاً وكان نصيب اخيه عبد الاحد مثل نصيبه غير ان الامير خاف على رجاله الفشل بمهمتهم فقام الى جبيل وهو في الطريق التقى بالرسول قادماً اليه ومعه رسالة تفيد عن قتل عبد الاحد باز والقاء القبض على اولاد الامير يوسف . وقبل ان يترك الامير عاصمته ارسل فقتل يوسف اغا الترك صديق الشيخ باز خوفاً من سطوته واستطرد الامير مسيره الى ان وصل جبيل وفي حال وصوله امر بسمل بصر اولاد الامير يوسف بطريقة نخشى على شعور القاري من ابرادها والرجل الذي قام بهذه المهمة البربرية فاسم بن العرب فكان يحمي قضباناً حديدية ويوخز بها اعين اولاد الامير وداوم على ذلك ثلاثة ايام وهكذا كانت نهاية اولاد باز واولاد الامير يوسف وحدث ما حدث لهم وقع في اب سنة ١٨٠٨

### الفصل التاسع والخمسون

في جلاء آل عماد عن لبنان

وبعد قتل البازيين ونكد ضعفت شوكة العماديين وانحلت عصبيتهم واغلت ايديهم وقد ادركوا غلظتهم في رفع يدهم عن الحكومة وما دبره لهم الامير واتباعه من تخفيض قوتهم فعولوا على التعدي وسلب راحة الاهالي وقد تكاثرت الشكاية عليهم للامير وكانوا ينوون الايقاع بالشيخ بشير جنبلاط ولكنهم لم يفلحوا لان الامير كان موكلاً على حراسته عصابة شديدة الحفظ على اوامره ولما تفاقم امرهم جند عليهم الامير حملة اخرجتهم من لبنان وساقهم الى مصر فارتاحت البلاد من شرهم وعادت الى السكينة

### الفصل الستون

في حملة الوهابيين على الشام

في سنة ١٨١٧ ام الشام جند من الحجاز ارسله محمد بن عبد الوهاب الذي

ادعى الخلافة وبايعه عدد غفير نصره على طرد الاتراك من جزيرة العرب وبعد ان قطع طريق الحج على الاتراك ارسل رجاله الى المذبحيين في حوران تبشر برسائله وما يقصده من الفتح وامتداد السلطة وكثب الى اهل الشام بدعوه الى الاسلام والطاعة فلما منه ان الاتراك ومن ناصرهم من المشركين وكان والي دمشق يوسف باشا الكردي وكان مشهوراً بالفروسية عينته الدولة خلفاً لعبد الله باشا الذي حدث على عهده قطع الوهابيين الطريق على الحجاج

ولما عينته الدولة حرصته على قتال الوهابيين وفتح طريق الحج وقد خرج بعسكره على الوهابيين ولم ينل منهم مأرباً وكان يخنلق للدولة الاعذار الفارغة وبدعي قلة عدد جنوده وطوراً وعموراً الطريق اعاقته من اللحاق بهم

ولما لم يكن له قوة كافية لفتح طريق الحج اخذ يشغل الشعب عن الحج بامور تافهة وكانت تصرفاته سافلة تدل على سخف عقله ومنها انه امر المسلمين باطلاق لحام على السواء ومن خالف الامر جزاؤه الاعدام . وامر النصاري ان ترتدي الاسود نساء ورجالاً على السواء واليهود الاحمر نساء ورجالاً على السواء مع ان الاسود كان شعار الدولة العباسية

## الفصل الحادي الستون

في فرار يوسف باشا الى مصر

ولما سئمت الدولة من مواعيد يوسف باشا في ازالة الوهابيين عن طريق الحج واكدت خموله وعدم اصلاحه ارسلت الى سليم باشا والي صيدا وامرته بمقاتلة الوهابيين وعزل يوسف باشا وتعيين من يرى به الكفاءة بجمع رجاله وارسل للامير بشير ان يوافيه برجاله الى طبرية

فجمع الامير رجاله وقدم الى طبرية حيث التقى سليم باشا وانضم اليه الجيشان الموافقان من كافة النحل تحت قيادة الوزير سليم باشا وكانت عدده وانما لم يسبق انضمامه تحت قيادة عامل تركي من قبل

وكانت وجهة هذا العسكر دمشق لنجدة يوسف باشا على الوهابيين وعند وصوله الى



القنيطرة التي تبعد عن دمشق ثلاثين ميلاً نزل بها للراحة ولما شعر يوسف باشا بقدوم والي عكا لتجديده ارسل له رسالة بلغته وهو في ذلك المكان يفيد به عن عدم حاجته الى مساعدة علي رد الوهابيين حيث محمد علي باشا سبقه علي ابعادهم عن الشام واجلاهم عن طريق الحج

ولم يكن سليم باشا ممن يؤخذ بمثل هذه الحبايل فظل سائراً بطريقه الى ان بلغ عطوز

وهناك خرج اليه يوسف باشا برجاله واتهم القتال بضع ساعات اسفرت عن قتل يوسف باشا والتجائه الى الفرار فقصده مصر ودخل في حى محمد علي باشا

### الفصل الثاني والستون

#### في امراء راشيا الشهابيين

وبعد انهزام يوسف باشا وتبديد رجاله دخل سليم باشا الى دمشق واعلن سلطته عليها وكان ذلك داعياً لسرور الاهالي ومن حسنات سليم باشا انه ضم اقليم البلان الى ولاية الشام بعد ان كان مستقلاً تحت لواء امراء راشيا الشهابيين ودعينا عمل الباشا هذا من حسناته لاسباب اولها كون احكام ذلك الاقليم مستبدين وكانت الاهالي تقامي عذاباً وجوراً لا يطاقان وكان الامراء يدفعون عنه مالا معلوماً لحفظ استقلالهم به وراشيا معاً وكانت الحكومة مشطورة مع الاهالي الى شطرين حزب بناصر الامير افندي وحزب بناصر الامير منصوراً

وامتل العداوة بين الاميرين في قتل الامير افندي شقيق الامير منصور فاستفحل الامر واشتدت المنازعة بينهما وكان الواحد منهما يراقب الآخر ويترصده الفرص ليفتك به ومن جراء ذلك بالطبع كان الامير منها يحتاج الى عصابة ومال وحاشية ليحفظ مركزه امام خصمه فكانت الاهالي مسؤولة عن لوازم زعيمها ومضطرة الى تضييع مبادئها ومالها امامه على مذبح مطامعه الذاتية . وحدث لاهالي اقليم البلان انهم رفعوا شكواهم الى سليم باشا وعرضوا له نصرف الامراء بهم وهي جراءة تعد لهم ونزغ ان شغلها نقديراً لحقوقهم ونود لو تقدم على الاقتداء بهم في اي زمان ومكان . وكان من سليم باشا انه

انصفهم واجاب دعوتهم وفي الحال ربح سلطنة الامراء عن ذلك الاقليم واعلن ضمهم الى ولاية الشام ولا مشاحة كان لاهالي البلان فائدة شعروا بها وقدروها حق القدر

### الفصل الثالث والستون

في سعاية الشيخ علي العماد

وبعد ان استتب الامن في ولاية الشام وتوابعها قدم سليم باشا برجاله الى مركزه والامير الى محل اقامته

واتفق لاهالي حلب انهم اضطهدوا دروز تلك البقاع وارغموهم على النزوح فاتوا لبنان وقصد وفد منهم دير القمر وطلب من الامير والشيخ بشير جنبلات قبولهم في جوارهم وكان من الامير والشيخ ابداء كل حفاوة بهم ورحبا بنزولهم في بلادهم وكثر عددهم واكثر الشيخ من الاعشاء بهم وبين دخل بخدمته منهم

وفي عسارى نهار دخل على الشيخ جنبلات رجل منهم ورام البطش به وكاد يظهر بوطره لولم يعترضه كاهن ماروني اتفق وجوده عند الشيخ في ذلك الحين اسقط مسعاه ونجى الشيخ من شر الموت غدرآ ييده

ولاحال بعد ان القى القبض على الدرزي صدر امر الشيخ باعدامه وبما هو جدير بالتذكراقبال درزي يدعى سليمان الحكيم قدم من الغرب ليفتك بالامير وقد حاول اولاً ان يقضي على الشيخ ولم يفلح فدخل على الامير مرتين وعاد بالفشل والقى القبض عليه واجبره الامير على الافرار وما الذي حمله على عمله وكان جوابه كي ينتقم لآل عماد منه ومن الشيخ جنبلات وصرح انه رسول من قبل الشيخ علي العماد الذي فر الى مصر والذي دفعه الى هذه المهمة وبعد ذلك رأى الامير وجوب اعدامه فامر بشنقة

### الفصل الرابع والستون

في اعتناق الشيخ بشير جنبلات الاسلام

ففي سنة ١٨١٨ نفاها الشيخ بشير جنبلات باسلامه وتأييداً لاعتناقه مذهب



الاسلام بنى جامعاً امام قصره وليس هي المرة الاولى التي كان الدين متاعاً وسلعة فكثير قبل الشيخ وبعده ولم نزل نرى في ايامنا الحاضرة رجالاً ذوي وجاهة فراراً من طاريء يحول دون مقاصدهم السياسية يجلعون دينهم العتيق ويلبسون ديناً آخر طمعاً ان ينالوا نعمة من اولي الامر على ذلك الدين والشيخ بشير بتركه دين اجداده واعتناقه دين الاسلام لم يكن الا لغايات في صدره يريد تنفيذها وكانت نفسه تطمح الى ولاية لبنان وفي خلال هذه المدة قام الامير حسن ابن خال الامير بشير علي والده وعمه وقتلها بدعوى كونها رفضاً ان يكونا على مذهب الذي اعتنقه حديثاً وجارى الشيخ جنبلاط به وقد ارسله الامير مكبلاً الى عكا ومن عكا ارسله سليم باشا الى الاستانة والقي في سجنها الى ان احضره عبد الله باشا منها وقتله الامير اسعد

### الفصل الخامس والستون

في موامرة الشيخ بشير علي الامير

وقد بلغ الامير ان الشيخ جنبلاط يدس عليه الدسائس طمعاً بالامارة على الجبل مكانه ولولا ذلك لم يعتنق دين الاسلام ولا تظاهر به والوشاية توقع الريب حق بين اخلص الاصدقاء وان تكن وهماً فصدق الامير ما وقع على سمعه وحقن على الشيخ باطناً وكان من الشيخ لما درى بخنق الامير عليه انه تظاهر بالاحتراس واليقظ منه مما زاد اعتقاد الامير في صحة الوشاية واجتهد الشيخ ان يزيل شكوك الامير به ولم يفلح ومن الاشاعة ان الشيخ لم يكن يقصد الايقاع بالامير انما كان يبغي ابداله بامير اضعف منه بنفسه له التفوق عليه واظهار مقدرته الا ان ذلك لم يظهر صحته الايام وفي مرافقة الشيخ الامير عند ما غضب عليه عبد الله باشا الى حوران حجة على فساد الاشاعة

### الفصل السادس والستون

في وفاة سليم باشا وتعيين عبد الله باشا مكانه

وفي سنة ١٨١٩ توفي الى رحمة ربه سليم باشا بعد ان خدم الدولة والرعية خمسة

عشر عاما بالعدل والامانة وكان الاسف عليه عاما حتى شعرت بفقده الدولة  
وعينت الدولة خلفا له عبد الله باشا ونخبة لقب الوزارة والبشوية  
ولم يحدث في ولايته لاول عهده تغيير يذكر فابقي ولاية الامور في مناصبهم  
الا انه كان ضعيف النفس ميالا الى معاشره الفئة المسخطة وكان متمسكا  
فاخلص حاييم فارحي النصيحة ونهاه عن اعماله المعيبة بمقامه ولم ينجح مع ان حاييم  
كان العامل الاول لتعيينه خلفا لسليم باشا  
فخفق عليه عبد الله باشا وامر باعدامه وطرحه في البحر وبموت حاييم تلك المنة  
الشيعة بعد ان عرف عنه الامانة والاستقامة حدث في الولاية اضطراب ورعب في  
قلوب الرعية وباتت اصحاب الوظائف في خوف من العزل والضغط كما حدث لارباب  
الرتب على ايام المرحوم مظفر باشا

### الفصل السابع والستون

في اضطهاد الامير بشير

وكان الامير بشير اشد الناس غما على حاييم فارحي لما عرف به من العدالة وبعد  
النظر وصدق المودة وطيب العنصر وكأنه ادرك سلفا ماذا يكون شأنه مع عبد الله باشا  
وكيف تنقلب دفة سياسته عليه وكان ظن الامير بمحله حيث لم يمض على اعدام حاييم  
وقت يذكر الا وشرع عبد الله باشا في تحوير معاملته للامير وسواه من اهل الرتب  
والوظائف وبدأ يطالب الامير باموال خارجة عن المألوف وكان الامير طورا يرسل  
طلبه وطورا يعتذر له وحينئذ يذل من ماء الوجه ويستعطف خاطره بالتجمل وغير  
ذلك من طرق المداينة

واخيرا بعث عبد الله باشا في طلب فائق الحد وفوق طاقة الامير . وفضلا عن  
استفحال الطلب عرض له ان يعتنق مذهب الاسلام نجاة له من اضطهاده المتلاحق  
وكان الدافع لعبد الله باشا على مقاومة الامير وشد الخناق عليه الى هذا الحد  
النخبة والوشاية

وعند ما بلغ الامير مطالب الباشا الاخيرة وقع بحيرة شديدة لجنوحها عن العادة  
المألوفة لغرابتها فعقد مجلسا بين رجاله واقرب الناس اليه واخذوا في المداولة وانتشر



في جو لبنان انقلاب عبد الله باشا ومضايقته للامير وبلغ اسككة طرابلس واتصل بها كما  
مصطفى اغا بربر ولما كان بربر من خدمة شقيق الامير سابقاً اوجب على نفسه ان ينصح  
الامير ولكن الاشاعة كانت تنسب اليه وانه هو الذي كان يواصل عبد الله باشا بعلامه  
عن الامير وهو الذي حمله على ابدال معاملته السابقة  
ومن الذين اخلصوا للامير النصيحة بطرس كرامة فاشار عليه اما بالرحيل عن لبنان  
واما ان يشهر عداوته للبasha ويكافئه  
فاجابه الامير ان اشهار السيف بوجه مولاه من الامور التي باباها  
ولما اجتمع بالشيخ بشير جنبلاط وتفاوض واياها ملياً في حل المعضلة التي وقع بها قرراً بينهما  
على ترك لبنان والذهاب الى الشام ريثما يرضى عبد الله باشا عليه

### الفصل الثامن والستون

في ترك الامير مركزه

وبعد ان استصوب الراي في ترك دير القمر باكثر رجاله ارسل الامير الى جرجس  
مشافة مدير الخزينه ان يعلمه قيمة ما لديه من المال فورده الجواب ان الخزينه تحتوي على  
الف ليرة فقط  
ولما كانت القيمة لا تسد حاجات الامير العديدة ولا تقوم بنفقة قيامه اعلم الشيخ  
بشير جنبلاط فمده هذا بكية وافرة

وعند ذاك امر الامير بالاستعداد لترك دير القمر بعد ثمانية ايام

وفي نهايتها نهض الامير بجاشيته ورجاله الذين بلغ عددهم ثلاثة الاف بين فارس  
وراجل وقام برفقته من الشهابيين الامير حيدر الاحمد من قرية شمالان والامير عباس  
من مجدل معوش وجرجس مشافة وعائلته قام بمعيته . ولما وصل الامير برجاله كثر فبرخ  
بلغه رسول عبد الله باشا الذي يحدد عليه الطلب ويلج عليه في اسراع تلبية فجاوبه  
الامير باللطف وقال له لو كان بوسعي وبوسع الرعية تقديم مطالبيك فني لفعلت ذلك  
حباً وكرامة انما عدم مقدرتي واصرار الوزير على طلبه اضطراني الى ترك دير القمر والبلد  
عن لبنان عل الوزير يعين له مكاني من يكون كفواً للقيام بمطاليبه . وافراري العجز

لا يحرمني ان اذكر الوزير في حلي وترحالي بحاله علي من الفضل وغمرني به من نعمته  
واستطرد الامير المسير الى ان بلغ حمانا فنزل فيها ليلة ومنها وصل الى قبة الياض  
التابعة لولاية الشام ومنها سمح لرجس مشافه ان يبقى مع اولاده في الشام . وارسل  
الى عبد الله باشا رسالة اعلمه بها انه ينوي الشغوص الى حوران وداوم الامير مسيره الى  
ان بلغ جبل الدروز في حوران ومن هناك ارسل الامير رسالة الى عبد الله باشا اعلمه  
بها عن وصوله ونزوله في ذلك المكان

### الفصل التاسع والستون

#### في خلف الامير

وقد حدث لعبد الله باشا بعد نزوح الامير عن دير القمر انه عين مكانه الامير  
حسن بن الامير علي والامير سليمان بن السيد احمد وكلاهما من وجوه ال شهاب بعدان  
سلخ عن الجبل اقاليم الخروب والتفاح وجبل الریحان وجبيل فرعي الامير ان  
بقسمتهما ولم يظهر اعتراضاً وثبیتاً لرضاهما اعتنقا مذهب الاسلام لينالا نعمة بعين عبد  
الله باشا ورجع آل عماد لما عرفوا ان خصمهم رحل عن دير القمر وزافت الاحوال  
وساد السلام مدة

### الفصل السبعون

#### في تعيين الامير حسن حاكماً على الجبل

وكان عبد الله باشا كثير الحركة قليل البركة فكان دابه العزل والبذل وحشد  
الاموال من ولاية المراتب ولما اتصل به خبر وصول الامير الى حوران استخضر من الاستانة  
الامير حسناً الذي عرفنا القاري به في غير هذا الباب وكيف انه قتل والده وحماء  
لرفضهما تغيير مذهبهما والاقتداء به وكيف ان سليم باشا امر في سجنه وارسله الى  
الاستانة تكفيراً عما جنت يده الاثيمة ولكن للناس مشارب وغايات تضحي في تنفيذها  
اقدس الواجبات وتحلل المحرمات ولا نبالي . وفي احضار عبد الله باشا الامير حسن



وتعيينه حاكماً على الجبل شاهد على قولنا و بدلاً من ان يسمى في اعدامه قصاصاً لما اجترمه  
احضره وعفى عنه وجل قدره . لماذا ؟ لانه اعتنق مذهب الاسلام وهو ذو ثروة طائلة

## الفصل الحادي والسبعون

### هدية الامير بشير لدرويش باشا

في المدة التي دخل جرجس مشافه باولاده الى الشام كان واليها معزولاً وكان الحاكم  
عليها وكيلاً اقامه درويش باشا يدعى درويش اغا بن جعفر اغا ولما بلغه خبر قدوم جرجس  
مشافه واولاده وكان يعلم مركز مشافه عند الامير فظن انه نال بغيته وملاً جوفه من مال  
الامير فصدر امره بالقبض على اولاد مشافه اينما وجدوا  
ولما شاع خبر قدوم درويش باشا الى الشام لينتزع في دست الولاية قدم له الامير  
هدية خمسة رؤوس من جياد الخيل فقبل درويش باشا الهدية ووعده الامير بالمساعدة  
وعند ذلك افرج عن اولاد مشافه وقدم الى دمشق من رجال الامير بطرس  
كرامه والشيخ منصور الدحداح ويوسف الخوري الشلفون وشاهدوا مع جامع حوادث  
كتابنا المقابلة التي جرت لدرويش باشا في دخوله الى مدينة الشام  
وكانت العادة التي جرى عليها حكام ذلك العصر عند ما يتولى احدى مناصب الولاية  
انه اول عمل ياتيه اعدام بضعة من الخائيس وتجريم البري، كي يوقع في الشعب رهبة  
ويريه قساوته وبدلاً من ان يطلق مراح المسجونين ويتظاهر بالدعة والى لم كما هي  
عادة حكام عصرنا يفتش عن المجرم او المتهم بجرم خفيف ويصدر امره باعدامه  
ذلك ما كان من باكرة اعمال درويش باشا حين وصوله الى الشام وكان حفظه اوفر  
من سواء حيث اتفق له وهو في طريقه الى مركز الولاية انه عثر على بضعة اشخاص في  
حماة وحمص فاحضرهم معه وكان يعدم الواحد بعد الآخر كل صباح يوم ارباباً للرعية  
وكان الشعب ينظر الى الحاكم نظر العبد الى سيده ولا يتجاسر على رفع ذلاره اليه  
وكانت الاهالي تحتفل بحاكمها وتظاهر بسبودتها له وتزيد من الاطناب به قبل  
ان تعلم عنه شيئاً وتحرق له بخوراً ونضحي له الشموع وتزين الشوارع كما هي العادة التي  
لم نزل نجترم نصوصها الى يومنا هذا  
ومن جملة اهالي دمشق بطرك الروم وبقيّة خدمة الكنائس خرجوا للملاقاة درويش

باشا بالزمار والقيثارة

وكان يتقدم الباشا مناد للصلاة على النبي واصحابه وقد حينه مدافع القلعة وبنادق الجنود وصدف في نهار دخوله كان عيد الفصح للروم فاعتنموا الفرصة واحرقوا من البارود اكراما للفصح وللباشا معا ما شاؤا  
وكانت طريقة الاعداء في الشام خنقا يجبرون اليهود او من صدف لهم في حينه من النصارى على تنفيذ الحكم بالمجرم

### الفصل الثاني والسبعون

في استبداد سيروفيم بطريرك الروم

ومن الحوادث التي هي جديرة بالذكر والتي نشأت بسببها فتنة بين بطريرك الروم سيروفيم وبين طائفة الروم الكاثوليك وادت الى اضطهاد هؤلاء :  
كان بطريرك الروم على عصر حوادث كتابنا له السلطة على الكنيسة والطائفة الكاثوليكية رغما عن انفصال هذه عن كنيسته وكانت الدولة تعضده وتطابق ارادته في شؤونها

وكان لا يسمح لرجال الكنيسة من الطائفة المشار اليها بلبس القلانس السوداء ولا تقليد ملبوس كهنة الروم وقد اجبرهم على ان لا يختلف لباسهم عن لباس عامة الشعب . وكان يقيد ارادتهم في الجنائز والعمادات والاكاليل فكان اكليريوس الروم مضطرا في كل ذلك الى رخصة منه قبل مباشرة شيء منها وكان يقاص من يجترئ على مخالفة القاعدة . وفي سنة ١٨١٩ حدث خلاف بين كاثوليك حلب ومطران الروم جراسيموس التركان ومع كون رعية المطران في حلب لا تزيد عن خمسين نفسا تصدر لارغام الطائفة الكاثوليك وعددها الف وخمسمائة نفس على التزام طاعته غير ان الكاثوليك رفضوا طاعته واصروا على مقاومته وطال الجدل بينهما واعقبه خصام وقتال اسفر عن قتل احدى عشر نفسا من الكاثوليك كان اعدائهم بامر الحكومة واستقالة المطران من وظيفته وارساله الى صيدا حيث اجتمع بالكتور ميخائيل مشافة وتأملت الضغائن بين الطائفتين لا سيما عقب ان فك احد الرعايا ببطرك الكاثوليك اغناطيوس



وبما زاد الطين بلة والطنبور نفعة حنق بطريرك الروم على كاهن كاثوليكي وبدلاً  
من ان يعاقبه على الشروط الكنائسية كما هي العادة ارسله الى السجن واهانه  
فمضى بعض الوجوه من الكاثوليك وسعوا بمالهم فاخرجوا الكاهن من السجن وكان  
خروجه نكابة بالبطريرك وكان من بعضهم انه تقدم الى البطريركخانه وبيده عصا قد علقت  
على طرفها حذاء عتيقاً وهو ينادي بصوته اذا كانت هذه راية ساروفيم وكانت عصا بته  
تجاوبه 'سود الله وجهه'  
فاغناظ البطريرك من هذه المظاهرة وعداها اهانة جسيمة وبلغ منه الغيظ حداً اخرجه  
عن حدود التعقل فامر جميع كهنة الكاثوليك وقسوسها بحلق لحام واستعمل نفوذه  
لدى الحكومة فساعدته وتفتهم الى جزيرة ارارود عن طريق طرابلس  
وقد شكى الكاثوليك معاملة سيروفييم الى عبدالله باشا فامر بارجاعهم  
ولم يكتب سيروفييم بما تقدم بل قدم شكواه الى الوزير واعلمه ان جانباً من الرعية  
تمرد عليه بمساعي الافرنج وجنح عن دينه وقد كذبت الطائفة الكاثوليكية فرجع بالفشل  
واخيراً اتهمهم بالموامرة على قتله وفي هذه المرة تمكن من جلد امم الجمهور وبعد ان  
سامهم من العذاب والاهانة الوانكا اجبرهم على دفع مال واطلق مراحهم  
وبعد ايام صدر امر الوزير بتحقيق النصاري ومنهم ان يرتدوا ثياباً حمراء ولا سيما  
الحذاء الاحمر وفي يوم صدور الامر كان في بيت مخايل مشافة بضعة من عيون لبنان  
احذبتهم من النوع المحظور فخافوا ان يخرجوا خارج البيت قبل ان سودوها

### الفصل الثالث والسبعون

في عودة الامير بشير من حوران

وبعد ان طال على الامير الامد في حوران يقامى شغل العيش في تلك الغيا في  
القاحلة فقد منه المال واصبح بجيلة من العسر حتى انه اضطر الى رهن بعض املاكه  
وسحب عليها اسد عوزه وهو في تلك الحال من الضنك والفقر ورد عليه امر درويش  
باشا بطلب كمية تبلغ نصف مليون  
وعند ذلك ارسل الامير الى عبدالله باشا يستعطفه في كبح مطاعم درويش باشا  
عنه ووسط له ضيق يده والحالة التي وصل اليها

فرثي عبد الله باشا لحاله وبعث يستعصره اليه بعد ان شعر بحاجته الى امثاله في تلك  
الافرة خصوصاً لما بلغه عصيان المورة وتعدّي بحارة الاروام على السفن القادمة الى  
سوريا وطلب الباشا من الامير ان يأتي لمقابلته شفا عمداً للمفاوضة في شؤون هامة  
ولما بلغ الامير امر الباشا عول على القدوم اليه في ثاني الايام بالرغم عن تحذير  
الشيخ جنبلاط له من الشرع في الانقياد الى شفا عمداً واثار عليه في تظاهره بالدين  
الاسلامي فأمر الامير بمقابلة عبد الله باشا وثبوتته على دبنه  
وفي ثاني الايام قصد شفا عمداً المكان الذي عينه له الباشا ومعه عشرون فارساً  
ولما علم عبد الله باشا بوصوله بعث اليه يخبره بالمكان الذي يريد ان ينزل به فاختر  
الامير جزين المساوغة عن الجبل وارسل يستقدم رجاله اليه وبعث فاستحضر جرجس  
مشافة واولاده من الشام وبقي مخائيل ليتم دروسه فيها  
وعقب وصول الامير الى جزين اقبل اهل زعامتها للسلام عليه ووعدوه بالطاعة  
ولم يمض على وصوله وقت يذكر حتى ورد اليه امر عبد الله باشا في تعيينه حاكماً على  
الجبل وضم الاقاليم التي كان سلخها عنه الامدنة جبيل  
وظل الامير اياماً في جزين يتأهب للرحيل الى مركزه ويعد الامور اللازمة  
لاستلام وظيفته

## الفصل الرابع والسبعون

### في ثورة الشعب ضد الامير

وقبل ان يقوم الامير من جزين طلب من الاهالي دفع الجزية والخراج كجاري  
العادة لكن بصورة غير صورتها الاولى مما جعل الشعب يستغريها واصر علي رفض  
اجابة طلب الامير وحاول الامير ان يفهم الشعب ان القيمة هي ذاتها انما صورة لا تختل  
تختلف عن الماضية ولم ينجح فنار عليه نحو ثلاثة عشر الف قس ولم يكن مع الامير  
فوق الثلاثائة ودارت رحى الحرب بينهم مع ان الامير منهمام واخاض لهم النصيحة ولم  
ينتهوا فاعمل بهم سيفه وامر رجاله على قتلهم ان يقتدوا به وقد انتصر الامير مع قلة  
عددهم علي ذلك الجمهور وذهب من رجاله بضعة ومن الاهالي عدد غفير وانهمزوا وفي



ساء ذلك النهار انتهى عبد الله باشا الى الامير امر تعيينه على جبيل والجبل ورخص له الإقامة في جبيل

اما الشيخ بشير جنبلاط فجمع لديه التي رجل من الاشداء وتوجه بهم قاصداً مركز الامير الجديد ليساعده على العصاة . وفي وصوله الى نهر انكلب التي بشرذمة من العصاة كأمته له تنوي الفتك به وبمن معه واغلب العصاة من كسروان فقالتهم الشيخ بمن معه من الرجال وشتت شملهم . وفي طريقه الى جبيل التي بالكاهن ندرا وهو في العدة الكاملة للزال يحرض القوم على اعادة الكرة والمواظبة على القتال الى ان يتم لهم النصر فقبض عليه الشيخ وقدمه ذبيحة للنار تكفيراً عن ذنوبه وداوم مسيره الى جبيل

وبعد ان هدأت الاحوال ولاذت الاهالي الى السكينة والطاعة ورد الى الامير رسالة من عبد الله باشا مفادها ان يقدم اليه جدعون الباحوظ ليفاوضه بشؤون هامة ويبعده اليه بها ليقصها على مسامع الامير فصعد الامير بمفاد الرسالة وطلب الى جدعون الذي كان الامير يعتمد عليه في حل المضلات ان يذهب الى عبد الله باشا

### الفصل الخامس والسبعون

#### في قدوم الامير الى بيت الدين

ورأى الامير من الابقى لحفظ نظام الجبل ان يقوم الى مركز الولاية فقام الى بيت الدين وقبض على ازمة الاحكام بيده الحديدية وصدف في تلك الاثناء ان درويش باشا شخص الى مكة بمجفل الحج واقام مكانه فيضي باشا وعين فيضي باشا حسن اغا العبد نائباً له على البقاع ولم تستقر لحسن اغا الولاية حتى بدأت تعدياته وكثر تشكي الاهالي منه للامير وكانت تعدياته متلاحقة واكثرها بين صيدا ولبنان حتى لم يعد للامير بد من جدع انف المتعدي فطلب من فيضي باشا ان يكف حسن اغا عن تعديه وبامره بارجاع ما سلبه من اهالي ولايته ولما لم يرد له جواباً جند له فرقة وامرهم ان تلحق بحسن اغا العبد وتلقي القبض عليه وتسترجع ما سلبه من الرعية فقامت الفرقة ولم تبلغ البقاع حتى فر من وجهها حسن اغا الى الشام فرجعت ومعها نعويزات عما الحقه الاغا بها من النهب والتعدي

وعين فيضى باشا أمين بك مكان حسن اغا العبد ولما درى الامير بقدمه ارسل اليه الشيخ جنبلاط بشرذمة من الجند احضروه مكتوفاً الى الامير ولولم يشفع به مخايل مشافة لقضي عليه في سجن الامير

### الفصل السادس والسبعون

#### في المواجهة على عزل عبد الله باشا

اتفق لجدعون عائق صده عن الشخصوس الى مواجهة عبد الله باشا وعند زواله صدع بامر الامير وذهب الى مقابلة الباشا في مركز ولايته ولما قابله عرض له الباشا ان جواسيسه في الاستانة افادته مؤخراً ان اليهود حانقة عليه لفتكه بجحيم فارحي وانها بذلك مالا لا يحصى عدده واقنعت الدولة بتعيين درويش باشا مكانه ولولم يكن درويش باشا في طريقه الى مكة لاعلان اوامر الدولة وقدم اليه برجاله وموعد ذلك عودته من الحج ولذلك يرغب ان يقف على رأي الامير ويستكشف منه مايرتابه فاذا كان بعده بمقابلة درويش باشا فلا يبالى اذذاك ان يرفض طلب الدولة عزله وتعيين درويش مكانه ومتى تحصل على وعد الامير الشفاهي بتأهب للدفاع عن حقوقه ويجعل السيف صاحب الانصاف . فعاد جدعون الى الامير وانهى اليه بكلام عبد الله باشا المتقدم وزاد عليه ان عبد الله باشا يريد الوقوف على حقيقة افكارك فاذا كنت تقف بجانبه وثبتت معه الى النهاية يقدر على ارغام درويش باشا بالقوة واذا لم يأخذ منك وعداً فلا يرى لنفسه نجاحاً باشهار عصيانه على الدولة ولما حصل الامير على تعليمات مولاه ووقف على ما يقصده منه وطد النفس الى الثبات بجانبه وهم ان يقصد عكاً لمقابلته غير ان ما حدث ونقصه عليك في الفصل الآتي اوقفه عن الشخصوس واتمام قصده

### الفصل السابع والسبعون

#### في واقعة راشيا

ولما رجع الامير والشيخ بشير جنبلاط الى الجبل نزع آل عماد عنه والتجأوا الى



درويش باشا وتوسطوا امامه في توجيهه ولاية راشيا الى الامير منصور الشهابي لانه كان ميالاً لهم وعزل الامير افندي المتشيع للامير بشير  
وكان من درويش باشا اجابة ملتزمين الامير منصوراً حاكماً على ولاية راشيا  
ووجه معه حملة مؤلفة من آل عماد ليخرجوا الامير افندي من المركز رغماً عنه . ولما  
دري بهم الامير افندي بعث فاعلم الامير بشيراً بقدوم الحملة اليه وقص عليه العامل على  
ايجاد هذه الحركة

ولما كان الامر جالاً نهض الامير بنفسه في قيادة جنوده الاقوياء واخذ معه فرقة  
من جنود عبد الله باشا ووجهته راشيا فوصلها قبل الامير منصور بابام  
وعند وصوله في قيادة الحملة هجم بها على راشيا وصدده الامير برجاله واستعرت  
الحرب بينهم اباناً فانجحت عن انهزام الامير منصور ومن لف لفه وظل الامير  
ورجاله يضر بون قفاها الى ان ادخلوها دمشق الشام مركز خروجها فعاد الامير برجاله  
منتصراً محفوفاً بالتجلة والاكرام

### الفصل الثامن والسبعون

#### في مقابلة الامير عبد الله باشا

وفي غضون سنة ١٨٣٠ او بعد حادثة راشيا بقليل ورد للامير رسالة من عبد الله  
باشا يحثه بها على مقابته والشخص اليه بالاقرب العاجل . ولما لم يكن لديه مانع يمنعه  
عن اخلاء مركزه قصد عكا اجابة لطلب عبد الله باشا لثاني مرة  
وعند وصوله لم يشأ عبد الله باشا ان يستقبله في قاعة الاستقبال كما يستقبل بقية  
زائريه فرغب في ان يميزه ويظهر ثقته به فادخله دار الحرم مع ما في ذلك من خوارق  
العادة المتعارفة بين المسلمين والنصارى . ولما دخل الامير عليه استقبله الباشا وظهر له  
الخلاوة والاكرام وتقدمت اليه والدة الوزير وقبضت بيدها على حزامه واقعة عليه في مساعدة  
وادها وقالت له ان ولدي وان يكن مولاك من حيث وظيفته فهو ولدك لسنه قد سبق  
سبله وحدائته فاساء لك المعاملة في الماضي والآت يربد منك ان تغفر له تصرفاته  
السابقة وتعضده على خصمه . فاليهود اجمعوا على الانتقام منه وحملوا الدولة واغروها  
بالمال على الخط من قدره وعزله من وظيفته على يد درويش باشا ولا غرابة ان ظفرت به

ان تعمل على اعدائه تشفياً لليهود اخذاً بثأر رجلهم حايم الذي ذهب ضحية الطياشة والجهل . اما الآن وقد سبق السيف العزل ارجو منك كرامة ووالدة مولاك ان تثبت بجانبنا وتعزز مقامنا لنا على وشك الزوال

ولم يسع الامير في ذلك الموقف الا اجابة طلبها وقال اني اعترفت سابقاً واعترف الآن بعبوديبي الصادقة لمولاي وها انا مستعد لتضحية النفس والنفيس في سبيل مرضاته ولا اذن بأخر فطرة من دمي ان كان في اهراقها فائدة له فليأمرني بما يريد فيجودني ثابتاً على قولتي محققاً امانيه بي

فقال له عبد الله باشا الذي اریده منك وابغيه ان تقوم برجالك ورجالي الاشداء وتوقع بدرويش باشا قبل ان تصله الفجوات التي ارسلتها له الدولة بقيادة والي حلب واظنه متى فتكنا به وبسطنا يدنا على ولاية الشام يهون علينا ارضاء الدولة بالمال وفضلاً عن انها ترى بطشنا وشدة بأسنا فترهب جانبنا لاسيما ولي في الاستانة اخلص الاصدقاء يساعدوننا على نيل بغيتنا فاريد منك ان تجمع رجالك وتاتي بهم الى جسر بنات يعقوب حيث تلتقي بالجنود التي ارسلها الى هناك وتضم الجيشين تحت قيادتك وتقدم بالمقدمة الى الشام وتضابق على درویش باشا فيها الى ان تظفر به فترسله الي مكبلاً بالقيود . ولم يظهر الامير ترددا في اجابة الباشا على كلامه وما فاه به كان برهاناً على تثبیت وعده ومحققاً امانی الوزير به وهب من ساعته بقرن قوله بالعمل ورجع الى مركزه وبدأ يجمع رجاله وحشهم على القتال اما عبد الله باشا فكان منه بعد مبارحة الامير انه حشد الجنود وعد معداته وسيره الى جسر بنات يعقوب



## الفصل التاسع والسبعون

### في حصار دمشق الشام

ولا اجتمع حول الامير رجاله ومشايخ الجبل ورجالهم ركب في مقدمة القوم الذين بلغ عددهم اثني عشر الفا بين راجل وفارس الى النقطة المعينة حيث ضم الى عساكره الفرقة التي ارسلها عبد الله باشا وكانت بانتظاره ومن هناك استأنف الامير مسيره في مقدمة ستة عشر الف مقاتل

اما درویش باشا عند ما بلغه امر حملة عبد الله باشا بقيادة الامير بشير او جس خيفة



من عددها وشدة بأس رجال لبنان . فجمع اليه رجاله وكل من قدر على حمله على الحرب والنزال مع آل عماد النازحين عن لبنان وبعض امراء شهاب من اعداء الامير ومن انتمى لهم من الرجال ورتب معسكره خارج المدينة على بعد ثلاثة اميال في قرية المزة وأعد المدافع وجعلها في المقدمة ووراء المدافع الفرسان وابتقى بقية الجند وراء جدران المحلة وعند وصول الامير واشرف رجاله طليعة فرسان درويش باشا دومت برشاش من قنابل ورصاص واشتبك القتال مع الفرسان اصحاب الرماح واشدد سمير الحرب وتقديم الامير بنخبة من رجاله المشاة الى الامام فاخترق فرسان درويش ولم يبال بالرصاص الهاطل عليه وظل ينفي رجاله ويدفعهم الى التقدم وهو امامهم كالطود الى ان اقترب من جدران القرية وهناك لاقى عانة عنيفة لكنه تغلب عليها وتساق مع رجاله الجدار ودخل القرية واعمل برجال درويش السيف واصلاهم نارا حامية حتى ارغمهم على الانسحاب منها وبعد انهزام خصمه من امامه امر رجاله بحرق القرية وظل يطارد درويش باشا ورجاله الى ان ادخلهم مدينة الشام وكثير منهم رموا بانفسهم في المستنقعات التي خارج المدينة فماتوا غرقا

وعند ذلك رفع الامير السيف عنهم ولم يسمح لرجاله بدخول المدينة خوفا من نهبها فعاد عنها الى قرية المزة وبلغ عدد قتلاه اربعين وقتل درويش باشا الف ومائتين فضلا عن الاسرى ومنهم الشيخ حسين تلحوق اما درويش باشا فاركن الى القلعة وتحصن بها ينتظر قدوم النجدة القادمة اليه بقيادة مصطفى باشا والي حلب

### الفصل الثامن

في وصول طلائع مصطفى باشا

ولما كان الباعث بنا الى انشاء ونشر هذا الكتاب تقدير رجال الفضل قدرهم وبث الحقيقة ونشر لوائها على مرتفع الفضيلة وقد راعتنا شجاعة الامير وهزت بنا معاقل تصوراتنا الى وضم كلمة في هذا الصدد فنقول :

ان شجاعة الامير ورجاله البواسل وحذقه بالقيادة وصدق خدمته حتى الاجانب نظير عبد الله باشا التركي ولا مصلحة له وطنية يرمي اليها سوى تثبيتته على منصة الامارة

في لبنان وطنه وان نصرته هذه فضلاً عن انتصاراته العديدة لا تقل أهمية عن نصرة  
اعظم قواد الحرب الذين حفظ لهم التاريخ وقائعهم واشهر براعتهم وهي شقيقة لنصرة  
نابليون الاول في ابي قير بمصر

ان هذه القوة اللبنانية والشجاعة النادرة كانت مصروفة في غير ما خلقت له وما  
ذلك الا لجل زعمائها وتفصيلهم الفتن الاهلية والشخصيات على العموميات وموت روح  
الوطنية من صدورهم فلو صرفوا قواهم لحفظ استقلالهم والدود عن وطنهم واستبدلوا  
المشاكسة بالمحبة والوثام وخدموا وطنهم وطرحوا عنهم سلطة الاجانب وعززوا  
جانبيهم . . لو كانوا فعلوا ذلك . لو قدر لذلك الشعب الملائن قوى ونشاطاً رجالاً نزهاء  
يفضلون الصالح العام على المصالح الذاتية لكانوا نظرونا على منصة حكومة لبنان خصوصاً وسوريا  
عموماً حاكماً وطنياً من سلالة اولئك الذين دوخوا العالم بيضة عشر عاماً وكنا نخلصنا  
من جور الانراك وظلمهم وخنوهم وتعصبهم وكانت سوريا الان في مصاف الامم الحية  
والدول الراقية

باليتم عقولوا واخلفوا لنا ورثاً لحكومة وطنهم الذي نرثه الان ونبكيه بالدموع  
انما شاء ربك ان لا يعقلوا . . . وبعد ان دونا العاطفة التي لا ريب من وجود مثلها في  
صدر كل لبناني فيه شرف المبدأ نرجع الى صدد كتابنا

بعد ان مضى على حصار الشام وقت قصير وردت الاخبار بوصول مصطفى باشا  
ومعه عدد غفير لنجدة درويش فتهالت وجوه وعبست وجوه

## الفصل الحادي والثمانون

### في رفع الحصار عن الشام

وكان من الامير لما علم بقدم طلائع مصطفى باشا انه ارسل مبعوثاً من قبله الشيخ  
عز الدين وهو من عقال الدروز الى مصطفى باشا وانهي اليه هذا الكلام : ان درويش  
باشا محصور وان الامير منع رجاله من دخول المدينة احترازاً من حدوث امر لا يرغب  
فيه . ولولا ذلك لكان دخل المدينة وقبض على درويش باشا وساقه الى عكا لاسيما وقد  
سبق انه أساء معاملة الامير يوم نزل في جواره وعوضاً عن اجارة المهسوف ومساعدته



طلب منه تقديم مال طائل لقاء مرعي ماشيته وخبوله ٠٠ ولما كان عالماً بقدموك الى مساعدته رأى ان يقيم على حصاره الى ان تحل ركابك ارض الشام ووصل اليه امرك فيقوم مدحوراً من امامك ليزيد نفوذك عند الدولة ويخفف من نفوذ درويش باشا فتعزله الدولة وتعينك مكانه

وقد سر مصطفى باشا لما سمعه لانه كان خائفاً من الامير خوفاً شديداً — ولما وصل الى ضواحي الشام ارسل الى الامير يعلمه رسمياً بوصوله من قبل الدولة ليعضد درويش باشا وامره برفع الحصار حسب وعده فصعد الامير بامره ورفع الحصار عن دمشق وصرف رجاله عنه ورجع الى مركزه وفي نيته امور تقتضي الروية وبعد النظر وبعد المداولة مع الشيخ بشير جنبلاط في شؤونها قرر رايه على الذهاب الى مصر لمقابلة محمد علي باشا وقد اخبر عبد الله باشا بذلك فوافقه على الذهاب

## الفصل الثاني والثمانون

### في قيام الامير الى مصر

وكان الامير سبق فكشبه الى حنا البحري يطلب منه المساعدة على ايجاد صلة بينه وبين محمد علي باشا وكذا سبق من عبد الله باشا رسالة الى المشار اليه بها يسأله استعمال نفوذه لدى الدولة لتعفو عنه وتبقيه في مركزه

وفي نهاية معدات السفر انظر للشيخ جنبلاط رغبته في تقديم الامير عباس ابن شقيقه لانه خاف من درويش ان يوجه حكومة الجبل اذا فشل مسعاه في مصر الى امير معاد له

والامير عباس هو ابن الامير اسعد بن يوسف بن الامير حيدر الجد الاول لآل شهاب بلبنان الغربي

ومن ثم قام الامير بشير الى مصر ولما دخل على محمد علي باشا نال الحفاوة والاحرام منه وانزله محمد علي بالصعيد في قرية بني سويف احتراماً للدولة . وفي بضعة ايام ارسل محمد علي رسولا من قبله الى الاستانة يلتمس العفو عن عبد الله باشا والامير معاً

### الفصل الثالث والثمانون

في تعيين الامير عباس خاناً للامير بشير

اما درويش باشا بعد ان رفع الامير الحصار عنه ووصول النجدة له تمتع بالسلطة التي كاد ينزعها الامير منه وعبا جنوده وتقدم الى البقاع فقدم الى مقابلته الامير عباس بعصابة من وجوه قومه واظهر له عبوديته وصدق خدمته . فوجه درويش باشا اذ ذاك حكومة الجبل اليه واقامه مكان الامير بعد ان اخذ ميثاق الشيخ جنبلاط على تقديم مطالب الجبل من جباية ورسوم اليه وكان في قرية قرب الياس قلعة قديمة متهدمة فامر بهدم الباقي منها واقام عليها وكيلاً لينجز هدمها . ثم كتب الى الدولة عن انتصاره على الامير بشير وهدم قلاع لبنان وادخله في دائرة حكمها وعين الامير منصوراً حاكماً على راشيا وطرده الامير افندي منها ففر بجاشيته ونزل بها على الامير عباس الذي اكرم وفادتهم

ثم وجه درويش باشا حكومة مرج عيون الى الشيخ علي العماد وظل في تبديل وتعيين الى ان اكل رغبته في الجبل وامن عليه من العصاة وما بقي امامه الا عبد الله باشا فقصده عكا ورام ان يطلق آخر سهم في جعبته على سورها المنيع

### الفصل الرابع والثمانون

في حصار عكا ثانية

ولما علم عبد الله باشا بقدم درويش الى حصاره جمع رجاله من عرب واكراد فبلغ عددهم التي رجل فوضع ثقته بهم على الدفاع عن سور المدينة وعبا من المؤنة والذخيرة كل ما بلغت اليه يده  
اما درويش باشا فنزل بمسكبه في ابي عتبة على بعد ثلاثة اميال من عكا واشترك معه في الحصار مصطفى باشا والي حلب وبرهام باشا والي اطنة ومن اجتمع معهم من الرجال والفرسان

وكان المحاصرون في ذلك العصر لا يهجمون على المدينة ويقائلون حاميتها بل كانوا



ينتظرون اخذها بدون عناء ولا مشقة فكانوا يلبثون على حصارها الى ان يفرغ زاد الحامية وتركوا الى الفرار او التسليم ولم يكن درويش باشا يحترم هذه العادة المألوفة لو اكد لنفسه الغلبة ولكن الذي دعاه الى ذلك الاحترام مناعة عكا وقصر باعه عن الحاق الضرر بأسوارها المشهورة ولذلك ثبت مع مناصريه على حصار المدينة خمسة اشهر وهو لا يذو الى السكينة ينتظر ان يفتح له باب المدينة ليدخل به ويتنعم بالسيادة عليها وكان جل ما يأتي به اطلاق ثلاثة مدافع يومية ويجاوبه بمثلها عبد الله باشا ولولا اعتقاده الديني لما تكلف الى طلق واحد فكان يطلق المدافع عند الغروب كما هي العادة الجارية عند حكام المسلمين الى يومنا الحاضر وقد ملت الدولة فضلاً عن رجاله من تقاعده وعجزه الذي كان يظهر فيه يوماً عن يوم

### الفصل الخامس والثمانون

#### في عزل درويش باشا

وبعد ان مضى على حصار عكا خمسة اشهر كما قدمنا ملت الدولة وسئمت من درويش باشا ومماطلته وربما كان الباعث على اظهار مللها منه تفوق محمد علي باشا ورجال عبد الله باشا المخلصين له فارسلت وعزلت درويش باشا وعينت مكانه والياً على الشام مصطفى باشا الذي جاء لمساعدته وكان معه من المحاصرين لعكا ولما ورد الامر كان وقعه كالصاعقة على درويش باشا ورجاله وخصوصاً زعيم اليهود سلون فارحي الذي هبطت مساعيه في الانتقام من عبد الله باشا ومات غماً على الاثر ولما انتشر خبر تعيين مصطفى باشا والياً على عكا نزل اليه الامير عباس وهناً وبالولابة وفي الوقت ذاته التمس منه اصلاح الخلل الذي احدثه درويش باشا من تجزئة الجبل فوعده مصطفى باشا بارجاع حكومة الجبل الى ما كانت عليه قبلاً . ولما كان مصطفى باشا يعلم ان الامير عباساً ليس كفوءاً لضم شعث حكومة الجبل وليس عربقاً بالامارة اخبره انه ارسل يستحضر الامير بشيراً من مصر ليوليّه حكومة الجبل كما كان عليها حالاً قبل قيامه ظاناً ان الخبر يسره فكظم عباس غيظه ونظاه بالسرور واجتهد في اصلاح ذات البين بين امراء وادي التيم وقسم البلاد بينهم وعيّن النصف

منها للامير منصور والنصف الثاني عين حاكماً عليه الامير افندي وخطر على الامير افندي  
السكنى في عين عطا وسمح له اخيراً ان يسكن في بكفيا وامر الامير منصور بالاقامة في  
راشيا ورتب الامراء الباقين معاشات على حسب رتبهم ومقدرتهم وكل ذلك على نفقة  
الشعب المسكين

اما الشيخ علي العماد الذي توجهت اليه حكومة مرج عيون فكان ميّ التصرّف  
ضعيف الادارة حتى ارغم مصطفى باشا على الحقد منه ومن تصرفه الفاسد واخيراً لما رآه  
على ازدياد في تعجرفه واستبداده وتصلفه امر بقتله وقيل ان السبب في قتله هو عسره المالي  
وامساك يده عن رشوة الباشا بكفية الموظفين والله اعلم

### الفصل السادس والثمانون

#### في رفع الحصار عن عكا

وظل مصطفى باشا محاصراً لعكا بالعساكر الى ان مرّ عليه اربعة اشهر علاوة  
عن المدة التي صرفها درويش باشا ولكن مرور هذه المدة على مصطفى باشا بدون  
جدوى لم تغضب عليه الدولة كما غضبت على درويش باشا بل كانت واثقة به . وفي نهاية  
الاربعة الشهور ورد من الدولة فرمان بالعفو عن عبدالله باشا وتجديد مدته والبا على  
صيدا وامر مصطفى ان يرفع الحصار عنه ويرجع الى ولاية حلب  
وكان رسول الدولة بالفرمان والامر رسول محمد علي باشا الذي ارسله الى الاستانة  
لفحص به الامير الى عكا حيث ناول الامر الى مصطفى باشا ورسول محمد علي نقل  
الفرمان الى عبد الله باشا

ولم يظهر من مصطفى باشا اقل ممانعة لدى ابلاغه امر الدولة في رفع الحصار عن  
عكا ورجوعه الى ولايته غير انه لم يكن لديه مال ليدفع رواتب الجنود فعرض للامير  
حاجته الى المال وكان من الامير انه بلغ عبد الله باشا ذلك وقدم له كمية وافرة سدّد  
بها عزته وعند ذلك تاهب مصطفى باشا للعودة الى مركزه وبرح عكا في آخر اسبوع من  
الصيام الفصحى



## الفصل السابع والثمانون

في رجوع الامير الى مركزه



الامير بشير الشهابي الكبير

وبعد قيام مصطفى باشا بايام معدودة امر عبدالله باشا الامير ان يرجع الى مركزه الاول ويقبض على ازمة حكومة الجبل  
ولما كانت الدولة فرضت على عبدالله باشا غرامة الحرب واكلافها نصف ما يربح  
ليرة وقد سلخت عن ولايته اثناء الحصار طرابلس وغزة وبافا بعثت تطلب منه المال  
ووعده في اعادة المدن الى ولايته اذا لم يطل عليه الوقت في تسديد طلبها  
ولما كان الجبل خمس ولاية صيدا فرض عليه خمس الغرامة ولم يمهل الامير اباما  
لوصوله حتى بعث يأمره بجمع المال وتوريده اليه وبين له رغبته في جمع القسط من  
الشيخ بشير جنبلاط اذا امكن وسبب ذلك ان الباشا لحظ على الشيخ المشار اليه قبله في  
اثناء الحصار الى درويش باشا  
فجاوبه الامير باللفظ وقال يكفي الشيخ جنبلاط دفع الثلث من الذي فرضه على  
الجبل واتعهد بتقديم الثلثين عند ما يتسنى لي جمعها من الاهالي

تأمل كيف يدفع الشعب المسكين نفقات الحروب حتى بين الاتراك انفسهم وما  
نفع الشعب من تنصيب هذا الوالي وعزل ذاك من الاتراك  
فالشعب لم يشترك بالثورة على الدولة بل ظل يدفع الجزية والتيه الا يكفيه  
ذلك حتى يغرم بدفع غرامة الحرب التي لا يد له فيها ولا منزع كل ذلك كان يجري  
بفضل زعمائه الذين خيم الجهل على بصيرهم وآثروا الضلالة على الهدى ودوس وطنيتهم  
على اعناق ذواتهم . ولو فضلوا الصالح العمومي على الخصوصي لراحوا ذلك الشعب  
من اكلاف طائلة وكفلوا له استقلاله عن حكومة الاتراك

وعلى هذا النحو ارسل الامير الى الشيخ جنبلاط يطلب الف وخمسمائة كيس وامر  
اليه اوامر عبد الله باشا وكيف انه اغفل اعباءه ومشقة سفره الى مصر لاجله واعلمه بما  
هو مطلوب منه . فقبل الشيخ وتظاهر بدفع القسط وشرع يورد منه الى الامير اقساما متتابعة  
وكذلك الامير فكان عند ما يتوفر لديه قسط يرسله الى عبد الله باشا مع  
مخائيل مشافة

وكان عبد الله باشا يسأل مخائيل مشافة ان يفرز مال الشيخ جنبلاط عن بقية المال  
ويعلم به فكان كل مرة يقدم الامير اليه قسطا يسأل اولا عن القسط المدفوع من  
الشيخ ويرسله الى دار الحرم ويجعله من مصروفه الخاص . وقد صرح لمخائيل مشافة مرة  
انه حلال لنفسه صرف المال الوارد من الشيخ جنبلاط وحرم بقية الاموال لانها من  
ذميين مقبوضة منهم بوجه غير شرعي لا يجوز له التصرف بها . واعترضه مدير خزينته  
الشيخ عباس ولكن عبد الله باشا دحض حججه واغلق عليه المسالك حيث قال له : هل  
يجب على الذمي شرعا ان يدفع لنا غير مال الجزية فما بالناس نكافه اشياء كثيرة سواها لا  
ناقة له بها ولا جمل ألم يكن بالامن بقاتل معنا درويش باشا مجانا لم يضح نفسه  
بخدمتنا ولا لاجل سعادتنا ألم يؤثر مصلحتنا على مصلحته وكان ساعدنا الاقوى في طرد  
الوهابيين من سوريا وبوسف باشا من دمشق بمدة ولاية عمنا ألم يهلك منه عدد  
غفير في الحروب التي دارت رحاها لاجلنا . . . وكل ذلك بدون ان يكون له دفع ضريبة  
او جر مغم . بيد ان الفرد منا لا يخدمنا باخلاص وصدق ما لم يكن له منفعة شخصية  
وانت ايها الشيخ منهم انريد ان نعاملهم بالقسط وعلى شريعة المشترع فتعود علينا الخسارة  
وعليهم النفع كما يتضح لذي بصيرة

وكان حصار عكا الاخير اثر باخلاق عبد الله باشا لان ما شاهده من رجال الجبل



من الخدمة وصدق المودة بعثاه على التساهل ودمائة الطباع . وجبذا لوعلم رجال لبنان حقوقهم التي صرح بها الوزير امام واحد منهم وهو مخائيل مشافنة وهبوا من رقادهم وعززوها يداً واحدة

## الفصل الثامن والثمانون

في ثورة الشيخ بشير جنبلاط

وبعد ان دفع الشيخ بشير آخر قسط من مال الضريبة التي وضعها عليه عبد الله باشا ارتحل الى راشيا واتجأ الى والي الشام لانه شعر بمقاصد عبد الله باشا وقد سأل والي دمشق ان يتوسط له ففعل وارسل له عبد الله باشا ميثاق الامان والصفح عنه وامره ان يرجع الى مركزه فرجع الشيخ الى محل اقامته يصحبه معتمد من قبل والي الشام عبد الله افندي وكان علي جانب من الفصاحة وفي وصوله قدم الشيخ للسلام علي الامير وكان من عادته ان يصحب معه في مثل هذه الظروف عدداً قليلاً من حاشيته . اما في هذه المرة فاصطحب معه ما ينيف عن الف رجل كأنه اصبح في ريب من الامير ولما رأى الامير هذا الاختلاف حنق عليه وعد ذلك اهانة لمنزله وحنة في صدق مودته . ولما تظاهر الامير بما دعته اليه ظروف الحال تداخلت رجال الاديان بين الفريقين وكان شأنها ان توسع الخرق كما يقع لها في كل معضلة وعقب ذلك ارسل الامير يطلب من الشيخ مبلغاً جسيماً من المال علاوة عن الذي دفعه فدفع الشيخ قسماً من هذا المبلغ وتوسط له مخائيل مشافنة في دفع الباقي افساطاً وكانت الغاية التي رمى اليها الشيخ ان يجعل له فسحة يقوم بها من لبنان وهكذا كان لانه رحل في تلك الليلة عن دياره ولم يعلم به الامير الا في صباح الغد ولم يكذب الشيخ بتواري عن لبنان حتى تظاهر اخصامه بدواعيها العديدة وان دفع للمدافعة عن حقوقه الحامي ابراهيم مشافنة وكان يدفع اكلاف الدعاوي من جيبه فضلاً عن اتعابه والوقت الذي تستغرقه

وتظاهر في هذه الاثناء الامير عباس بميله الى مناصرة الشيخ جنبلاط ولما درى به الامير ارسل مخائيل مشافنة يستطلع صحة الخبر فاكد له الامير عباس كذب الاشاعة ولكن الامير اصر على اعتقاده بصحتها وامره بجمع رجاله لمقابلة الشيخ ان



شاء إعادة ثقة الامير به فتردد الامير عباس وكان عذره عجزه عن الشيخ جنبلاط ورجاله  
العديدين ولكن الامير لم يثن عن عزمه فارسل فرقة من رجاله لمقاتلة الشيخ ففر هذا  
من امامها ولم يشاء مقاتلتها الى عكار . ونزل في هذه الاثناء على الامير مستجيراً مصطفى  
اغابربر من الدولة لانها طلبت اعدامه وارسل راسه لها . وفي اوائل سنة ١٨٢٦ وردت  
على الامير الاخبار عن اجتماع الامراء عباس وفارس وسلمان وحسن من آل شهاب مع  
مشايخ الدروز ال عماد وجنبلاط بنوون اشهار الحرب وكان اجتماع عقدهم في المختارة  
مركز الشيخ رئيس العصاة واجتمع لديهم من الرجال اثنا عشر الف مقاتل  
فارسل الامير واعلم عبد الله باشا صديقه الحميم فامر للحال في اعداد فرقة تبق  
تحت اشارة الامير يقدمها له بقيادة ولده امين

اما عبد الله باشا فاعد فرقة وارسلها الى جسر الاولى تأتمر بامر الامير  
ولم يسرع الشيخ بشير من عكار الى العصاة حذرا من ال عماد ان تغدر به  
ولكن الامير ارسل ينهي العصاة عن الثورة ويحرضهم على العدول عنها الى السلام  
والالفة فلم يفلح غير ان بضعة من مشايخ الدروز مثل حموده وناصيف ابني نكد ومشايخ  
ال ثلحوق انتهبوا له وحضروا الى بيت الدين وانضموا مع رجاله وانضم مصطفى اغابربر  
مع رجاله وعددهم اربعمون مقاتل وال حمادي من الدروز ورجالهم  
ولكن العصاة ظلت تتكاثر من يوم الى اخر وانقلوا من المختارة الى قرية السمقانية  
على بعد ميل واحد عن مركز الامير

ولما علم الامير باصرارهم على الثورة ارسل بشير القاسم واحضر جنود عبد الله باشا  
وكتب الشيخ ناصيف يستحضر خمسمائة مقاتل من دير القمر وان يبق بقية الجنود على  
حذر من ناحية الغرب من رجال مومي ارسلان جد الامير مصطفى ارسلان قائمقام  
الشوف الان

ولم تنتظر العصاة وصول الشيخ جنبلاط زعيمها فشرعت بالعداء وكانت الفاتحة سوء  
النزال فردم الامير خليل بقيادة شزيمة قليلة من رجال الامير ثم تقهقر الى ال وراء لما  
تكاثر عليه العدد وعند ذلك امر الامير الشيخ ناصيف بالهجوم وهجم بقيادة الفرقة  
المؤلفة من رجال دير القمر واشتد القتال فتراجعت العصاة عن القرية الى الخلوة تصوبين  
وتحوضوا بجدرانها ثم وصلت نجدة للامير من عبد الله باشا فدفعها الى ساحة القتال فابلت  
لاء حسناً واخيراً ازاحوا العصاة الى المختارة بعد ان خلفوا قتلاهم وراءهم



وانفق وصول الشيخ جنبلاط الى المختارة واجتمع بهم واخذ بعد مععدات الدفاع  
وفي ثاني الايام حضر الى الامير بضعة من مشايخ الدروز ورجالهم والتمسوا لاقسامهم العفو  
فعفي عنهم وكان له بهم قوة عظيمة حتى انضم اليه من ال عماد وخدم ما يربو على  
عشرة الاف مقاتل

وانضم اليه الامير حيدر برجاله وقد تعين هذا فيما بعد قائمقاماً على نصارى لبنان .  
وجاءه بضعة الاف من المان والشوف والعرقوب والامير محمد الشهابي من قبل اخيه الامير  
سعد الدين حاكم حاصبيا وكانت غلافة ما انضم اليه فرقة ارسلها عبد الله باشا مؤلفة  
من ثلاثة آلاف مقاتل

### الفصل التاسع والثمانون

#### في استفحال الامر

مضت ايام لم يحدث بخلافها تعدد او نزاع كان المعصاة كانت تجمع شتاتها وتعد  
معداتنا لوقعة رامت ان تجعلها الفاصلة ولما تيسر لها من العدد والعدد ماظنته وافيا  
لقهر الامير ارسات فرقة بالف مقاتل الى قرية بعقلين ليدهموا بيت حمادي وقد سطوا  
على القرية تحت جنح الظلام والناس نيام واوقعوا بالاوالي على حين فجأة فعلا الصياح  
وتراكض اهل دير القمر لتجدة بعقلين بقيادة الامير خليل وكان المعصاة قد علقوا النار  
ببعض البيوت وجدوا في اعمال قساوتهم بالاوالي ما استطاعوا لذلك سبيلاً ولكن لما  
وصل اهالي دير القمر بالوسائل وانضموا الى رجال الحماية والمدافعة تغلبوا على طرد  
المعصاة ودحرم

وفي صباح الفد خرجت رجال الدروز من المختارة بقيادة المشايخ الى سهل بقماتا  
وظهر السمقانية فملاوا تلك البقاع على كثرة عددهم وشغلوا من الارض خمسة اميال  
لضم جوانبهم ولم يكن الامير من الذين يرهبون القتال او يبالون بكثرة العدد فقابلهم  
برجاله ولم يشأ ان يعاملهم بالقوة التي بيده حيث اشاروا عليه باستعمال المدافع  
تاكيداً لنصره على خصمه فاجب وصرح ان في ذلك يذهب بانفس عديدة سوف يحاسب  
عليها امام الله وضميره ودارت رحى الحرب واشتد سعيها من الفجر الى الغروب بدون

ان بكل النصر فريقاً على الآخر وفي ثاني الايام صمم الامير على تبيد العصاة وتفرق قوام ولو كلفه الامر اهراق دماء بضع مئات من رجاله واصلاهم نارا حامية لا تقل عن قتابل المدافع فعلاً وتأثيراً وما زال يناضلهم ويحمل عليهم حملاته ورجاله تقتك بهم فتكاً ذريعاً الى اواخر النهار حيث هزمهم شر هزيمة وفرق جموعهم واستولى على قرية الجديدة وعبر نهر الباروك

### الفصل التسعون

في تفصيل الواقعة ونتيجتها

في اوائل الواقعة ارسل الامير جنود عبد الله باشا على طريق الكحلونية الى الجديدة وتقدم جنود الجبل الى سهل بقعانا على ظهر الجديدة اما الشيخ بشير جنبلاط رئيس العصاة فكان معسكراً بالقرب من المختارة تجاه الجديدة في منخفض وبينه وبين الامير فاصل نهر الباروك

وفي ذلك النهار خرجت رجال دير القمر باجمعها حتى الحدث منها لم يقبل على نفسه الانزواء في الخدور عن القتال وكان شانهم مع العصاة رشقهم بالمقاليح ورميهم بالحجارة وكان يدرهم خليل عطية المهندس حتى ان اليهود شاركوا القوم وقاسمهم النصر ومن هؤلاء الشجعان موسى شعبان واخوه ابو حسن وشمويل باروخ وهذا كان قائداً على مائتي مقاتل ومن الذين ابلاوا في العصاة بلالة عجيبة مصطفى اغايرير ورجاله فنالوا شكر الامير لم والثناء على بسالتهم. والشيخ بشير ارسل فرقة من رجاله لمقاومة الحملة التي ارسلها الامير على طريق الكحلونية واشتبك بينهما القتال والمناضلة

وامر المشاة من رجاله ان تقابل مشاة الامير ولما كانت العصاة في منخفض امرهم الشيخ ان يتسلقوا الروابي حيث يلتقوا برجال الامير وما شرعوا بالصعود حتى امطرهم حدثان دير القمر بالحجارة من المقاليح او تدحرجا وكان ذلك النهار يوماً شديداً على العصاة كما تقدم وانهمزوا من امام الامير ورجاله. ولما شاهد الامير وهو يطاردهم النسوة الدروز لاحقة برجالها وهن بحالة محزنة توتر في الجوامد وعلم باخلاق جنود عبد الله باشا خشية عليهم منهم ولم يكن خوفه من رجال الجبل لانه اختبرهم وعرف شهائمهم حتى في اعراض اعدائهم فقد كانت لديهم ثمينة وعزيزة فامر الجنود بالكف عن اللحاق



بالمهزمين وهكذا حفظ حرمة العرض وحفظ له الاثر الحميد  
وكان الامير يرسل الى عبد الله باشا رؤوس القتلى وهي عادة تقشعر منها الابدان  
لذلك لا ندوغل في تفصيلها على اننا نقول ان عدد القتلى بلغ المائة او ما يزيد عنها والله  
احصى لما في القلوب وهو اعلم  
وفي ليلة الواقعة بعد انهزام العصاة قدم جماعة منهم الى الامير والتمسوا عفوه عنهم  
وكان الامير حليماً فعفى عنهم وامنهم على حياتهم  
اما الشيخ بشير وباقي المشايخ والامراء فرحلوا عن لبنان في ذلك المساء وتفرقوا  
ايدي سبا

وبعد ذلك صرف الامير رجاله وارجع الجنود الى عكا وارسل فحجز على املاك  
آل جنبلاط واستغل حاصلاتها لان عبد الله باشا فرض عليها ثلثمائة وخمسين الف  
غرش كل سنة غرامة لبضع سنين وخمسين الف غرش سنوياً تقدم الى والدته وحرمة  
ثم امر الوزير بهدم جامع المختارة الذي بناه الشيخ من جيبه لانه كان يرتاب  
باسلامه ويعدده مذبذباً زنديقاً لادين له

وهدم قصره الذي اتفق عليه اكثر من مليوني ريال عمودي  
وهكذا اضعف اللبنانيون بعضهم بعضاً وضحوا ماله وارواحهم على مذابح الانانية  
ومهدوا للاجانب استعبادهم واذلالهم بينا اليونان بالمورة وجوارها تقاتل الدولة على حفظ  
وطنيتها واستقلالها عنها . . . وما منع اللبناني عن الاقتداء بها غير جهله وتعصب زعامته  
وحبذا الافادة من تكرار كلمة لو والتعني والتعسر ولو افادت لكر رناها مراراً وابدينا  
عبارات التودد والتعني في اكثر مواقع كتابنا واستمعنا القاري في احتلالها وربما  
كان اشد غير منا فاضاف الى ما اوردها

## الفصل الحادي والتسعون

في مجازاة زعماء العصاة

وكان من العصاة انهم اختاروا الشام ملجأ لهم فنزلوا في جوارها وكان واليها مصطفى  
باشا يراقب حوادثهم ويترصدهم زعيمهم . ولما بلغه حلولهم ضمن حكومته ارسل فالتقى

القبض عليهم واحضروا الى مركز ولايته بعد ان تردد الشيخ بشير في التسليم ولكن الشيخ علي العماد اقنعه بالالتقياد لامر مصطفى باشا وكان من جملة من القي عليهم القبض اولاد الشيخ بشير قاسم وحليم ومن آل عماد الشيخ علي وامين وسوام وبمقدمتهم الشيخ بشير . ولما مثاوا امام مصطفى باشا امر في حال وقوع نظره على الشيخ علي العماد باعدامه لحزازات بصدرة قديمة فقطعته رجاله ارباً ارباً وادع الباقيين السجن مثقلين بالقيود الى ان علم بهم عبد الله باشا فاستحضرهم اليه وامر بسجنهم وبعد ان مضى عليهم اشهر يقاسون مرارة السجن امر بشنق الشيخ بشير جن بلاط والشيخ امين العماد وبعد ان شنقوها طرحوها امام باب عكا عبرة وعظة  
واولاد الشيخ قاسم وسليم بقيا مسجونين الى ان وفد الطاعون الى المدينة فماتا مطعونين

وعلم الامير بمقر الامراء سليمان وفارس وعباس وحسن فقبض عليهم ووكل بمذابهم راهباً مارونياً فقطع السننهم اولاً وسمل بصرهم ثانياً . انما الشيخ علي العماد فر من سجن الامير ولكنه قضى عليه من اثر جراحه البالغة التي احدثها به رجال الامير وخصوصاً حضرة الراهب صاحب النقوى ولم ينج من زعماء الثورة غير الامير عباس — تلك كانت عاقبة من تمرد على مولاه جوراً والله صاحب القسط وله الحكم  
وظل الامير بعدم كل من وقع بيده وكان له اصبع في الثورة فاعدم الامراء حسن وحسين بدية واضطهد مشايخ آل شمس وآل قيس فتكبد اولئك عناء المدافعة عن براءتهم وهؤلاء لاذوا بالفرار لثبوت الجرم عليهم

## الفصل الثاني التسعون

### في ثورة نابلس

وفي اواسط سنة ١٨٢٩ اعلنت الثورة في نابلس التابعة لولاية الشام وعجز واليها عن اخضاع الثوار فرجع عنهم مخذولاً  
ولما علمت الدولة بعجز والي الشام عن اطفاء حجرة الثوار في ولايته عهد الى عبد الله باشا بخضد شوكتهم فوجه عبد الله باشا فرقة من جنوده ومعها المدافع والمعدات الحربية المرهفة لمقاتلة الثائرين وعند ما التقى الجنود المنظمة بهم دارت رحى الحرب واشتد



القتال بضع ساعات كان النصر فيها للجنود فارغموا العصاة على تحصين القلعة فانسحبوا من ساحة الوغى وتحصنوا في قلعة صفة المشورة التي كاد الجزار يعجز عن امتلاكها وظال الحصار بدون جدوى حتى اظهر العصاة قوة ومناعة فائقين وقتلوا من الجند عدداً كبيراً وتمكنوا من الاستيلاء على اعظم الدخائر وفتكوا بخزائنها مما استدعى انتباه عبد الله باشا الى التحذر وبدأ يفكر في ان العصاة ليسو بمن يستخف بهم فارسل الى الامير بشير يستنجد به على كبح شكيمة الثوار فقام الامير بالف وخمسمائة مقاتل وقام معه الشيخ ناصيف ابو نكد بالف واجتمع من الامراء والمشايخ لمعاودة الامير ما ينيف على خمسة الاف مقاتل بين فارس وراجل ولما وصل الامير الى قلعة صفة انضم الى عسكر عبد الله باشا وعهد اليه بقيادة الجيش فكتب الامير الى رؤساء العصاة ونهاهم عن مداومة الكفاح وحذرهم وخامة العاقبة وضرب لهم موعداً للتسليم

وكان سبب هذه الثورة الضريبة التي فرضها والي الشام وامر بجمع مبلغها الفادح من الثائرين ولما عجز عن جمعها احيلت الى عبد الله باشا فتعهد للدولة بدفع الف كيس وامر بجمعها من اهل نابلس ولما بلغتهم اوامر عبد الله باشا في توريد المال اجتمعوا على الرفض وشقوا عصا الطاعة ولبث الامير ينتظر جواب رسالته الى ان فات وقت المجاوبة غير ان عدداً قليلاً منهم سلموا الى الامير وقالوا العفو اما جمهور الثوار فظلوا على عزمهم وتالب منهم عدد كبير حول معسكر الامير بضواحي قرية عجة ولم يشأ الامير قتالهم ظناً منه انهم ينصحبون بنصيحتته ويعودون الى المسالمة

وحدث ان بضعة من رجال الامير قصدوا الاستقاء فخرج اليهم عصاة عجة وفتكوا بهم وكان من جملة هؤلاء النساء اربعة من دير القمر من رجال الشيخ نكد ولما علم الشيخ بما حدث لرجال استشاط غيظاً وامر بقية رجاله بالهجوم على العصاة وسحقهم ولم يقو على اتباع اوامر الامير واخذهم بالتقي هي احسن فتقدم برجاله وصاح بهم دونكم واهل عجة الذين استخفوا بجرمتكم وبطشوا باخوانكم على غفلة وتمكن الشيخ من الدخول برجاله الى عجة وتفرق جموع العصاة غير ان العصاة كانوا اضعاف رجال الشيخ فتكاثروا ولما شعثهم واستأنفوا القتال وكادوا ينتصرون ويخرجون رجال الشيخ من القرية لولم يقبل الامير برجاله وبغز جانب الشيخ ويدحر العصاة الى الورا . وعند وصول الامير حمل برجاله والفرقة التي ارسلها عبد الله باشا على العصاة وبددوهم فولوا الادبار مخلفين عدداً



كبيراً من قتلاهم واستباح عسكر الوزير النهب والسلب ولا علم الا مير بذلك نهام عنه  
وكان من قتلى الامير ابن حمادي فارسل لوالده التمزية ورفاه الى المشيخة وبعد رجوع  
الامير عن عجة امر بضرب قلعة صغد بالمدافع والقنابل حتى استولى عليها وعفى عن وجده  
حيّاً من العصاة وجمع التي منهم وارسله الى عبد الله مع اعلام انتصاره  
ثم عاد الى مركزه وصرف رجاله الامناء بعد ان اثنى عليهم ثناء جميلاً

### الفصل الثالث والتسعون

#### في ثورة الدمشقيين

في اوائل سنة ١٨٣١ وضع سليم باشا ( خليفة مصطفى باشا ) خريصة جديدة  
على اهل دمشق المسلمين وكان مبلغها جسيماً نحو الفكي كيس عن العقار فرفضوا طلب  
الوزير وشهروا عصانهم عليه . واذا كانت الضربة عمومية وقراري العام على شدة وطأتها  
ولزوم ازالتها تعسر على الحاكم ارغام الشعب على قبولها فثار الدمشقيون على الوزير لما  
شعروا بالمشقة على السواء وارغموه على الالتجاء الى القلعة وقطعوا عنه الزاد اياماً سلم  
نفسه في اواخرها اليهم فسجنوه بغرفة واقاموا عليه الخفر وبعد ايام اوجسوا فيه رغبة  
لثلاثين يوماً على زعمائهم سرّاً فجمعوا عليه يريدون اعدامه فدافع الوزير عن نفسه ولكن  
ماذا تفيد المدافعة وهو اعزل وحيد لانصير له ولا حامية فاضرموا النار بجوانب الغرفة  
وقد فضلوا قتله حرقاً وظلوا يراقبون النار تا كل فريستها الى النهاية

وابشوا بعد ذلك ينتظرون انتقام الدولة منهم لعلمهم بعملهم الفظيع  
علم الدمشقيون ان عمالهم جائرو فظيع قبل ان يقد مواعيله وبعد ان فرغوا منه ولكنهم  
أثروا قتل الجور والاستبداد على الذل والسكينة ولم يرهبوا قوة الحاكم تجاه قوتهم والا انسان  
العاقل عالي الهمة متى ادرك قوته واحس باثقال الضغط والذل نهض بكليته لتخلص  
من جبالها فلا القيود تمنعه عن ابراز حقوقه ولا السلاسل تقدر على تقييده والضغط  
على افكاره



## الفصل الرابع والتسعون

في نصلف عبد الله باشا

وفي اواخر سنة ١٨٣١ قدم جمهور كبير من فلاحى مصر الى سور يا هر با من التجنيد والخدمة العسكرية واقاموا في غزة وضواحيها التابعة لولاية صيدا فاكرم عبد الله باشا وفادتهم وسهل لهم المعيشة فكتب اليه محمد علي باشا وطلب منه ان يرغم المهاجرين على العودة الى مصر

فلم يحفل عبد الله باشا بطلبه وجاوبه مستخفاً به فغضب محمد علي وكتب اليه رسالة يهدده اذ لم يجب طلبه وبالوقت ذاته بعث الامير واعلمه بقصة عبد الله باشا وكيف انه أنكر فضله عليه

فبعث الامير رسالة الى عبد الله باشا يرشده بها الى ملاطفة محمد علي واكد له سطوته وقوته

ولم يكن من عبد الله الا الاستخفاف والمظاهرة ببناعة عكا وكيف انها ردت قواد العالم خائبة واستشهد باسماء الذين حاصروها ورجعوا عنها بالفشل والخيبة فذكر درويش باشا ومصطفى وبرهام واستطرد وقال : اذا كان نابليون الاول اعظم قواد العالم عجز عن امتلاكها فهل يتدر محمد علي باشا عليها ؟ هل هو اقوى من نابليون ؟ وغفل عبد الله باشا ان نابليون ما رجع عن عكا بالفشل انما دعت له اسباب الى تركها فضلاً عن ان قوة الانكاز البحرية كانت العاملة على صد هجماته وحجرت عنه المدافع وجانباً عظيماً من الذخيرة ولما وصل جواب عبد الله باشا الى محمد علي باشا ازداد غضبه وامر بالتأهب واعداد الجنود لمحاربة عبد الله باشا واخضاع ولايته خصوصاً وسوريا عمومها . وكان محمد علي ينوي اكتساح الدولة التركية وانشاء دولة عربية فجاءت معاملة عبد الله باشا له معجولة لتحقيق غرضه

## الفصل الخامس والتسعون

في قيام ابراهيم باشا

وبعد ايام فلانل خرجت الجنود المصرية من مصر بقيادة ابراهيم باشا بن محمد علي

باشا حتى وصلت غزة وظلت سائرة كان لم يحدث لها معترض فاستولت عليها واستطردت  
السير ولما علمت الدولة بقدوم الجنود المصرية الى سور ياطيرت اوامرها الى ماموريتها وامرتهم  
بالتعاقد على طرد العدو من بلادهم واشهرت الحرب على محمد علي في سوريا  
وهب عبد الله باشا بعد معدات الدفاع ويحث رجاله على الثبات والمدافعة عن  
شرفهم . اما الامير فاظهر ميله الى ابراهيم باشا ونصح الشيخ حسين الهادي حاكم نابلس  
ان يرجع بابراهيم باشا ويظهر له الاكرام وبعث الامير سعد الدين رسالة الى الامير  
سأله رأيه فاشار عليه بالبقاء مواليا لوالي الشام الى ان ينفذ الامر بعكا  
وقد انتشر خبر وصول الاسطول المصري و قدوم ابراهيم باشا بعساكره الى عكا  
بوقت واحد



ابراهيم باشا



## الفصل السادس والتسعون

### في ضرب عكا ببحر

وعند ما وصل ابراهيم باشا لصحراء عكا بعث الى الامير بشير فاستقدمه اليه مع رجاله ومن ناصره وتداول معه في كيفية الحصار ولما وصل الاسطول المصري المؤلف من اثنين وعشرين سفينة حربية انقسم الى ثلاثة اقسام وشرع بهطل على القلعة قنابله وكانت القلعة تقذف عليه نارا آكلة ودامت الحال سحابة ذلك النهار وعند الغروب اقلع الاسطول من مياه عكا ولم يترك له اثر في قلعة المدينة غير ان قنابل القلعة احدثت به تعظيلاً عظيماً لذلك كف عن الحرب ورجع الى حيفا مخذولاً

## الفصل السابع والتسعون

### في حصار ابراهيم باشا عكا

ولم يكن انسحاب الاسطول من مياه عكا ليضعف همة المصريين او يززع اعتقادهم في الغلبة على اسوار عكا المنيعه ففي ثاني الايام بدأوا بحفر الخنادق واقاموا المتاريس نصبوا عليها المدافع وبطارية الحصار لقذف القنابل الحامية واكملوا معداتهم كلها تجت جنح الظلام وقابة لانفسهم من نيران المدينة وعند الصباح اصلوا القلعة نارا آكلة ولم تكن نار الحامية بأقل وطأة وواصلوا القتال ليلاً ونهاراً وكانت التجددات تبصر الى ابراهيم باشا من مصر بالتتابع وكان مع ابراهيم باشا قواد من اهل الدراية والخبرة وبينهم مهرة بالفنون الحربية الحديثة فضلاً عن المهندسين الذين يعلمون كيف تؤكل الكنتف وكانت حامية المدينة ثلاثة آلاف مقاتل قد حنكتهم الايام ودربتهم على الشجاعة والثبات

وكانوا يخرجون الى خارج السور ليحموا الجنود المصرية على الهجوم عليهم والاقترب من المدافع فلم يفلحوا لان قواد الجند المصري ادركوا هذه اللعبة

وكان عدد الجيش المحاصر ثمانية عشر الف مقاتل واربعة آلاف فارس منهم اربعون مدفعا وعدة بطاريات

وحدثت في احد الاسباء حجة في الجيش المصري سببها ثمانية رجال من اهل نابلس اخترقوا صفوفه وقد اشهروا سيوفهم على الخفر ومن اعترضهم ولم يشأ احد من الجند ان يرميهم خوفا من ان يوقع العطب بسواهم لذلك تمكنوا من الدخول الى المدينة وعلا صراخهم

### الفصل الثامن والتسعون

في قيام ابراهيم باشا الى طرابلس

ولما نزل الامير عكا وانضم الى ابراهيم باشا برجاله على حصارها لم ير ابراهيم باشا من الحكمة اخلاء مكانه بدون حامية تعززه مدة غياب الامير عنه فارسل يعقوب بك بفرقة من الجند الى دير القمر وامره بالمحافظة على الامن وراحة الاهالي ورأت الدولة بعد حصار عكا بمدة قليلة ان ترسل واليا على طرابلس فارسلت عثمان باشا اللبيب حاكما على تلك المقاطعة

ولما علم ابراهيم باشا بقدمه قصده وطرده من المدينة وعين مكانه حاكما من قبله يصعد بامرته ومن طرابلس قام الى حمص ومن حمص الى معلقة زحلة ومنها رجع منتصرا الى عكا واجتمع بمسكركه

ولما استقر بالدولة المصرية المقام في سوريا ونشرت اعلامها على ربوعها ارتحل مشايخ نكد عن لبنان وانضموا الى الدولة

ولم يمض على حصار عكا زمان حتى ارسل محمد علي تقويضا الى حنا البحري في سن النظامات لحكومة سوريا علي النمط الحديث وكان حنا البحري على جانب عظيم من اصاله الرأي وله القدح الممل في السياسة المدنية

فرتب مجالس الملكية والمدنية والعسكرية واقام لها مجالس شورى وغيرها من النظامات الحديثة ثم رتب المالية ووضع نظاما لجباية الخراج ومعاملة الرعية امام القانون على السواء وكان يعامل الرفيع والوضع معاملة لا تفاوت فيها ويعطي لكل ذي حقه حقه



وكان العدل والانصاف شأنه والنزاهة زمامه لا فرق عنده بين القوي المثير والضعيف الفقير او المسلم والذمي وكان يعاملهم بالقسط والعدل حسب وصية محمد علي باشا الذي كان عارفاً ان لا قيام للدولة الا بالعدل والانصاف وهذا النظام وان يكن عادلاً وشريفاً فقد كان باعثاً قوياً على كره الامراء والمشايخ للمصريين حيث كف يدهم واوقف مطامعهم عند حد لا يمكنهم اجتيازه وامات استبدادهم بالشعب وجعلهم امام الشريعة سواء لا امتياز ولا فرق بينهم وبين افراد الرعية فحنقوا على الدولة المصرية وودوا ازلتها وارجاع الحكومة التركية والانسان ابن مألوفه اذا الف عادة قبيحة كانت او حسنة وأرغم على تركها كذره ذلك ولو كان فيه فائدة له محسوسة . قابل نظام هذه الحكومة بالنظام الذي كان دستوراً للعمل قبل فتوحها المذكور باول هذا الكتاب تعلم لماذا كان الحق على المصر بين شديداً

### الفصل التاسع والتسعون

في انتصار ابراهيم باشا على عكا

ولما علمت الدولة بما أحدثه ابراهيم باشا في طرابلس من التبديل ارسلت فرقة كبيرة الى والي حلب انجه بيرقدار باشا وامرته ان يتقدم بها الى انقاذ عكا من الحصار فقام برجاله الى حمص ومنها الى نل بني مندو تحت قرية القصير بالقرب من حمص على شاطئ العاصي ولبث هناك ينتظر وصول الفرقة من الاستانة ولما علم به ابراهيم باشا ارسل فرقة كاملة كنت له في معلة زحلة ولكن بيرقدار باشا رغب البقاء في مكانه ولم يخط خطوة الى الامام كأنه كان ينتظر قدوم مدينة عكا اليه ليدافع عنها

وفي اول جمادى الثانية ردم ابراهيم باشا خندق المدينة وهجم بجنده على اسوارها ولافته الحامية وصدته في باديء الامر وكرر هجماته وحرص رجاله . وفي اواخر من ذلك شهر خطب فيهم خطباً حماسية ذكرهم بفنوحاتهم وانتصاراتهم العديدة ومقامهم بين جنود العالم واستخف بخصمهم الحاضر وقال لهم « ان رجوعكم عن حامية عكا الضعيفة يجلب



عليكم العار ويحط باسمكم الرفيع الى الخفيض وحاشا للجند المصري ان يومهم بهذه الوصمة بعد ان رافقه النصر في كل حروبه واثبت للعالم انه من اشجع الجنود واقدروهم على الثبات في ساحة النزاع فكيف يرجع عن عكا مخذولاً ويرضى بالاهانة والذل فهو لا يرضى وان يرضى ان شاء الله . . . دونكم ايها البواسل هذا السور المتداعي « وامرهم بالمهجوم واحتدم القتال وفتحت جهنم ابوابها وكان اول من تسلق السور على ظهر جواده سليمان بك او نزيير اميرالاي الطوبجية وعلقه ابراهيم اغا الرثماني من دير القمر مدرب فرسان لبنان ولكنه اصيب برصاصة جندلته . وكانت ثالثهم ابراهيم باشا وعند ذلك تكاثرت الجنود على السور الاول الخارج جي حيث لافته الحامية على السور الداخلي واشتبك القتال ساعات اسفرت في زوالها عن نصر ابراهيم باشا فدخل عكا ولم يبق من الحامية غير ثلاثمائة وخمسين مدافعاً . وقبض على عبدالله باشا وارسله الى مصر وكان عدد القتلى يفوق الحصر وزادت الوفيات بين الجنود بسببها

ولما وصل عبد الله باشا الى مصر اكرمه محمد علي واحسن وفادته وسعى في ان يقضي بقية ايامه في الحجاز فذهب اليها ومات هناك

### الفصل المائة

في قيام ابراهيم باشا الى الشام

تم لابراهيم باشا الاستيلاء على عكا وقد حفظ له التاريخ ذكراً لا يزول على نوالي الايام وبعد ان رافت له الاحوال امر بترميم ما تهدم من القلعة واصلاح ما احدهه الحصار على المدينة من التخريب واعاد اليها كل ما نقصها من المدافع واقام لها البواسل المشهود لهم بالقوة والشجاعة ولما اتم اصلاحاته جمع رجاله وقام بهم الى دمشق ولم يترك الامير بشيراً وراءه فطلب منه ان يقوم معه فاستحضر الامير عدداً من رجاله واعلم امراء حاصبا وراشيا الشهابيين بشيخوصه مع ابراهيم باشا الى الشام وطلب منهم ان يرافقوه اليها وكانت الدولة عينت علو باشا والياً على الشام خلفاً لوالدها الاول الذي ذهب ضحية الجهل والقساوة فلما بلغه قدوم ابراهيم باشا اليه جمع عشرة آلاف مقاتل وخرج بمقدمتهم الى خارج المدينة ولبث ينتظر وصول ابراهيم باشا وعسكره ولما اشرف عليهم ابراهيم باشا استكشف عددهم وقوتهم بالنظارة التي كان يسكنها



بها في مثل تلك الظروف فاطلع على مركز الاكراد منهم ومركز رجال دمشق وامر فرسان العرب الهناريين بمقاتلة الاكراد وبقيّة الجند حوله لمقاتلة رجال الشام وأوصاه ان لا يصيبهم بل يستعمل الطلّاق للارهاب . وعند اقتراب الجيشين دارت رحى الحرب وقد استغرب الدمشقيون مرة الطلّاق وكان جديداً على سمعهم فوقع بقلوبهم الخوف وولوا الادبار

اما الاكراد فقاتلوا قتال الشجعان ولكنهم لم بقدرروا على الثبات طويلاً حتى انهزموا واقتني اثرهم الفرسان وقتلوا منهم فتكاً ذريعاً ولما رأى علو باشا ما حل بعسكره طلب النجاة لنفسه فالتجأ الى الفرار ودخل ابراهيم باشا المدينة ولم يسمح لعسكره بنبهها والتعدي على راحة اهاليها

وقبض على ازمة الاحكام مدة حتى رافت الاحوال وصفت الاكدار وعين واليا عليها احمد بك ربيب كورد يوسف باشا المتقدم ذكره في حينه وسال المعلم بطرس كرامة ان يؤلف مجلس شوري واصلاح ما يجده مخلاً في النظام القديم ونهض بعد ذلك في شهر صفر الى القطيفة وارسل الامير ومعه الامراء الى قرية عزار ومنها الى قرية الدرعية وانتقل ابراهيم باشا للنبك وهنا توسط الامير بالغفو عن اعيان دمشق الهاربين في ابان المعركة وبعدها فعفى ابراهيم باشا عنهم وعادوا الى مساكنهم — ومن هناك قام الى حيشية فطريق القصير قتل بني مندو ولم يقابل عسكر الدولة فيها لانه رجع الى حمص عند ما بلغه فتح عكا وكان العسكر المصري مؤلفاً من المشاة احد عشر الفا ومن الفرسان الفين ومن الفرسان الهناري ثلاثة آلاف وثلاثة واربعين مدفعا وبطارية وكان معه عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا وابن اخت محمد علي احمد باشا فضلاً عن الامير بشير ورجالة الاشداء

## الفصل الحادي والمائة

في شخوص ابراهيم باشا الى حمص

في وصول ابراهيم باشا ونزوله تجاه بني مندو وصلت اليه نجدة عن طريق معلقة زحلة وطرابلس الشام ونجدة من الجند المصري مؤلفة من ستة آلاف مقاتل واصبح عسكره يناهز العشرين الفا والمتعارف ان جند الانراك بحمص لا يزيد على سبعين

الف مقاتل فاجتمع ابراهيم باشا بقواده وتداول معهم في كيفية الهجوم  
فارسل فرقة من الفرسان الهنادي في منتصف الليل لتتقدم الجيش وتستطاع مواقع  
العدو وقوته ما امكنها لذلك سبيلاً  
وقسم المشاة الى ثلاثة اقسام جعل المسافة بين القسم والقسم ميلين وفي مقدمة  
القسم قائده لتقدمه ثلاثة صفوف من رجاله  
وجعل الامير بشيراً ورجاله بالقلب والخفر على الذخيرة في مؤخر الجيش واقام على  
الميمنة عباس باشا وعلى الميسرة احمد باشا  
وعلى هذا الترتيب زحفت الرجال على ألحان الموسيقى وكان المنظر جميلاً شائقاً في  
تلك السهول الفسيحة . وعند منتصف النهار وصل الجيش الى قرية قطينة التي تبعد عن  
حمص ثلاثة اميال وبسط الجند جناحه لجهة نهر العاصي الشمالي الغربي وصعد ابراهيم  
باشا الى تل قطينة  
وامر الامير ان يقوم برجاله الى الميرة فاحتل المكان ونزل به مع رجاله للراحة في  
ذلك النهار

ورجعت الفرسان التي تقدمت الجيش ومعها الامري ورؤوس القنلى وبلغ ابراهيم  
باشا ان العدو معسكر بالقرب من تل بابا عمر ومعهم مدافع عديدة اقامها على قمة التل  
ولما علم ابراهيم باشا على الوجه الاقرب قوة خصمه ومركزه اعد للانزال معهاته

### الفصل الثاني والمائة

#### دخول ابراهيم باشا مدينة حمص

اصطف الجيش المصري صفاً واحداً وعلى طرفيه الفرسان والمدافع وعلى ألحان  
الموسيقى هجم على عسكر الانراك المنظم الذي قيل انه مؤلف من سبعين الفا وحمي  
سعيد الحرب وابلت فرسان الهنادي بلاء حسناً فكانت نصول وتبول يمينة ويسرة  
وتجندل وتفتك بالانراك فتكاً ذريعاً والجند المصري لا تفترله همة عن التقدم  
وارغام العدو على التقهقر وكما تراجع عن مركزه تقدمت الفرسان وبقية الجند وتبعته  
واعملت بقفاء وهجم الانراك على ميمنة الجيش المصري فصدده عباس باشا بالقنابل  
فاصلاهم ناراً حامية واضطروهم الى الرجوع والانسحاب . وظلت الحرب قائمة على اشدها



والجند المصري يطارد العسكر التركي الى ان دحره وفرق قوته فولى الادبار وخلف وراءه قتلاه الكثيرين وامرى لا يقاوم عن القتلى عدداً مع ان الانراك اظهروا العجائب في ثباتهم وشدة هجماتهم ولكن النصر اذا قدر لفريق ناله ولو بعد حين ولما نقرر النصر لابراهيم باشا تقدم الى مدينة حمص وقبض على ازمة حكومتها وامن اهلها

### الفصل الثالث والمائة

في تعيين الامير بشير حاكماً على حمص

في صباح الاحد دخل ابراهيم باشا حمص ونولى حكومتها ولم يمكث فيها غير ذلك النهار لانه لم يقبض بعد علي بيرقدار باشا وعزم على مطاردته والحق بين كان معه من الوزراء وتمكنوا من الفرار قبل ان تصل يده اليهم وعين الامير بشيراً والياً على حمص وفوض اليه الحكومة وسأله الانصاف باعماله ومضى مجدداً وراء خالته ولما تبرع الامير في كرسي الولاية تفحص الامرى فوجد بينهم ثمانماية ارميني فاطلق سراهم وارسلهم الى مطران الروم وبقية الامرى من العسكر التركي ارسلهم الى عكا بعدة الشيخ حسن تاجوق

اما مجارح الجيش فعهد بهم الى عناية الاطباء وامر مدعي العموم ان يوازي القتلى التراب بالاقرب الممكن لان المسوء الاصفر الذي كان ضارباً اطنابه في تلك البلدة زادت وفياته كثيراً وعهد لمخائيل مشاقه ضبط متروكات الوزراء وكانوا قد هجروا خيامهم بفرشها واثاثها حتى ان كاتب الاسرار ترك دوائه وادوات الكتابة والورق مبعثرة على الارض مما يدل على انهم غادروها على غرة ووجد كثيراً من الثياب الثمينة وشمسة فاخرة واغرب ما عثر عليه كمية كبيرة من البن الحجازي تكفي مدينة غاصة بالسكان شهراً ولا مشاحة ان مدينة حمص جيدة التربة متسعة الاراضي معتدلة الهواء تكثر فيها قرى كثيرة لكن اهلها واهلها وعديم اكثر اثار حكامها جعلها متداعية الى الخراب ويد الاصلاح فلما تزورها حيث كانت عرب البادية تزدد عليها وتسلب مايقع بايديها .



و يبلغ عدد سكان مدينة حمص عشرين الف نفس ربعهم نصارى اكثرهم روم  
ارثوذكس و قليل منهم كاثوليك والبقية اسلام و يغلب عليهم السذاجة وقصر نظرهم في  
غور الامور وما يدعم قولنا ما نقصه عليك بما يلي :

دخل بعضهم على الامير وساله ان ينظر في حالة بضعة اشخاص لم يزالوا بين كراديس  
القتلى فذهب مخائيل مشافه اليهم مع احد المأمورين الى محلة بالقرب من تل بابا عمر فوجد  
ثمانية رجال اربعة منهم جثث هامة والاربعة الباقون مشخون بالجراح فقصوا عليه سبب  
جراحهم وموت رفاقهم وانهم نظروا الى قنبلة وقعت بالقرب منهم فتقدموا اليها فرأوا  
فتيلتها لم تزل عالقة وكان منهم ان لمسوها بيدهم وصاروا يلقونها من جانب الى آخر حتى  
دنا وقت انفجارها فانفجرت وجندلت اقربيهم اليها وعطبت ابدنهم عنها وجرحته جروحا  
بالغة تنذر بالخطر

### الفصل الرابع والمائة

#### في وصول ابراهيم باشا الى حلب

استطرد ابراهيم باشا سيره وظل يتنعم اخبار المنهزمين و بطاردهم من مكان الى اخر  
وقبل ان يشرف على حلب التقى بجسن باشا في طريقه اليه ومعه جيش عظيم مؤلف  
من اربعين الف مقاتل ولكنه لم يقف عثرة كبيرة امامه لانه بعد معركة هائلة انهزم  
من وجه ابراهيم باشا فواصل ابراهيم مسيره حتى دخل مدينة حلب بدون معارض  
وبعد ان رتب احكامها وعين حاكما عليها واقام واليا على ايلة اورفة تقدم الى الامام  
فاستولى على اطنة بدون محاربة كأن انتصاراته الملاحقة اوقعت الرعب في قلوب الاتراك  
وقام من اطنة الى قونية ففر واليها من وجهه فدخلها وبسط حكمه على ربوعها ولما كثرت  
فتوحاته قلت رجاله لانه كان يخلف منهم عددا في كل ولاية دخلها فضلا عن ان  
الهواء الاصفر والحروب فتكت بقسم منهم وفي اواخر سنة ١٨٣٢ بقي معه من الجنداثا  
عشر الف ومع ذلك ظلت نفسه تحذته بالنوغل الى الامام ومطامعه تحسن له الاستيلاء  
على القسطنطينية كأن الانسان متى خدمه الزمان وذل له الصعاب يتوسع بمطاليبه ولم  
يعد يهتدي الى السكينة ولا يطيب له البقاء على ما حصل ما عليه من المجد والاهبة فيطلب  
الزيادة ويحدد طلبه كلما بلغ وطره وذلك طبع خلق فيه ويموت عليه والله الهادي



## الفصل الخامس والمائة

في استيلاء ابراهيم باشا على كوتها

لا نسترسل في تفصيل ما حدث لابراهيم باشا في طريقه الى كوتها من المشاق بل ناتي بالاماع الموجز لما اعترضه من العوائق وكيف ذل القوات المضادة له قام من قونية بعسكره واستطرد في المسير الى كوتها ولم يبعد عن قونية مسافة بعيدة حتى التقى بالصدر الاعظم وعساكره الجارية وقيل ان عساكره مائة وخمسون الف محارب فاشتبك القتال بين الجيشين على ما بينهما من التفاوت بالكثرة وحمي وطيس الحرب سمحابة ذلك النهار بدون ان ينتصر فريق على الاخر. وفي ثاني الايام عادت الفرسان الى الكفاح واستبسلت رجال ابراهيم باشا اي استبسال حتى تغلبت بعددها القليل على عساكر الالراك وارغمتها على الانسحاب من ساحة الحرب فانهمزم معظم الجيش ووقع الصدر الاعظم اسيراً بين يدي ابراهيم باشا وتفرقت بقية رجاله وكان الصدر الاعظم شجاعاً محمكاً ولم تجده شجاعته تقم ولا ردت عنه مقدوراً امام اعظم قائد في الناشئة الاسلامية بعد خالد بن الوليد وكان مع الصدر الاعظم فون ملنك القائد الشهير فولى الادبار مع المنهزمين وايقن ان في الشرق رجالاً مثل نابليون الاول واعظم وابراهيم باشا نابليون العرب الاول في القرن التاسع عشر

ويقال ان ابراهيم باشا دخله الريب في قوته الدليلة عند ما استطلع القوة التي تعضد الصدر الاعظم واكد لأول مرة في حياته فشله ولما لحظ ارتباك سليمان باشا الفرنسي الذي شاهد حروبا كثيرة ورافقت نابليون باكثر فتوحاته تقدم منه ونزع من قلبه الخوف الذي كاد يستحوذ عليه واكد له الانتصار وذلك ما تم له وعاد ابراهيم باشا الى كوتها بعد ان ارسل اسيره الصدر الاعظم الى مصر وفي وصوله الى كوتها دخلها بدون معارضة لان خبر انتصاره يجيشه القليل على الصدر الاعظم اوقع في قلوب سكان المدينة وما يجاورها من المدن والقرى رعباً عظيماً فمكث ابراهيم باشا في كوتها اياماً معدودة للراحة له ولرجالها وقام عنها بعد ان خلف فيها حاكماً ويمم الى الاستانة

## الفصل السادس والمائة

في رجوع ابراهيم باشا الى سوريا

وبلغ ابراهيم باشا وهو على مقربة من دار الخلافة الاسلامية نداء الدول الأوروبية وخصوصاً فرنسا وانكلترا يشرن عليه بالوقوف وتقدم التقدم الى الامام ريثما يصله امر والده من مصر واوقفته على المغامرة الجارية بين والده والدولة العثمانية على تسوية الخلاف الجاصل بينهما

فلبث ابراهيم باشا مكانه ينتظر ورود الاخبار فلما وردت اليه اشاع وقوع الصلح وحدوث الاتفاق بين الدولتين وابقت الدولة بيده فتوحاته في بلاد الانراك وسوريا وولاية اطنه فعاد ابراهيم باشا عن الاستانة الى سوريا رافلاً بحال النصر وساد السلام على ربوع البلاد

## الفصل السابع والمائة

في تعيين شريف باشا حاكماً على سوريا

انتخبت الدولة المصرية لمنصة الاحكام في سوريا شريف باشا وهو نسيب محمد علي باشا وقد انصف بالاستقامة وحب الفضيلة فقدم الى دمشق وقبض على ازمة الاحكام وشرع في ادارتها بالعدل والانصاف وانشاء دواوين ومجالس افتداء بالدول الأوروبية وجرى على منوالها في كل ايام حكمته وكان عادلاً مع صرامة وشدة حتى انه كان يعاقب المذنب باكثر ما يستحقه وكثيرون ماتوا تحت الضرب المبرح

وكانت اعمال المجالس ونقارير اصحاب الدعاوي تدون بكل دقة وضبط ليس كما هو جار في سوريا الآن ولم يكن شريف باشا مطلق التصرف بالحكومة او مميّزاً عن اعضاء مجلسه بل كان كواحد منهم وعين يوحنا بك البحري رئيساً ورقياً اول لاعمال المجلس وكان الذي يوافق عليه البحري يعمل به والذي يعترض عليه يرجعه الى المجلس ينظر فيه ثانية



وحكومة مثل هذه فيها خدمة امناء منزهون أظهرت العدالة واعطت مال فيصر  
لقيصر وعرفنا حنا البحري من الفصول المتقدمة وثقة عزيز مصر به وكيف انه اطلق  
له حرية القول والتجوير في بنود الحكومة

وقضت الدولة المصرية مدة لادخال الاصلاح الذي رسمته امامها الى سوريا  
للتفاوت الكائن بين ما تريد احداثه وما كانت عليه البلاد سابقاً ولا يخفى ان الدولة  
الفاتحة تعاني صعوبات حمة يبسط اعلامها وادخال عاداتها الى بلاد غريبة عنها ولا  
اعترض على ذلك

وقد اضطرت الدولة المصرية ان تحدث ضرائب جديدة متباعدة بتباين قوى  
الافراد المالية وجعلت اقلها خمسة عشر غرشاً واعظمها خمسمائة غرش على الفرد من  
الرعية وكان الريال الممود يساوي خمسة عشر غرشاً وأحدثت هذه الضريبة الفردية  
تشویشاً وقلقاً في جو سوريا وفضاها الواسع كما ترى في الفصل الآتي

### الفصل الثامن والمائة

في ثورة الاهالي على اثر الضريبة

ابشيم وجه الضعيف للدولة المصرية لانه شعر برفع حمل ثقیل كان يشن اندياً محزوناً  
تحت ولا يجير له منه واصبح صوت المستغيث المتقطع يبلغ اذان الحاكم ولو على مراحل  
عديدة بعد ان كاد يذهب بالفضاء ويتلاشى عنصره ولا اثر له وعاد نداء المظالم  
والمظلوم وكل من لحقه من حيف او ضغط يجاب عليه ويعمل به وكارت قبلاً  
منبوذاً محنقراً

واصبح القوي الذي جمع قواه بتفريق قوى الفقير مذلولاً وبجرد أمن قوته والمستبد  
ارغم على التنازل عن عرشه وتساهل بمنزلة من كان يعتبره احط منه كل ذلك  
تغلبت الدولة المصرية على نشره وتأييده مع ما فيه من المشاق والمتاعب وقد قاومت  
العناصر المضادة اشد المقاومة واعطت لكل فرد ما يستحقه ومع ذلك فلما وضعت الضريبة  
الفردية قام الشعب عليها وقعد

ولا ريب ان الطلب كان صعباً جداً على المسلمين والنصارى على السواء خصوصاً  
سكان القرى الفقراء الذين يؤدون للدولة الجزية عن اعناقهم والخراج والفقى عن



عقاراتهم واملاكهم فتدمر المسلمون وحسبوا الدولة المصرية تكلفتهم دفع الجزية كالذميين ولم ينفقوا ان الدولة المصرية دولة فاتحة خارجة من حرب شهرتها عليها الدولة العثمانية وكلفتها اموالاً طائلة فاصبحت باحتياج كلي الى المال ورد ما فقد منها وابوا ان يدفعوا ثمن العدالة والحريه والتقدم التي اخذت الدولة المصرية في ادخاله ونشر اعلامه بينهم قيمة زهيدة لانفوق طاقة الفرد منهم وقد فضلوا الرجوع للمحجية والذل لرواؤهم والاستعباد لهم على بذل درهميات لاستقلالهم والتخلص من مضطهدتهم وآثروا فرض الدولة العربية التي هب محمد علي باشا لانشائها واحياء تمدن العرب القديم واعادة الدولة والخلافة الى آل قريش عن مساعدتها وشد ازرها وهم اولى بعصدها فعمدوا للحمو امره وخلع الطاعة والثورة عليها ورد ساطة الاتراك عليهم

ومن الذين لا طاقة لهم بدفع الفردية من الذميين سكان حاصبيا لانهم كانوا في فقر مدقع ولما ورد امر شريف باشا للامير سعد الدين امير حاصبيا بجمع الفردية من رعيته وقع في حيرة وتردد في كيفية الجاوبة عليه . كان يعلم ان طاعة اولياء الامور فرض مقدس واقدس منه احترام صالح رعيته . فامر يخيائيل مشافقة بالذهاب الى الشام واطلاع شريف باشا على حالة الشعب المالية وكيف انه يخيشى اذا اجبرهم على دفع الفردية ان ينزعوا الى شق عصا الطاعة عليه بالرغم عن ولائهم وتفانيهم في خدمته

ولما حصل يخيائيل مشافقة مقابلة شريف باشا برسالة الامير تنازل عن طلبه الاول الى معدل ينوب الفرد ثلاثون غرشاً

ومثل ذلك كان للمعلم بطرس كرامه معتمد الامير بشير فتمكن لدى مقابلاته شريف باشا من اسقاط الطلب عن ولاية الامير الى اربعة آلاف كيس واستثنى من رجال لبنان خدمة الدين على اختلاف النحل ثم الامراء والمشايخ وجعل عدد الافراد اربعين الفا فقط

اما الدمشقيون فلم يحسنوا الدفاع امام شريف باشا فوقع عليهم من الضريبة اعظمها حتى بلغ معدل الفردية مائة غرش وترتب عليهم غرامة سنوية قدرها اربعة آلاف كيس

وكان اكثرهم من العمال الفقراء لا يستطيعون دفع مثل هذه الرسوم الفاحشة فوقعوا في ضنك شديد وعمدوا الى المهاجرة فراراً من اثقال الديون على اعناقهم وفرض عليهم شريف باشا دفع جانب من نفقات الحرب كما كانوا يدفعون نفقات جنود



الأتراك إمام عبد الله باشا ودرويش باشا ومصطفى باشا وغيرهم ممن تقدمهم من أهل المطامع

ولو عقلوا واتحدوا عند ما صنعت لهم الفرص لتحرير وطنهم كما فعل أهل مصر والمورة لكانوا تخلصوا من كل هذه الضرائب التي وقعت عليهم الواحدة بعد الأخرى في مدة قرن كامل . ولكن إذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون وعلى المتبصر الروية وأعمال الفكرة

### الفصل التاسع والمائة

في ثورة نابولس

قدم إبراهيم باشا بنفسه إلى إخضاع ثوار نابولس وقد علم بشدة بأسهم وقوتهم وكان حسابه يجعله حيث لاقى منهم الأهوال واختبرهم بمواقع القتال ورأى فيهم أشد رجال سوريا عزماً وإقداماً فقاتلوه وضابطوه . ولما علم محمد علي باشا بما حل بولده نهض لنجدة ولكنه لم يبلغ ساحة القتال لأنه تغلب عليهم بالخداع وارغمهم على الإخلاء والسكينة وقد أسر زعماءهم وفي رجوعه أمر بأعدامهم جزاء لما كانوا عليه من الخبث والدهاء

### الفصل العاشر والمائة

في نزع سلطة الأمراء ومشايخ

في طلائع سنة ١٨٣٤ بدأ شريف باشا بتفحص بنفسه مقدرة أمراء ومشايخ الجبل وسوريا وسالوكهم في وظائفهم فشرع بتنسيق حكومة الأقاليم وتحرير الشعب من سلطة الاستبداد وتعويد الخضوع للدولة رأساً وتدريبه في الاعتماد على نفسه والمطالبة بحقوقه أمام الشريعة والعدالة

ولما شاهد الفساد ضارباً إطنابه في انجاء البلاد رأى من الحكمة وسداد الرأي ضبط أموال الخراج والتي ورفع يد مأموريها من مشايخ وأمراء عن مداومة هذه الوظيفة فمنع هذه الفئة المستبدة من معاطاة وظيفتها وقيد أفرادها بالشريعة لحقة فاخرج من يدهم سلطتهم الاستبدادية القديمة التي كانوا يتمتعون بها في عصر انول

والانحطاط والاسترقاق ثم جعل لهم راتباً محدوداً من قبل الدولة يتقاضونه رأساً ورفع  
يدهم عن مدها الى اموال الشعب

وقد عزل بعضهم لسوء تصرفهم ولجهلهم الامور المدنية الحديثة وعين خلفاً لهم ممن  
توفرت فيهم الشروط اللائقة لاشغال مركز بالحكومة ولا فرق عنده بين الرعية  
ولما كان الراتب الذي عينه للمشايج والامراء المعزولين لا يوازي عشر ما كانوا  
يذالونه من الفلاح المسكين اضطروا ان يقتصروا على المعيشة البسيطة بعد ان كانوا  
يسرفون ويتظاهرون بالابهة والعظمة

وكان عمل شريف باشا هذا مع كل رؤساء العشائر في سوريا الا الامير بشيراً  
فانه لم يقو على التفرش به لان الامير استحصل على استقلاله في حكمته من عزيز مصر  
وظل يتصرف بلبنان كما كان قبلاً

على ان هذا الامتياز الذي تفرد به الامير كان مجلباً لحق شريف باشا عليه فبات  
شريف يتربى الفرص ليزيله عنه . وكانت با كورة اعماله نحو هذا المقصد في امراء  
الحرفوش حيث ثل سلطتهم وفرض دولتهم من بلاد بعلبك واقام مكانهم حاكماً من  
اهل الدربة وعين لهم راتباً يتقاضونه من الدولة ثم عزل امراء شهاب عن حكومة حاصبا  
وراشيا وعين لهم معاشاً فازداد غيظ الامير منه

وحدث لامراء الحرفوش حكام بعلبك انهم ثاروا على شريف باشا لما لحقهم من  
الاهانة بواسطته واحدثوا فلاق في البلاد وكان زعيمهم الامير جواد . ولم يكن شريف  
باشا بالمتغفل فبث الارصاد وارسل الجنود في اثره ولكن الامير جواد جعل دأبه التنقل  
من مكان الى آخر ولم تظفر به الجنود واخيراً نزل على الامير بشير ومعه بضعة من رجاله  
وسأله ان يتوسط له لدى شريف باشا بالعتو عنه

ولما علم شريف باشا بوجوده عند الامير بشير ارسل يطلبه . وما زاد الطير  
بله ان الامير سلم من التجأ به الى رجال الشريف بعد ان سأله العفو عنهم وكان من  
شريف باشا احتقار سؤال الامير فقتل الامير جواداً ورجاله حال وصولهم اليه

فعظم الامر بعين الامير واعتبر ذلك اهانة عظيمة له . وبعد ان نفذ شريف  
باشا حكمه في الامير جواد واتباعه ارسل الى الامير بشير يعلمه ان لا شفيع عنده امام  
مصالح الدولة والشرعية تفذي على كل من يعيث بها بعقاب صارم وليس امام الشرعية  
امير ولا صعلوك فهي تعامل الجميع بالسواء لا سيما وان معه تفويضاً من ابراهيم باشا في



اجراء العدالة بلا محاباة و ابراهيم باشا نفسه عاقب زعماء ثورة نابلس بالقتل بعد ان  
تشفعت بهم اليه فلا ارى لك سبيلاً للملامة على منفذ الشريعة فكظم الامير غيظه ولم  
يجر جواباً

## الفصل الحادي عشر والمائة

### في ثورة النصيرية

ما فتئت الدولة المصرية تحدث في سوريا تغييراً وتعمل على طرح عادات العشائر  
القديمة وتزيد الضرائب على الشعب شأن كل دولة في طور نشوئها حتى تفرت القلوب  
وودع معظم الشعب لجهله اعادة الدولة التركية مكانها فانتشرت هذه الروح وبلغ طنينها  
مسامع الدولة العثمانية فسرّها كثيراً ورأت ان تغتنم الفرصة وكان اعظم الشعب نفوراً  
النصيرية وكان الباعث على تقوية هذه الروح في صدورهم ما يضر به عليهم المشايخ في كل  
مجمع وناد ويكفي للشعب المسكين الذي اعتاد الطاعة لزعمائه سبباً لا يغار صدره على  
الدولة المصرية التي كانت باذلة جهدها في ترفيته وتعزيز مقامه مع تضعيف سلطة المشايخ  
عليه ولو استعملت في سياستها المداهنة وابقت المشايخ وكل زعيم في مركزه الى ان  
امتلكت قلوب الشعب وامنت جانبته ونالت ثقته كما تجري عليه سياسة انكلترا وكل امة  
مرتقية فلما تستوثق من الشعب وثناً كد حبه لها نقلاب ظهر الخن على الزعيم المستبد وتنبذه  
فلواتخذت هذه السياسة لكائن العاقبة اسلم ولكنها طالما استولت على البلاد اخذت  
بقطع الرأس وابقت الجسد تحت المعالجة . وبما ان الشعب فطر على الطاعة العمياء لزعيمة  
فكان من اصعب الامور عليه ان يستقل بنفسه

وكانت الدولة التركية خبيرة باحوال الشعب اكثر من الدولة المصرية فبعثت  
تدس الدسائس الى المشايخ وتغريهم بالمواعيد الفاحشة وكان هؤلاء يحضرون الشعب  
على شق عصا الطاعة طمعاً بارجاع نفوذهم

واول من شهر عصيانه وامتنع عن دفع الرسوم الى الحكومة النصيرية ناخضرت  
الهيئة الحاكمة الى الاكثار من الجند في البلاد ونخذ شوكة العصاة وارسل شريف  
باشا عصابة من لبنان لاختضاع الثائر بن الذين اعتصموا بجبال اللاذقية وفازوا بالغلبة  
على رجال الحكومة

ولما علم شريف باشا بما حل برجاله جمع فرقة من الجيش المنظم وارسالها الى الثوار  
واكرهم على الطاعة والسكينة

### الفصل الثاني عشر والمائة

#### في ارغام الاهالي على الخدمة العسكرية

شعرت الدولة الحاكمة بخرج مركزها واكدت ان دولة بني عثمان لم تزل تطمع  
بالاستيلاء على سوريا فضلاً عن اثاره الشعب عليها فرأت نفوذها انما تحفظه القدرة المدافعة  
فست نظاماً على الاهالي في الخدمة العسكرية ولم تحدد مدة الخدمة وبدأت تجند من الشعب  
من تجده صالحاً للجندي ولم ترع حرمة الكبير ولا الصغير فسافت المثري قبل الفقير  
ورفضت ان تأخذ بدلاً عن الخدمة فازداد حنق الاهالي عليها لانهم ظنوا الخدمة  
تدوم ما داموا احياء فهاجروا التماساً للتخلص من هذا العبء الثقيل الا اهل لبنان  
لاستقلال اميرهم بحكومته ولم يكن يجبرهم على التجنيد بل كان التجنيد عندهم اختيارياً  
لمن يشاء فكان عدد من تجند منهم قليلاً بالنسبة الى سكان المدن كالشام وسواها اذ  
كانت الحكومة تدفعهم على حين غرة وتسوقهم الى الخدمة ولعمري الحق كيف كانت  
تنتظر تلك الحكومة ان تلاقى من الشعب المضطر الى خدمتها والمرغوم على طاعتها الاستبسال  
في تقوية مصالحها وتعزيز جانبيها ؟ لا نعلم

### الفصل الثالث عشر والمائة

#### في ثورة الدروز الكبرى

في سنة ١٨٣٦ انتشرت روح الثورة في جهات حوران واول من شق عصا الطاعة  
فيها الطائفة الدرزية وكانوا على جانب عظيم من القوة والبأس فاجتمع على توحيد  
كلهم كل درزي علم بشورتهم والاسباب التي دعتهم الى ذلك لم تكن تختلف عن  
الاسباب التي ذكرناها لسواهم من سكان البلاد فاستخف شريف باشا بهم لقلة عددهم  
المتراوح بين الف وخمسمائة الى الالفين وكان ابراهيم باشا متغيباً في شمال سوريا  
يراقب حركات الانراك فارسل لقتالهم فرقة مؤلفة من اربعمائة وخمسين محارباً من



فرسان الهوارة وعند وصولهم الى محلة الدروز لبثوا ينتظرون مباشرة الثوار لقتالهم ولكن الدروز ظلموا في الكمين الى ان اسدل الظلام جناحه وقد نام الفرسان فخرجوا اليهم وباغتوهم واعملوا بهم السيف فقتلواهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا القليل واستولوا على خيولهم ومعداتهم وعند وصول الخبير لشريف باشا جند لقتالهم فرقة ثانية من الجند المنظم عددها ستة آلاف مقاتل وارسل معها المدافع وبقية معدات الحرب وكان الدروز بعد ان فتكوا بفرسان الهوارة قد لجأوا الى عرب السلط وفي وصول الحملة وبعد قتال عنيف تغلبوا عليها وفرقوا شملها فاستولى العرب على العسكر المصري وأحجم عن مقاتلتهم ولا سيما في اللجاء لانها عسرة المسلك واسعة الانحاء طولها عشرون ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً كثيرة الصخور مخبئة المنافذ يصعب على الغريب التوغل فيها

ولما انتشر انتصارهم على الحملة الثانية انفاطروا الى الاخذ بيدهم الى النهاية بية الدروز المنتشرة في اقطار البلاد ثم استأنف شريف باشا محاربتهم وارسل الجند الى اخضاعهم مرات عديدة وكانوا في كل مرة ينتصرون على الجيش ويبددون جمعه واكثر الجند كان يفر مرعوباً منهم لسوء تصرف قواده وعساة مواقع القتال

فهب دروز حاصبيا وراشيا ولبنان لشد ازر اخوانهم باللجاء ومنهم الشيخ شلي العريان الذي دخل في خدمة الدولة ونال لقب باشا وقبل مسير العريان لنجدة دروز حوران هجم الشيخ شلي برجاله على حاكم راشيا المصري وقتله ثم تقدم الى حاصبيا ومعه اولاد الامير بديةة لياخذ بثار والدهم الامير سعد الدين الشهابي . وكان عند الامير سعد الدين الامير محمود حفيد الامير بشير ومعه بعض اتباعه ولما بلغ الامير سعد قدوم الشيخ شلي لياخذ بثار الامير بديةة لاولاده جمع اليه الامراء وكل من عهد به الثقة وتقدم بهم ومعه اخوه الامير محمد الي مركز الحكومة وارسل الى الامير بشير يعلمه الخبر

ولما وفد العريان اشتبك القتال وحاولوا دخول السراي وكان الامير معزاً برجاله فصدم عنها وارغمهم على الرجوع بعد ان قتل منهم عدداً كبيراً ولم يقتل من رجال الامير غير اخيه محمد قاتل الامير حسين بديةة وفي ثاني الايام بلغ العريان قدوم الامير خايل لنجدة ولده الامير محمود فارتبوا



الى الفرار واعتصموا باللجاء ولما وصل الامير خليل الى حاصبيا وجد انه وصل متأخراً  
فعاد بولده الى لبنان

## الفصل الرابع عشر والمائة

في قيام شريف باشا ونجدة ابراهيم باشا له

ظل شريف باشا يجند لمحاربة الدروز الجنود ويرسلها وترجع اليه بالفشل والخيبة  
حتى عظم الامر لديه وبلغ فوق ما كان يتصوره ولما رأى ان الثوار على تضاعف قوتهم  
وازدى عددهم وان تعدياتهم امتدت وكثرت في البلاد عزم ان يقوم بنفسه الى خضد  
شوكتهم فجرد عليهم عسكرياً كبيراً وتقدهه الى اللجاء

وكان من الدروز انهم اظهروا الانسحاب من ساحة القتال وتقهقروا الى الورا من  
امام عسكري شريف باشا حتى اذا فازوا بجيشتهم عليه وفادوه الى المكان الذي عينوه احببوا  
عليه وبطشوا به وذبجوا منه رجالاً ذبح العاج فجدد الرعب في قلوب الجنود من بطش  
الدروز وراجعوا عن قتالهم وكانت نجاة شريف باشا من ايديهم اعجوبة من العجائب الروحانية  
وتد بلغ خبر فشل شريف باشا مسامع ابراهيم باشا فقدم الى الشام ومنها قام بعسكره  
الى اللجاء فضربهم من جهة معسكر شريف باشا فلم يزل منهم مارباً لان الرعب استحوذ  
على قلوب الجيش فعمد على ضربهم من جهة سرخد بفرسان الاكراد ودارت رحى الحرب  
بينهم وتهارب الدروز من وجه ابراهيم باشا ورجاله الى ان قادهم الى سهل رامة وهناك  
رجعوا عليهم وعمالوا السيف بهم وفتكوا بمعظمهم وذهب تحريض ابراهيم باشا رجاله  
هباء منشوراً لانه كان ينادي ولا من يجيب ولما ادرك حالة رجاله وعلم انهم باتوا ينفقون  
سعاوة الدروز عمد الى تسميم الماء الذي كانوا يستقون منه فارسل الى الدكتور كاوت بك  
يستحضر منه محلولاً قاتلاً وكان هذا ناظر الصحة في سور يا فرفض اجابة طلب ابراهيم  
باشا وحاول ان يمنعه من استعمال تلك الواسطة لما فيها من الفسادة التي تشمل الحريم  
والاطفال معاً

اما ابراهيم باشا فكان يرى مصلحة الدولة اولاً والرعية ثانياً ولما عجز عن اخضاع  
العصاة الزم علماء الكيمياء بصنع محلول سلباني الفاه بالمياه واعلم الدروز بذلك  
ولما لم يكن للدروز ماء يستقون منه غير المستقعات التي حوالت اللجاء اكرهوا على ترك



المكان بعد ان مات منهم عدد كبير عطشا وانوا الى جبال حاصبيا و اقليم راشيا وحاصروا  
حاكمها الامير افندي واضطروه للتسليم والرجوع الى دمشق وبعد خروجه برجاله من راشيا  
لحقهم بعضهم في الطريق على مقربة من قرية ظهر الاحمر وفتكوا بهم بدون معارضة  
تذكر لان الامير ورجاله كانوا بدون سلاح

ولما علم ابراهيم باشا بما حل بالامير افندي ورجاله ارسل يستقدم الامير بشيرا الى  
ملاقاته برجاله الى حاصبيا . وللحال جهز الامير فرقة من ثلاثة الاف مقاتل بقيادة  
ولده الامير خليل وقامت الى المحل المضروب تنتظر وصول الوزير

وجعل ابراهيم باشا طريقه على الديماس حيث التقى بالشيخ ناصر الدين بيكة  
ومعه عصابة الف محارب لنجدة الثوار فامر ابراهيم باشا رجاله بمقاتلة عصابة الشيخ  
وتحقق جموعهم فدارت الحرب مدة قتل في خلالها الشيخ وعدد عظيم من رجاله وانجا  
بعضهم الى نلة محاطة بالصخور العالية والاشجار الباسقة ولكن رجال ابراهيم باشا افنت  
آثارهم وحصرتهم ضمن نقطة صغيرة وظلت تضايقهم وتقتل من عددهم ازواجا و افرادا حتى  
فنتك بهم جميعا ولم ينج منهم غير رجل على رواية ابراهيم واربعين على رواية  
الدكتور مشاقفة

ولما بلغ الدروز قدوم ابراهيم باشا وما حل بالشيخ ناصر قاموا من راشيا الى جنم  
في حاصبيا بالقرب من قرية شعبة التي لا يسكنها غير اسلام ونصاري وارض جنم محاطة  
بجبل الشيخ شرقا وجبل الوسطاني غربا وهذا الجبل عسر الصعود وهو بفصل حاصبيا  
وبعض قراباها عن ارض جنم

## الفصل الخامس عشر والمائة

### في اخضاع الدروز

وبعد ان اضاف ابراهيم باشا انتصارا على انتصاراته العديدة تقدم برجاله الى راشيا  
فوجد العصاة رحلوا عنها الى ارض جنم حيث تكاثروا عددهم والتف حولهم دروز سوريا  
والجبل فضلا عن شبلي العربان ورجاله واولاد الامراء بديعة الشهابي فارسل ابراهيم  
باشا اعلم الامير خليلا بقدومه وامره بملاقاته الى جنم وكان من الامير خليل لدى

وصول الامر اليه انه قام برجاله الى المحل الذي عينه له ابراهيم باشا وصعد برجاله جبلاً على لفته قرية شويبا حيث الدروز مجتمعون ومن كون الطريق كثيرة التتوات ضيقة الجوانب اقتضى لرجالهم العبور فيها الى القرية افراداً لا ازواجاً فساعد ذلك الدروز على الفتك بهم وشاء الامير بعمله هذا ان يظهر مأثرة له ولرجالهم امام ابراهيم باشا فامر بالصعود وتحقق جماهير الدروز قبل وصول الوزير ولكن الدروز لم يساعده على تحقيق امانه فردوا رجاله وصدوم عن الحاق الضرر بهم فرجع بالفشل الى حاصبيا وبات ينتظر وصول ابراهيم باشا ولم يمض الوقت الطويل حتى اقبل الباشا برجاله الى جنم فعاد الامير برجاله الى ملاقاته ليساعده على اخضاع الثوار ولكن قبل وصوله كان تم لابراهيم باشا النصر وتبدد جماهير الدروز الكثيفة

فارسل الدروز الشيخ حسين البيطار من قبلهم ليطالب لهم الامان والعفو من ابراهيم باشا وكان ابراهيم حليماً فوعده بالعفو اذا قدموا له سلاحهم ورجع الشيخ ومعه فرمان العفو والتأمين على حياتهم ورجع معه من رجال الوزير بعض المأمورين لجمع السلاح

وخلف ابراهيم باشا الامير خليلاً في مركزه لجمع السلاح وتوريده الى الشام وقام برجاله الى تلك المدينة ورجعت عساكر الجبل وامراؤها الى مراكزها

### الفصل السادس عشر والمائة

#### رجوع ابراهيم باشا الى الشام

رجع ابراهيم باشا الى الشام بعد ان أخضع لسلطته العصاة واجبرهم على احترام نظام الحكومة وتفرقت بقية الرجال ورجع الامير والشيخ الى مركزها وفي رجوع امراء شهاب الى مراكزهم سئلت لم انفسهم ان يفتكوا بأولاد الامير حسين بدية فاتفقوا خطواتهم ووقعوا بهم ولما انتشر خبر قتلهم وبلغ مسامع ابراهيم باشا حنق على مقتوف ذلك الجرم وهو اخوة الامير سعد الدين وعلى اثر ذلك صدر امره في توقيف الامير سعد الدين والقاء القبض على اخوته ثم تقدم بنفسه بفرقة الى اقليم البلان ليلقي القبض على شبلي العريان الذي حنث بوعده ولم يبرح حرمة التسم ولما اقترب من المكان فرّ العريان من



امامه الى جدر بعلبك فتبعه ابراهيم باشا برجاله الى هناك وعند ما شعر العريان ان لا مناص له ولا مهرب سلم نفسه اليه وطلب العفو عما صدر منه من الاساءة فقبل ابراهيم باشا عذره وارجمه معه الى الشام حيث اقامه قائداً على فرقة من الفرسان ثم ارسل ابراهيم آغا سويدان حاكماً على حاصبيا وهو من اصحاب العقول الراجحة والا راء السديدة وعلى جانب عظيم من العلم والتهذيب

اما الاميران خليل وبشير اخوا الامير سعد الدين فقد فرا من وجه الحكومة لانهما وقعا تحت جرم القتل وصارا يتنقلان من مكان الى آخر . وفي ذلك الوقت كانت الحكومة باثة الارصاد على حسين الطرابلسي من متاولة بلاد بشاره لما ذاع عنه من البطش وعدم الاكثرات بأوامر الحكومة فصدف انه التقى بالامير خليل وهو خارج من الحولة بعد ان ارتكب بها جرماً هائلاً . ولما ادرك ان الامير خليل يريد القبض عليه اطلق عليه بضع طلقات فاخطأه . وعند ذاك اطبق الامير عليه وبمساعدة خادمه تغلب عليه ونزع سلاحه واوثقه كشافاً وارسله مع خادمه الى ابراهيم آغا سويدان وعند وصوله الى حاصبيا استطرد سويدان آغا مسيره الى الشام فسر ابراهيم باشا من وقوعه بالامر واثني على الامير خليل الذي هو تحت مراقبة الحكومة اتى عملاً مجيداً وابدى خدمة ثمينة للحكومة . وعلى اثر ذلك صدر امره بالعفو عن الامير سعد الدين واخوته وارجاع ما كان لهم من الحقوق المرعية . ثم امر بشنق حسين الطرابلسي في حاصبيا على دولة امراء شهاب حکامها القداماء

## الفصل السابع عشر والمائة

### في الراهب الكبوشي

ان العداوة متأصلة منذ القدم بين النثة اليهودية والنثة الكبوشية وينسبون اسبابها الى مراجع حجة لا محل الى تعدادها في هذا المقام . وفي اوائل سنة ١٨٣٨ كان الراهب الكبوشي الطلياني الاصل متجولاً في شوارع المدينة يمرض مريض الجسم والنفس وفي وصوله الى حارة اليهود كان ذلك النهار هو آخر نهار من حياته ومما تاكد للحكومة بعد عناء البحث والتفتيش ان اليهود فتكوا به وبخادمه فقبضت على عدد كبير



منهم والقت عليهم عذاباً مبرحاً ليطلعوها على المجرم فنقاصه والبرى فنتطلق سراحه ولم  
تنجح لان اليهود مشهورون بالكتمان والمخالفة

واجتهد القنصل الفرنسي في البحث عن الجاني والبس القضية حلة دينية ولم يكن  
من اليهود غير الافراط بالدفاع عن المتهمين ولما زادت الشبهة عليهم واشتد كدر الاهالي  
منهم وبدأوا يضطهدونهم اضطهاداً جارحاً وعادة اليهود مشهورة في تقانيهم على  
مساعدة المذنب منهم وتبرير ساحتهم . وبعد العذاب الصارم اقر احد المتهمين بالجريمة  
بعد ان اعتنق مذهب الاسلام احترازاً من ثورة اليهود عليه وصرح للحكومة كيف  
قتلوا الراهب واخذوا دمه فطلب شريف باشا تحضير الدم فانكروا وجوده معهم انما  
قالوا بوجوده عند موسى الحلاق وهذا اصر على النكران الى ان وصل الى الشام احد  
يهود الانكليز واشترى حرية المتهمين من محمد علي باشا بستين الف كيس  
وشريف باشا لم يكتف بقرار المجرمين بل سار الى المكان وتكشف الصدق فيه  
عند ما شاهد آثار الراهب وذلك بعد اعتراف الحلاق بحدوث الجرم في بيت  
داود الهواري وكيف خادمه ارسل وراءه ليساعده على اخفاء الجثة وتهدد بالذكور  
يئنايل مشافة فخص الرفات وتحميقها اذا كانت تطابق على الاصل

## الفصل الثامن عشر والمائة

### في فصل حلب عن الشام

في اواخر سنة ١٨٣٨ ارسلت الدولة المصرية استمعييل بك حاكماً على حلب  
مستقلاً عن حكومة الشام وبذلك تصرح كاف بفصل حلب وما جاورها عن ولاية  
الشام والاسباب التي ترجحها في احداث هذا الانفصال هي قرينة لذهن الفاري اكثر  
مما نظن نغني التور . التي حدثت في البلاد والقلقل التي ذهبت براحة الاهالي والتعدي  
والحروب التي افنت معظم الرجال كانت كلها محصورة بادارة واحدة وهي الشام لذلك  
حصل للحاكم العام عثرات جمة في تنفيذ اوامره على جوانب البلاد بالرغم عن الابعاد الواقعة  
بينه وبين اطراف الاقاليم وحلب على كونها بعيدة عن الشام وسكانها مع سكان القرى المجاورة  
لها كثير و العدد يحتاجون الى حكومة تدبر شؤونهم وتوفر لهم اسباب الراحة والامن  
ارنأت الحكومة الرئيسية ان تفصلها عن ولاية الشام لتوفير السلام في قضائها



## الفصل التاسع عشر والمائة

في قدوم الجنود التركية الى سوريا

وفي ذات السنة ارسل السلطان محمود فرقة متوفرة العدد والعدد لمحاربة الحكومة المصرية في سوريا واخراج البلاد من سلطتها وكأنه ادرك عجزه عن اخراج المصريين منها بطريقة أخرى واذا رأى ان ابراهيم باشا دوح البلاد واطفأ الثورات التي اضرمها في صدور الاهالي واخضع الثوار وارغمهم على طاعة الحكومة وانه كل يوم يزداد قوة وحكومته ثبوتاً وتقدماً واعتباراً حتى اصبحت الدولة المصرية بالمرکز الاول بين دول الامم المرتقية

وخشي على دولته من مغالبها فرام التخلص منها واضعاف سلطتها لذلك ارسل فرقة عظيمة الشأن لتقضي على دولة محمد علي باشا في سوريا وليكن حال الاهالي بعد ذلك شر الحالات

وعند ما بلغ ابراهيم باشا قدوم الحملة الى سوريا جمع رجاله وامر الامير بشيرا ان يرسل فرقة صغيرة من رجاله الى الشام لتحافظ على الامن في اثناء غيابه عنها ولم يتهامل الامير في اجابة الطلب كما هو شأنه دائماً مع ابراهيم باشا فارسل الف وخمسمائة محافظ بقيادة ولده الامير خليل الذي نزل بالمرج خارجاً عن دمشق

اما ابراهيم باشا فنهض بجنوده الى حلب فالى حدود سوريا وعسكر برجاله على حدود بلاد الانراك وعزم ان يفاجي الحملة التي كانت قادمة اليه قبل ان تدخل بلاده وكان ملتقى الجيشين في ارض نرب من اعمال اسيا الصغرى ودارت رحى الحرب واشتد القتال وكاد النصر ينفق فوق الجنود التركية الا ان شجاعة ابراهيم باشا وحذقه في الفنون الحربية ومقدرته على القيادة وتعوده خوض معامع الحرب اعواماً طويلاً ابث الظروف الا ان تساعده وتكفل له النصر على خصمه المضاعف العدد لذلك اسفرت الواقعة عن فشل الجنود التركية وتفرقها ابدي سبا وغنم ابراهيم باشا الذخيرة ومعدات حربية لا سبيل لاحصائها وقبض على اوراق من جملتها فرمان من الدولة التركية الى علي اغا تيمينه فيه حا كما على الشام

ولما اطلع ابراهيم باشا عليه ظن سوءاً في علي اغا وافترق انه يتأمر على حكومته



فارسل الى اسمعيل بك والي حلب ان يقوم الى الشام و يبلغ شريف باشا ان يأتي  
القبض على علي اغا المشار اليه تحت تهمة الماكرة وفي حال وصول اسمعيل بك وابلاغه  
شريف باشا اوامر ابراهيم باشا قبض على المتهم علي اغا وكانت شريف باشا يحسد  
علي اغا على وجاهته ومقامه الرفيع عند ابراهيم باشا لذلك امر بمحاكمته بالمجلس العالي  
ليتمكن من اجراء غاياته فعقد بضع جلسات التي بها شريف باشا التهم المختلفة وعلي  
اغلا يبرر ساحته ويدفع سهام الباشا عن اذيتة والذي ساعد علي اغا في تبرير ساحته سمعته  
ونزاهته المشهورتان عند الخاص والعام . ولكن اذا كان الحاكم مدفوعا الى تنفيذ غاية يظن  
وراءها منفعة لحكومته اتقدها ولو كان في تنفيذها تذييب البري . وكانت شريف باشا  
فضلا عن حبه في تنفيذ غاية ابراهيم باشا بالمتهم حاقدا عليه كما المعنا لذلك فاراد ان  
يعمل في محاكمة علي اغا ويسد الطرقات عليه ما امكنه القانون . وفي ثاني الايام لم يفسح  
المجلس لعل علي اغا مجالا للدفاع عن نفسه بل حكم عليه بالاعدام واعدموه قبل ان يسمع  
مدافعته فقطعوا راسه وتركوا جثته مطروحة على الطريق كل ذلك النهار وكان الاسف  
عليه كثيرا لدى عموم سكان المدينة على اختلاف مذاهبهم ونحلهم لما كان له من المنزلة  
لنزاهته وشدة اخلاصه وصدافته للمصريين وخصوصا ابراهيم باشا ووالده محمد علي باشا  
ولم تكن الاهالي تقدر له هذه الآخرة وهذا الموت على بدقوم اشتهرت صداقته لهم وعمت  
اطراف البلاد . ولكن قل ان هكذا صاحب السلطة متى شعر بنمو احد المقربين يعمل  
على قتله ولو كان اعز الناس عنده خوفا منه على السلطة التي بيده وهذه الخلة موجودة بكل  
عقل بشري فالسلطان يبذل جهده ليحصر نفوذ وزيره ضمن دائرة صغيرة وكذلك الوزير  
يعامل من كان تحته منزلة واقرب منه مطعنا . وعلى هذا النحو يستبد القوي بالضعيف  
الى ان ينفرط عقد العصبية بينهم وتضعف حماة الدولة لما ينمو فيها من الشقاق والضغائن  
وتقبل الى الحرم ندر يحكم . ومحبة الذات سليقة بالانسان والحيوان على السواء . وفي هذه  
الاثناء بعد رجوع ابراهيم باشا من محاربة الانراك توفي السلطان محمود وخلفه ولده عبد  
المجيد على عرش الخلافة . ومن اعماله الاولى شان كل حاكم جديده جاهر بمعاملة الكبير  
والصغير الغني والفقير بالسوية وتعزيز جانب الحق وزهق الباطل الى اخر ما هنالك من  
المواعيد المطلوبة من كل حاكم ينتصب جديدا . وكان السلطان عبد المجيد ما غفل عن  
ان يعد في مداومة الخطة التي سار عليها والده وتركها له ليدوم سيره فيها الى ان يتم له  
الظفر وبعيد سلطته على سوريا كما كانت سابقا . ولذلك كنت ترى في رجوع ابراهيم



باشا الى الشام ان الدولة التركية ما فتئت تثير عليه الخواطر فلا ينجده ثورة حتى تقوم  
اخرى وهكذا قضى المصريون معظم ايام دولتهم في سوريا بالحروب والقتال

## الفصل العشرون والمائة

### في مآثر الحكومة المصرية

ان مآثر الدولة المصرية العربية كثيرة في سوريا ناتي على ذكر بعضها : منها الاصلاح  
التي ادخلته في المستنقعات التي كانت يجمع الاقذار وباعثاً فوياً على تفشي الامراض  
الوبائية في دمشق وكانت الاقذار تنراكم في خندق وراء السور على جهة الباب الشرقي  
وتفوح منها رائحة فتالة تحدث اضطراباً بسكان تلك الناحية عظيمة . ولدى الفحص  
والندفيق أصدرت الحكومة امراً بفتح خليج يصرف به الاقذار على نفقتها ولم تقبل  
مساعدة الاهالي لها لاعتقادها وهو الاكيد ان الحكومة مطالبة بخدمة الشعب ومراعاة  
راحته والشعب مطالب بانصافها وهكذا تمت العمل واراحت الاهالي من نسم الروائح  
الكريهة وخفت بذلك ذرائع الامراض . ومن مآثرها انها وضعت حداً لاسعار اللحوم  
فخطت من استبداد اصحاب المجذرة ثم عينت لجنة من قبلها وشرعت بذبح  
الاغنام وبيع لحمها باسعار متهاودة فارغمت بائعي اللحوم على الافتداء بها ومن خالف  
القانون كانت تغرمه جزاء لاخترافه حرمة النظام . ومن مآثرها العدل والقسط بالرعية  
والمساواة بين طبقات القوم الرفيع والوضيع على اختلاف العقيدة كانت تعاملهم امام  
العدالة على السواء وكانت لا تكلف صاحب الحق نفقة لتحصيل حقوقه ولا كانت  
الذنوب تباع وتشري ولا كان هناك مجلس بلدية تصرف حاصلاته على خصوصيات  
خدام الحكومة مثل شراء مفروشات لسكنى الوالي ومجالس الدعوي والادارة وبقية  
الدوائر البالغة خمسين محلاً وثمان الزبوت لانارة محلاتها ولا اكلاف وليمة بولها الوالي  
او الحاكم لزاير عظيم الشأن كما كانت تفعل على ايام دولة بني عثمان كل ذلك واكثر  
منه على مثاله احدثت دولة محمد علي باشا في البلاد ومع كل ذلك ظل الشعب  
يسومها العداوة وينافسها الحساب لانه اعتاد ان يكون محكوماً لا حاكماً نفسه . عبداً .  
لا حراً . . .



## الفصل الحادي والعشرون والمائة

### في مراجع الدولة الانكليزية

دخلت سنة ١٨٣٩ والامور في سوريا على ما روينا لك وبما ان دوام الحال من المحال شاء ربك تغييرا في البلاد فجاءها جاسوس من قبل الدولة السكسونية ونزل في كسروان وانتقل من المعاذير انه قدم ليتعلم لغة البلاد ونحن في مركز لا يخلو لنا نكذيب الخبر او تصديقه فنره به كما جاءنا وعلى القاري ان يحكم نفسه دخل الرجل الذي سميناه جاسوسا واسمه الحقيقي وود كان ترجمانا لفصل دوانه بالاستانة واصبح قنصلا في تونس بعدئذ

واظهر في بادى الامر ميلا غريبا الى تعلم اللغة العربية وتغلب على امياله لدرس احوال البلاد ونقد الحكومة الحاضرة ولكن تظاهره لم يسدل على عيون النقادة وشاحا اعماها عن معرفة غرضه الرئيسي ولا مشاحة ان دولة الانكليزا اكثر الدول استعمارا وكانها اوجست خيفة من الدولة المصرية التي مع حداثة نشأتها اصبحت في مصاف الدول المرفقة وكانها لحظت ان محمد علي باشا بطمع بعد ضم البلاد الى مباحته بالخلافة واحياء الدولة العربية القديمة وان ارجاع دولة اسلامية عربية هذا شأنها في تنظيم احوال الرعية قامت على اساس العدل وجارت به الدول المتقدمة ولم تغفل بطلمها ابراهيم باشا نابليون مصر بل ذكرته وذكرت كل حسنات دولة مصر الفتاة فخافت منها ان تكون مزاحمتها في الاستعمار وتقف بوجهها حاجزا منيعا لاضعاف الشرق الادنى فرامت مقاومتها قبل ان يقسوا ضلعها وادركت عجز الدولة التركية عن ايقاف غوها وارتقاها فزادت ميلا الى المداخلة ولذلك ارسلت رجلا الذي ذكرناه والذي اخذ له استاذا لتعليم اللغة العربية الخوري ارسانيوس الفاخوري فكان يدرس عليه وياتي بذور الشقاق في قلوب الاهالي وبوغر صدورهم على الحكومة الحالية بوقت واحد وجعل مركزه جبل كسروان ولم يمض الوقت على وصوله الا انتشر خبر اتفاق الدولة الانكليزية والنمساوية والتركية على الدولة المصرية وطردها من سوريا قبل ان نتأصل فروعها وينمو ضلعها وبرغموها على قبول مصر بلادا لحكومتها وقررت ارسال اسطول كبير الى ميناء بيروت وابرار اتحادها الى العمل



## الفصل الثاني والعشرون والمائة

### في وصول الاسطول الى مياه بيروت

اما الدولة المصرية فلم تكن غافلة عن هذه الحركة العدائية بل كانت متربصة تراقبها بعين ساهرة وقد خدعتها فرنسا لانها وعدتها بالمساعدة الدفاعية واخلفت وعدها عندما سألها الايرار به . ولو كانت البلاد باهلها على الوثام والسكينة ربما برزت بجحافلها وصدت الدول عن تنفيذ مآربهن ولذلك عندما وصل الاسطول العثماني الى مياه بيروت وصلت معه اساطيل الدول المتحددة وعرضن عليها شروطاً عقيمة تأنت في الجواب عليها والشروط التي افترحتها الدول هي بقاء مصر لمحمد علي باشا وذريته وان يجعل له اسطولاً محدود القوة وجنداً محدود المدد لا يقبل الزيادة وان يدفع للدولة لقاء استقلاله بمصر مئتين الف كيس منوباً ويرجع لها شبه جزيرة العرب وغيرها من فتوحاته وان يبقى في سوريا مدة حياته فقط وكلها تشف عن اشهار الحرب اكثر من لقاء الشروط وخصوصاً الدفع عن ثمن استقلال مصر الذي يرجع استقلاله الى اكثر من ربع قرن وأرقفن هذه الشروط بموعدها المجاوبة عشرة ايام وان مضت المدة ولم يجر جواباً توخذ منه حتى مصر

فرفض محمد علي باشا مطالب الدول لاعتماده على دولة فرنسا وما درى مكيدة الانكاز اما ابراهيم باشا فعندما تحقق ما دبّر عليه جواسيس الانكاز خصوصاً المستر وود وان اهل كسروان على وشك اشهار عصيانهم علم ان الامر جمل ووراء الاكسة ما وراءها فترك شريف باشا بدمشق وامره ان يقبض على قناصل الدول الموجودين في المدينة اذا حدثت الحرب وقدم الى لبنان ثم وجهه بوجها بك البحري الى الامير بشير يقيم عنده عينا عليه وطلب من الامير ان يرسل له حفيده الامير مجيداً الباسل ليذهب معه لضرب عصاة كسروان وتقدم بطليعة اثني عشر الف مقاتل الى محل العصاة دام القتال اياماً ولم يحصل على نتيجة مرضية بل تغلب العصاة على جنده مراراً وهي المرة الاولى التي ذاق بها ابراهيم باشا طعم الانكسار

وكان من قصص الانكاز الدمشقي انه ارسل روفائيل مشافقاً سرّاً للامير بشير يخبره بما قررت الدول عليه من اجبار المصريين على الجلاء عن سوريا عاجلاً ام آجلاً وينصح له ان يسلم او يلوذ لجانب الدولة التركية وكأنه يريد ان يفهم الامير وجرب



سحب قوته من قلب الحكومة المصرية - ولا مراة ان الانكليز اقوى الشعوب دهاء  
واكثرهم حيلة

وقدم وفدًا الى الامير من قبل قائد العمارة الانكليزية يطلب منه المواجهة فارسل  
اليه ابراهيم مشافة مرًا عن بحري بك

وعند ما قابلته ارجعه الى الامير ومعه هذه الرسالة ٠٠ « اعلم يا امير لبنان ان سوريا  
كلها أصبحت تحت ارادتي والمصريون لابد من اخراجهم منها ولو كلفونا اموالاً ورجالاً  
تفوق الحصر فاخلص لك النصيح ان تقف بجانبنا »  
ولما كان الامير على جانب عظيم من الرزائة والتأني لم يحرجوا با وظل يظهر  
ولاء لمحمد علي باشا محافظاً على مقامه عنده

### الفصل الثالث والعشرون والمائة

#### في لفظ القوم عن الحرب

لامشاحة ان وجود الاسطول الحربي في مياه بيروت احدث زعزعة عمومية في البلاد  
واضطراباً في الشعب وارجف البلاد من اقصاها الى اقصاها وكثرت الاجتماعات وعقد  
الجالس في المدن والقرى واصبح الشعب ينام ويقوم ولا هم له غير المباحثة في الحرب  
وتحذير نتيجتها ومع ان شريف باشا انتبه لقلقته الشعب فحظر عليه التكلم وهدد  
بالقتل كل من يتحدث بالحرب وكان الشعب يزداد اشتياقاً الى المفاوضة ومبادلة  
الآراء بصدد ما واعد شريف باشا غير واحد اشبه بخرقه النظام  
وحدث ان فنصل دولة النمسا مرلاتوزار الدكتور مخائيل مشافة في بيته ودار  
بينهما الحديث الآتي نرويه عن مشافة

مشافة - من الناس من يفضل اكل رأس السمكة قبل ذنبها ومنهم من يشرع  
في ذنبها حتى اذا وصل الى رأسها سهل عليه صفحه وتطيب باكله والذي اراه من  
الدول الراسية اساطيلها في مياه بيروت انهن يقصدن اخذ سوريا من الدولة المصرية  
من اضعف جانب فيها حتى اذا اجهزن عليه تحولن الى المكان الاقوى وبيروت لا  
تحتسب مدينة دفاعية بالنسبة الى عكا فاذا امتلكتها اولاً وعكا ثانياً ربما كان ذلك



افضل لمن وابقى

القنصل — وهل تفضل هذه الطريقة

مشافة — وكثير من القوم يفضلون تفضلي

القنصل — وماذا تظن تحتل عكا فار الانكليز الآ كاة

مشافة — ان ابراهيم باشا حاصرها سبعة اشهر قبل ان تمكن من الدخول اليها ولم

تكن حاميتها وحصونها كما هما عليه الآن

القنصل — مسكنة هي الدولة التي تعادي الدولة الانكليزية

مشافة — ولكن عكا أصبحت معروفة بمناعتها عند سائر الامم ولم يرجع عنها بالفشل

من القواد المشهورين وزد على ذلك فابراهيم باشا ضاعف قوة حاميتها ومناعة اسوارها

القنصل — وهل تظن الدول غافلة عن ذلك او احد منها يجهله ومع معرفتنا بما

اضيف اليها ارجح لها الثبوت امامنا بضع ساعات

وعند ذلك لحظ مشافه وجود نسيب لبحري بك قدم من لبنان الى الشام حديثا

فامسك عن الخوض مع القنصل فارسله الى بوحنا البحري بما وقّع له من الحديث مع

القنصل . وفي ثاني الايام عاد الرسول اليه بطلب حضوره وعند ما قابله قص مشافه

عليه حديث القنصل فساله بحري ان يستكشف منه عزم الدول وهل يحارب مع الانراك

ضد الحكومة المصرية

وفي ذلك المساء حضر القنصل الى بيت مشافه كعادته ولم يمهله مشافة طويلا حتى

كاشفه الحديث قائلا : لم ازل افكر في قولك عن ثبوت عكا بضع ساعات بالاكثر

امام مدافع الدول واخصن الانكليز فهل انت واثق ان الدول جاءت للدفاع عن مصالح

قومها القائم بيننا ام لتساعد دولة بني عثمان على محمد علي باشا

القنصل ان دولة الانكليز ودولة النمسا دولتان محاربتان مع الدولة التركية

انما فرنسا تازم الحيادة كأنها قدمت لشاهد فشل حليفتها وانكسارها

ولما انتهى ميخائيل مشافه الى البحري كلام القنصل المتقدم ظهر عليه الكدر وقال

ساخطا على دولة فرنسا لالتزامها الحيادة ولولاها لما كان محمد علي باشا رنض مطالب

الدول واستطرد حديثا عن الحرب وما تجلبه من الويلات على البلاد . وكان مشافه قد انس

ارتياحه الى المحادثة فقال : ان بونايرت الذي فتح العالم وازعج ملوكه عجز عن عكا مع انها

كانت بسور واحد ودخلها الجزائر الذي بالكاد تضاهي قوته قوة فرقة من الجيش المصري



المعناد على الحروب الهائلة وكيف الآن وقد أصبحت يحوطها سوران وداخلها جند ابراهيم  
باشا الباسل وليس جند الجزار الخامل

فاجابه بحري بك ان الذي اعجز نابليون عن فتح عكا ليس مناعة سورها ولا بسالة  
حاميتها بل قوة الانكيز التي صدرته عن ارسال سهمه ذي الحد المرهف الى قلب حاميتها  
ثم انقلاب الجمهورية الفرنسية عليه وقطعها عنه المدد والنجدات وتعهدا اهلا كه  
في هذه البلاد ولذلك اضطر للانسحاب عن سور عكا والرجوع الى بلاده قبل ان  
ينال اربه والا فما هي عكا ومناعة سورها امام قوات الدول الحية . . ولو كانت الدولة  
التركية خصمنا لما اكثر لها افندينا وقد مسمته مرارا يقول : ان نساء المورة تفوق  
الجنود التركية بسالة واقداما والانكى المهم انه يلزمنا قتال عدونا الداخلي قبل  
الخارجي . وما ان موارد شمال لبنان ثاروا علينا وجحدوا النعمة التي متعهم بها  
افندينا وانكروا على حكومتنا اتعابها عليهم وكيف انها ساوتهم بالمسلمين الذين كانوا  
يضطهدونهم ويسومونهم انواع الذل والخسف والعبودية ويستجولون المحرمات فقاموا علينا  
يريدون قتالنا . . وارجاع عبودية الاتراك على اعناقهم لنعود عليهم سلطة  
مشايخهم المستبدين وامرائهم النافقين فيعملون على ذلم واثارة الفتنة بينهم وترجع حالتهم  
الى شرما كانت عليه من الضغط . والحق يقال ان رجعت الدولة التركية الى سوريا  
سوف تزيد معاملتهم صرامة ويحل بهم الندم ولات ساعة مندم فقال له مشاقه : اتسمح  
لي ان ابدي رأيي واصرح بافكاري في هذا الصدد

فقال له بحري : قل ما يجول بخاطرک بكل حرية واخلاص وخصوصا عن  
احوال لبنان لانه حصننا المنيع وله عندنا اهمية تفوق عكا وحراجة مركزها

فقال مشاقه : من المعقول والمنقول لنا عن السلف ان الدولة الفاتحة اذا لم تحسن  
سياستها في البلاد وتحافظ على عادات اهلها وتراعي نظامها ولا تحدث بها تغييرا فجأة  
لا بد ان تلاقي مقاومة عنيفة تضعف قوتها ونزول سلطتها . ان لبنان الذي كان يدفع  
للدولة الفين وثلاثمائة كيس ثمن استقلاله اصبح وهو يدفع للحكومة مصر ستة آلاف  
وثلاثمائة . ولم تكثف الدولة المصرية بهذه المضاعفة بل شرعت بتجنيدها عساكرها من  
رجالها الذين افنتهم الحروب حتى كادت تحل بيوتهم من السكان فترملت معظم نسائه وتيم  
جل اطفاله وعلاوة على ذلك كانوا يعتاضون عن هذه الضحايا الثمينة فقرا وجوعا وعيالهم  
بكاء ونوحا مدة غياب رجالها . وكما لا يخفى ان اهالي الجبل افقر سكان سوريا قاطبة



وليس لهم من موارد الرزق سوى ما ينتظرونه من موسم الحرير لسد رمقهم . نعم ان موسم الحرير يبلغ الف وخمسمائة قنطار ولكن تسعين بالمائة منه يذهب الى الامراء والى المشايخ والرهبان وبعض سكان المدن الكبيرة مثل بيروت وخلافا . بين ان عدد الشعب ينيف على ثلثائة الف لا يبقى له من الموسم الذي هو مورده الوحيد غير عشرة فناً مل . وزد على ذلك ان ارض لبنان لا تصلح للحرثة كارض الشام وحمص وحماة لذلك ترى عدداً كبيراً منهم يعولون على خدمة الامراء والاديرة لتحصيل معاشهم الضروري . ثم اي صاحب عشيرة ابقت الحكومة المصرية في منصبه حاكماً مستقلاً كما كان عليه قبل احتلالها ولم تنه شرفه او تنزع منه ولايته التي كان يحسبها ملكاً شرعياً . نعم ان الامير بشيراً بقي في مركزه مستقلاً في حكومته قبل الاحتلال وبعده . ولكن الزيادة التي القتها عليه كانت تزيد على ثمن هذا الاستقلال . ومع ذلك فانها اهانته واسقطت من حرمة عند كافة سكان البلاد في قتلها من استجار به . واهالي سوريا ولبنان خصوصاً يقومون على طاعة رؤسائهم انما يخلفون عن اهالي مصر انهم لا يخضعون الا لامرائهم ومشايخهم ورجال الدين ولا يعرفون الطاعة للحكومة رأساً . وقد اسرعت الحكومة في استبعادهم وتجنيد افرادهم في خدمتها والآنكى من ذلك انها لم تحدد لهذه الخدمة وقتاً معلوماً . كل هذه الامور وامثالها اوجبت بنقض الاهالي للحكومة الحاضرة مع ان المتبصر يرى العدل بزغ نوره في جو سوريا منذ انتشر العلم المصري فوق ربوعها ولكن اذا كان الشعب قاصراً عن ادراك الحقيقة فمن الافضل اصلاحه وتوعيده على قبول الاصلاح تدريجاً وسكان شمال لبنان كانوا يميلون الى مقاومة الامير بشير قبل الاحتلال وفي سنة ١٨٢١ اثاروا عليه فتنة كبيرة وكان رجال الدين سبب حدوثها وهي تعزى الى غبطة البطريك لانه كان حانقاً عليه كما يقال

اما جنوب لبنان اذا لم يتدارك امره فسوف يقشدي بالشمال ويأخذ العدوى منه وسكانه يقدرون بنصف الاهالي وهم على جانب عظيم من القوة وشدة البأس بكفية قوه ما تسعي وراءه المشايخ من ايجاد صلة ودادبة بينه وبين الدروز آل جنبلاط وعماد ونكد المنفيين بمصر فاذا عاد هؤلاء واستمالتهم الحكومة اليها كان لها في الجنوب قوة تضاهي قوة الشمال والله اعلم . . . ولم يجرى بك جواباً لانه ادرك الصواب في كلام مشافة هذا



## الفصل الرابع والعشرون والمائة

### في ضرب مدينة بيروت

ولما مرَّ الوقت المعين ولم يجاب محمد علي باشا الدون المنتظرة قبول اقتراحها عليه الا  
بالرفض اشتهرت عليه الحرب و بدأت بضرب مدينة بيروت ولم تكن تلك المدينة دفاعية  
فاستولت عليها بوقت قصير . وعند ما انتشر خبر ضرب مدينة بيروت ارسل ابراهيم باشا  
بأمر شريف باشا ان يمنع فواصل دولتي الانكليز والفرنسا من المداخلة والمخالطة ويقيم  
عليهما الرقابة ولكن هذا الامر على ما فيه من المضايقة لم يات بالفائدة المطلوب . لا غابرة  
كانت متواصلة مع دروز حوران والدول بواسطة ترجمان القنصل الذي وقف مغايل مشافة  
على اعماله ولم يشهره . وكانت لخبر اشهار الحرب على الحكومة المصرية وقع حسن في  
قلوب عصاة كسروان فتجددت قوتهم وتضاعفت عزيمتهم على مقاومة ابراهيم باشا وتفريق  
عساكره وقد ارسلت لهم الدولة التركية سلاحاً ومدتهم بفرقة من جنودها عن مدينة  
جونيه وعند مضاعفة عددهم وعددهم دحروا الجند المصري وارغموه على الانسحاب ولم  
يفت ابراهيم باشا انه اصبح يقاتل الدول فضلاً عن العصاة لانه شاهد الجند المنظم  
واستطلع سلاحه فرأى الانسحاب اولى والذي غره بذلك ظنه ان العصاة يلحقون  
به الى غربي البقاع حيث نزل بعسكره ولكن العصاة لم يبرحوا مكانهم

## الفصل الخامس والعشرون والمائة

### في نفي الامير بشير

وبعد ان استولت الدولة التركية على بيروت تقدمت الى صيدا واستولت عليها ومن  
هناك ارسلت في طلب الامير بشير لتجدد له اباؤه على حكومة الجبل . ولما وصل الامر  
لحاكم لبنان افنكر ان يستحضر الامير مجيداً من عسكر ابراهيم باشا فارسل اليه علماء و بات  
ينتظر وصوله ليقدّم و اياه الى صيدا -- ثم امر اندرواس مشافة مدير الخزينة باعداد ما  
توفر لديه من المال فوجد في الخزينة اربعة وستين الف ليرة فاخذ الامير منها بعضها  
وابقى البعض الآخر ليرسله الى البطريرك كانه علم بما سيصيبه فرغب في ان يستحيل  
عضداً كبيراً



اما الامير مجيد فلم يتمكن من الحضور حالاً فاضطر الامير بشير ان يؤجل ميعاد  
قيامه الى صيدا لليوم التالي وعند ما حضر قام بجاشيته لمقابلة والي صيدا حسب  
اشارته فاحتفل خالد باشا بقدوم الامير ورحب به عند اول وصوله ولكنه انقلب  
فجأة من الترحيب الى المعانبة وجعل له عذراً في تأجيل وصوله الى صيدا كما وعد  
اولاً فابدى الامير عذره الواضح وادعاه حجة دامغة ولم يفلح واخيراً عرض له خالد  
باشا ان يختار مكاناً ليس تحت سلطة حكومة مصر ليرسله اليه فيقضي بقية ايامه فيه  
فاختار الامير مالطة التابعة لدولة الانكليز وطلب مهلة لاعداد شئون رحلته فامهله وارسل  
له البطريرك كاهنك لخدمته الخوري نقولا مراد او بالاحرى جاسوساً لاعماله في منفاه  
وبعد ايام قام الامير بجاشيته الى مالطة

وجدير بنا ان نبسط للقارى اعمال رجل لبنان العظيم في مدة حكمه ان الواقف  
على تاريخ لبنان لا بد ان يوقفه التمييز بين هذا وذاك لما يلاحظه على اعماله المختلفة —  
والامير بشير الذي تولى حكومة الجبل من ١٧٨٥ الى ١٨٤٠ لا بد ان يمتري الباحث  
في اعماله العجب لانه كان يظهر القوة من حيث لا يحتاجها ويظهر الضعف في مواقع تلزمه  
القوة قد كان للامير احوال سهلت له ان ينشئ دولة مستقلة لو تروى اذ توفرت له القوة  
والوجاهة واجمعت القلوب على اهابه والاستبسال في مصالحه وكانت ولاية الامور تعتمد  
عليه في حل المضلات اهالي سور يا عمومًا والجبل خصوصاً تفتخر به وتباهي ببسالته  
وكرم اصله

وكان شجاعاً مقداماً وفائداً محنكاً وسياسياً داهية خدّم الجزائر بكل امانة ونشاط .  
وخدم خلفه وحفيده مثله وخدم الدولة التركية والدولة المصرية وكانت يعطي لكل  
خدمة ودولة حقوقها وكان صادقاً اذا وعد اميناً على واجبه فعل كل ذلك ولكنه لم  
يخدم وطنه خدمة تذكر ولو صرف قواه في منفعة وطنه وتعزيز مقامه لحفظه الاستقلال  
وتغلب بما فيه من القوة الفطرية على اخصامه لو صرف ايامه وعزمه وكرس حياته للدفاع  
عنه وعن استقلاله من عبث الاجانب به لما قام للجزائر قائمة ولا لعبد الله باشا او سواه  
شكيمة . . لو فعل كل ذلك لكننا شاهدنا له من سلانه حاكماً على ربوع سور يا ولبنان  
كما نرى احفاد محمد علي باشا يتمتعون بالسلطة على وادي النيل اذ كانت له ذات الفرصة  
التي كانت لمحمد علي باشا لاشهار استقلال سور يا ومحاربة الانراك وردم عنهم كما رد  
محمد علي عن مصر ولكنه لم يقدم على مثل ذلك واطلق قواه في ديمور الخلافات الاهلية



وقبل ان يكون مستقلاً بمكرمة لبنان ضمناً وفضل الاستعداد اعدو وطنه لينتقم من اخيه بالوطنية ومزاحمه على الامارة . واشهارنا عليه الملامة لاتبعدنا عن الافرار بفضلهم وعلمهم فمؤ يستحق فوق ذلك وربما كان له عذر نجده ومما يمكن من امره فتعيب عليه استعداد اعدو وطنه

## الفصل السادس والعشرون والمائة

في تعيين الامير بشير القاسم حاكماً على الجبل

لم يمض على وصول الامير بشير الى صيدا اكثر من بضعة ايام حتى عين خالد باشا الامير بشير القاسم حاكماً مكانه على الجبل . وكان الامير قاسم ضعيف العزيمة سيء الادارة جاهل لا يفقه مطالب مركزه . كانه جاء ليظهر مقدار الفرق بينه وبين الامير بشير سلفه ولكنه على ما فيه من الخبايا وفساد الراي قال رضى اصحاب المطامع من شيخ وكاهن وذو زعامة حيث اطلق لهم التصرف بحقوق الشعب وابتزاز ماله . ولما كانوا مغلولي الادي على عهد الامير بشير بدأوا يمدحون الامير قاسماً ويشنون عليه ويمرحون ويأتون العجائب وشهود عياناً ما وصلت اليه حالة لبنان على عهد الامير بشير قاسم ومع ترجيح الامير بشير عليه كان ولاية الامور نعتته بالفاتل لكل سلطة عاصرته وكانت اما مزاحمة له واما تريد الاستقلال بمصالح الشعب . واكثر من تلقينه فقالت انه سفاك لا رحمة عنده ولا حنان في قلبه ولكنهم لم يبرهنوا ذلك ولا قاسوا معاملة الافراد بل كانت دعوتهم من وجه اجمالي ولا توغلوا في البحث والاستقصاء في حالة لبنان عموماً وهل هي الآن افضل منها في عصره وهل الذين قتلهم وكان الحكم فيهم عدلاً اقل من الذين ذهبوا ضحية الجهل والاستبداد في سنة واحدة بعده فالمبتصر عديم الغرض لا يرى في ادعاء هؤلاء حقيقة

## الفصل السابع والعشرون والمائة

في رجوع ابراهيم باشا الى الشام

بقي ابراهيم باشا مقبلاً برجاله في البقاع بزحمة الى ان قصد مقابلة بحري بك وكان



الذي قصه عليه البحري عجل قيامه من تلك النواحي الى مركز حكومته لجمع شعنها وضبط شؤنها. ومن جملة ما وقف عليه وحدث في غيابه قدوم فردوس بك الى الشام ومقابلته بشريف باشا ليلاً وفردوس بك هو ابن علي اغا مملوك ناصيف باشا العظم الذي كان مع الصدر الاعظم بالحملة التركية التي قدمت لاجراج فرنسا من مصر سنة ١٨٠١ قزوج علي اغا ابنته واقترن شريف باشا بابنة علي اغا من زوجته المشار اليها. وكيفية اتصال بحري بك بحدث هذه المقابلة انه بث الارصاد لفردوس بك على اذاعة خبر قدومه وسال اولاً مغايل مشافه ان يذهب الى بيت اخيه عا كف بك ويستطلع منه حقيقة الخبر لانه طبيب وقد تعود ان يزور عا كف واخوته. والحقيقة ان فردوس بك دخل الشام عن طريق حاصبيا بعد ان نزل على الامير سعد الدين فالبسه ثياب عادية واصحب معه الامير خايلاً الى ان اوصله الى ابواب المدينة ولما لم ير بحري بك ميلاً من الدكتور مشافه في تلبية طلبه امتدى منه على طبيب البكوات وهو رونان صيدع فظن انه نال اربه. واخيراً علم ان فردوس بك نزل على حافظ بك بن عبدالله باشا ولما كان يعلم صدق حافظ بك لابراهيم باشا تقدم منه وساله عن فردوس بك فقال له حافظ احضر الليلة وادخل بجانب القاعة في بيتي تقف على الذي تطلبه فذهب بحري بك الى بيت حافظ ودخل الغرفة التي اعد لها صاحب البيت وعند دخوله وجد غلاماً فساله عن فردوس بك فاجابه الغلام كان فردوس عندنا في هذا الاسبوع وبرحنا في هذا الصباح. فقال له بحري بك اذن لم يقابل شريف باشا فاجابه الغلام نعم قابله وصرف وقتاً طويلاً. ولم يخف البحري عن شريف باشا ما تأكده من خيائنه فقابله واطلعه على كل الذي اخبره بنفسه من مقابلته بفردوس بك ولما تحقق شريف افتضاح امره سال البحري ان يكتم الخبر عن ابراهيم باشا او يسأله العفو عنه فوعده انه يسعي بنيل العفو ومضى لساعته الى ابراهيم باشا وقص عليه الذي تقدم. ولما سمع ابراهيم باشا عن شريف باشا ذلك الخبر حنق عليه وتوعده ولكن بحري بك سأل العفو عن سقطته. وقام ابراهيم باشا في ثاني الايام الى الشام وترك ساحل البحر فاستولت عليه الدولة غنيمة باردة وعند وصوله لدمشق عقد مجلساً عسكرياً وحاكم شريف باشا فحكم المجلس عليه بالخيانة فقبض عليه وبقى وقت تنفيذ الحكم فيه ليقوم الى مصر

## الفصل الثامن والعشرون والمائة

### في ضرب عكا

أُقِلَّت السفن الحربية من مياه بيروت ورسَتْ في مياه عكا وصوبت عليها مدافعها وامطرتها نارا متواصلة ولم يمض عليها ثلاث ساعات حتى رأت حاميتها اخذت المدينة وفرت تطلب النجاة والسبب الذي جعل امر فتحها واخلأ حاميتها هو انفجار البارود الذي وصل حديثا وترك خارجا فوقعت عليه قبلة احدثت انفجاره وكانت نتيجته وخيمة فهدم جانب عظيم من السور وفك بعدد كبير من الحامية ومن سلم من الانفجار طلب لنفسه الفرار من نار الاسطول فاستولت عليها الدولة وتقاتلت خيرا وبعد ايام وجه خالد باشا حكومة حاصبيا على الامير سعد الدين وارسل اليه سلاحا واعد فرقة بقيادة احمد آغا اليوسف لطرد ابراهيم باشا من دمشق

## الفصل التاسع والعشرون والمائة

### في قيام ابراهيم باشا عن سوريا

تقدم احمد آغا اليوسف الجنود التي اعدّها له خالد باشا لطرد ابراهيم باشا ولما اقترب من قرية سبع على مسافة عشرين ميلا من دمشق خرج اليه ابراهيم باشا بجند قليل وهزّمه شرهزيمة فرجع ابراهيم باشا بالغنائم ولذخيرة الوفرة اما احمد آغا فنزل بمسكره بعيدا عن الشام واقام ينتظر اخلاء ابراهيم باشا المدينة لان محمد علي باشا والده ارسل اليه واعلمه عن قبوله ترك سوريا واستقلال مصر فجمع ابراهيم باشا شتات عسكره من كل حدب ونادوهم سبعون الف رجل فقام بهم عن الشام الى مصر في سنة ١٨٤٠ وخرجت اهالي البلد لوداعه فخطب فيهم وحرضهم على الاخلاص الى الطاعة والسكينة . وعند نصف النهار قبل احمد آغا برجاله وقبض على ازمة الاحكام وقبل وصوله قتل فتى نصراني من يد مسلم لان المدينة بانّت بدون حاكم ومن اوائل اعماله انه اعدم اثنين من الاكراد وكان بطوف في شوارع المدينة ليلا يتنسم اخبارها بنفسه ولحظ ان النصاري عادوا الى العمام السود بعد ان كانوا يتعممون



بالعالم البيضاء خوفاً من تحرش المسلمين بهم فاعلان ان كل مسلم واي كان يبدو منه  
تعد على انتمهم العامة البيضاء من الطائفة المسيحية بنال قصاصاً صارماً . وتقدم الى  
السلام عليه الدكتور مشافة واخبره بوجود جرم انوس البحري في بيته ولم يقم مع اخيه  
يوحنا لعجزه وسأل له الامان فصدر امره بالعفو عنه وعن ولده . وبعد ايام ارسلت  
الدولة علو باشا الذي فر من وجه المصربين واليا على الشام فاقام بها اياماً ثم ارسل الى  
الحجاز ثم عينت نجيب باشا واليا على الشام وكان اشد الانراك تعصباً  
وكان المستر وود الانكليزي مفوضاً من الدولة التركية بمراقبة اعمال مأموريها وكان  
كثيراً ما يشير على الدولة بعزل هذا فتعزله وتعين ذلك فتعينه وكان كلامه مسموعاً  
لدى الدولة الى هذا الحد

واجمع السوريين دلى محبته على اختلاف نزعاتهم ونحلهم . وعين من قبل دولته  
فصلاً في دمشق وجعل الدكتور مشافة ترجماناً له ثم حضر خليل باشا صهر السلطان  
بيروت لتنظيم احوال لبنان ولم يفلح فرجع عنها بالخيبة والسبب ليس قصوراً منه او  
تصاف الجليليين بل وجود الامير بشير بعيداً عنهم في مالطة ولا ذنب له فدبر على تقديم  
العرضحالات طعناً على آل شهاب

## الفصل الثلاثون والمائة

### في وفاة الامير بشير في منفاه

في رجوع خليل باشا الى الاستانة سعى فامتقدم الامير بشيراً وحاشيته اليها وكان  
قد لحق الامير الشيخ حمد ابي نكد وقبل ان يبرح زعفران بول توفي الامير قاسم اكبر  
انجاله ولما وصل الى الاستانة قدم اليها المعلم بطرس كرامه وسعى عند رجال الدولة  
بارجاع الامير او احد انجاله الى حكومة لبنان وكاد يفلح بسعيه وارسل الامير امير  
حاكماً على الجبل وبقاء والده في الاستانة بينما تستطلع الدولة تصرفاته بالحكومة فان  
ظهر منه ما تريد تسمح للامير بالعودة الى وطنه . وقبل ان الخوري نقولا اعلم سيده  
البطريرك بما ينوي الامير على اتيانه فارسل غبطته للدولة رسالة ملاًها قدحاً بالامير  
امين واكد لها ان الجبل يصبح ملعباً للشقاق والفساد في دولته لانه اظلم مر والده  
وكثرت العرضحالات تترى على الدولة من المشايخ والامراء ورجال الدين يساجمونها



بعد ارسال الامير امين حاكماً عليهم وكانت الدولة سبق لها وعينت الامير اميناً وذهب  
لوزير الصدارة رشيد باشا يستلم الامر الاخير قبل مبارحته الاستانة وبدلاً من ان  
يتناوله الباشا الامر في تعيينه دفع له عرضاً جالاً من البطريرك الماروني وبقية رؤساء  
العشائر وقال له نحن قبلنا بك حاكماً على لبنان ولكن رجال دينك رفضوك فخرج من  
عنده قانطاً

ثم بعد مدة قليلة اعتنق الاسلام وقال انه من الغلط الذين بهذا حال  
رؤسائه ثم افندى به الامير مجيد والامير مسعود اولاد اخيه الامير قاسم والامير خليل  
ولكنه توفي على الاثر كتيباً . وبعد اربعة اشهر توفي الامير امين مسلماً وهكذا والده  
لشدة اسفه على ولده وضيق ذات يده توفي فجأة عن اربعة وثمانين عاماً وقد احتفلت  
الدولة بآتمه ودفنته بكنيسة الارمن الكاثوليك وهكذا على هذه الصورة كانت نهاية  
حياة بطل لبنان وبعد مدة رجعت عائلته الى سوريا وتوفي الامير مجيد مارونياً والامير  
مسعود مسلماً . وباعت ارملة الامير الكبير سراي بيت الدين الى الحكومة اللبنانية  
 واصبحت مركزاً للتصرفية وبذلك انتهت دولة الشهابيين في لبنان بعد ان حكمت  
عواماً

## الفصل الحادي والثلاثون والمائة

### في اكاذيب عمال الاتراك بسوريا

فلنا في الفصل السابق ان العرائض كانت تتوارد الى الاستانة طعناً على آل  
شهاب وكان يقال ان الباعث على كثرة تلك العرضجات كره رجال الدين المسيحي  
بسوريا لهم وخصوصاً المسيحيون ورجال الدين منهم مع المشايخ والاعيان  
وتحريض الخبير ليس كما كانت الدولة تشيعه من ان اللبنانيين حاققون على امرائهم آل  
شهاب بل كانت الدولة تحذع اللبنانيين تارة وتعليقهم اخرى وآونة تهددهم ليكتبوا لها  
العرضجات طعناً على آل شهاب لتظهر للدول الاوروبية ان شعب لبنان المسيحي  
غير راض عن تصرف امرائه آل شهاب ولذلك فهو يطلب من المرحم التركية ارسال  
وال تركي من طرف الدولة عليه بدلاً من آل شهاب  
وكان الاتراك يحرضون المشايخ الغاضبين على آل شهاب وخصوصاً الدروز الذين



ضابقهم الامير بشير الكبير وارغمهم على احترام القانون وكانوا يثيرون عليهم كل ذي  
ضعيفة على آل شهاب استعداداً لضم لبنان الى مملكتهم ونزع استقلاله الاهلي  
ولم يكتف عامل الاتراك اذ ذاك مصطفى باشا بتفريق المرضحات على النصارى  
والدروز بالجليل وامرهم بختمها بل فرق منها عدداً على مشايخ الاسلام بسوريا كلها  
وارسل منها جانباً الى اشياخ المناولة وامرهم بختمها وكلها طعن على امراء شهاب وثناء  
على عدل الدولة الشهير الذي علمت حالته باول الكتاب وكيف كان امره قبل استيلاء  
الدولة المصرية على سوريا مما سردهناه بيمينه

وقد كتب لشعب تلك الايام بالجليل والغبابة الذين اوصلاه الى احظ منزلة من  
الرق حتى كان العوبة بيد عمال الاتراك بفضل رجال زعامته الذين اثبتوا عدم اهليتهم  
لاشغال مرا كزهم مما كان يحملهم على ختمه من المرضحات رجال الدولة واخصهم  
مصطفى باشا

وهاك صورة كتاب ارسله هذا الرجل الى زعيم من مشايخ المناولة وضمه عرضاً لا  
يطلب به ليس ان يختمه فقط بل ان يسمى بختمه من كل شيخ وعامي بقدر على التزين  
له ليختمه ويضعه به طعنا على آل شهاب ليبرهنوا للدول الاوربية ان الشعب غير  
راض عن آل شهاب ليس ضمن الجبل بل بسوريا كلها :

« جناب افتخار الاماجد الكرام اخينا المكرم حمد البيك حفظه الله تعالى  
« غب ابلاغ التحية والسؤال عن خاطركم بكل خير وعافية المبدي خلوتكم انه يحسب  
الاعتماد على صداقتكم واستقامتكم الاكيدة والآن توجه اليكم من عربي كاتبي الخواجا  
جبرائيل العورة فبوصوله ليديكم نعتدوا ما آله ونظفروا همتمكم المعهودة بانتمام العمل  
طبق تعريفه لكم وتهتموا بنجازه وارساله الينا مع الجواب لطرفنا بالجليل بحيث مراسلكم  
يلحقنا اينما كنا ان كان في المثلث او في زحلة او في بلاد جبيل وحسب عهدنا الوثيق  
بصداقتكم باقرب وقت تتموا المصلحة طبق التعريف ودعتم »

كاتم الاسرار

الختم

علي بك

مصطفى

حدينة

باشا

وهذه صورة تحرير مرفوع من جبرائيل العورة الى الزعيم المذكور حمد البيك  
« سني المهم سلطانم »



« غب تقديم الدعا بدوام بقاكم نعرفكم الآن واصل طية فرخين ورق كبير على بياض  
 وصورة عرض محضر الى حد الورق البياض فيه الكتابة وعلامة محلات الاسماء والاختام  
 فالقصد بذلك ان بحال وصوله تحرروا العرض محضر ونهضوا الغيرة النامة بتخمينه من  
 مشايخ المتأولة جميعهم ومن مشايخ القرايا الاسلام والنصارى في مقاطعة تبين وساحل  
 معركة وهونين وساحل قانا ومرج عيون والشقيف وجباع . غير ان لا تدعوا احد  
 من مشايخ العشائر وشيوخ القرايا اسلام ونصارى الا وتختصوه منه وبالخصوص تجتهدوا  
 على تكثير اسماء النصارى والذي ليس له ختم تدعوه بالحال على عمل ختم وتختصوه منه  
 » واتخذوا كل الفنون والنباهة الممهودة منكم لما به البولنكه ( السياسة ) والتنازل  
 لكائن من كان بحيث لا يتخلوا احد من وضع اسمه وختمه وهذه تعدل لجنابكم عند دولتهما  
 ( مصطفى باشا وعلي بك ) من اعظم الخدمات المقبولة وتحوزوا الرضى الوافر فوق ما  
 تؤملونه وهذا وقت اكتساب الفرصة »  
 ( محل الختم )

وهذه صورة العرض حال الذي كان الانراك يرغبون من القوم ختمه على الصورة  
 الموضحة في ما تقدم :

« انه كما مشهور وصار مشاهد بالعيان ومحقق من وجود ادارة الدولة العلية في  
 حكومة لبنان قد حصلت اهالي الجبل المذكور عموماً على غاية الامنية والراحة والرفاهية  
 والعدل والانصاف بنوع انهم من حينما تخلصوا من ادارة الامير بشير الشهابي واولاده  
 واقاربه خصوصاً الامير امين والامير بشير القاسم وابناء عمهم وانسابهم واعوانهم  
 واتباعهم الذين املوا الجبل شروراً وجواراته نظير بلادنا وغيرنا من البلاد المجاورة لهم  
 من التعديات والمظالم المتنوعة فقد خرجت الاهالي والسكان بوجود ادارة الدولة العلية  
 من العتم الى النور ومن دهر الظلم والجور الى ساحة العدل والامان . فنظراً الى عدالة  
 الدولة العلية وانصافها الذي عم العالم باسمه فبتمنضي عدالتها وانصافها المرحمة بحق  
 عبيدها ورعاياها بدوامهم في ادارة احكامها وعدم اعادة احكام الشهابيون بوجه  
 الاطلاق . . . بل ولا واحد من اهالي الجبل لا اسلام ولا عيسويون عملاً بمروءة  
 الباري تعالى جل جلاله لرحمة عبيدها ودوام استخلاصهم لعنتهم من احكام الشهابين  
 ومظالمهم المتنوعة واتباعاً للحديث الشريف كلهم زاعي ومسئول عن رعيته

« وحيث انوجدنا نحن المجاورون للجبل ولنا الاطلاع التام على احواله واخذنا وعطائنا  
 مع الجبل وفي الجبل المذكور كثير فان ذات ادارة احكام الدولة العلية في جبل لبنان



يعمنا جميعاً من الامان والراحة . وان لا يمح الله تعالى تغير ذلك بضده فنحصل على  
الانعاب والمشقات لاجل ذلك بسطنا الآن عرض عبوديتنا هذه ونسخرهم بها من  
الاحسان الملوكانية والمراحم الشاهانية النظر لعبيد ورعايا الدولة العلية بعين المراحم  
الاشفاق وابقاء احكام الدولة العلية في جبل لبنان وعدم النظر والالتفات الى الحركات  
من المفسدين الذين يسعون بسلب الراحة وامنية عموم الاهالي والفقراء ويدبرون  
عرضحالات التزوير بالتباس ارجاع احكام الشهابيون لان ذلك موافق غاياتهم الرديئة  
ومغاير انصاف عدالة الدولة العلية وحشاها ان تهمل دوام راحة رعاياها وعبيدها وتنظر  
لتزوير وتفاق هؤلاء . . . . . والامر لمن له الامر ان قدم

« انتهى بحرفه عن كتاب حسر اللثام عن نكبات الشام »

هذه هي العرضحالات التي كانت توارد على مركز الخلافة طعناً بالامراء الشهابيين  
وبعضها اراء الصدر الاعظم الى الامير امين الذي قدم اليه ليستلم مآموريته واودى  
به الى الموت كثيراً واعتناق الاسلام وليس تهمة الدولة من ان رجال الدين كانوا  
يسعون بأل شهاب

وهذه نقطة من بحر مما كان الانراك يغرون القوم ويهددونهم على كتيبه وخنخحه لهم  
دون ان يعلموا مغزاه وبعقلوا مؤداه . وهنا نمسك القلم ونترك للقارى ان يتصور  
حالة ذلك الشعب النعيس الذي ابلاه ربه بحكم الاوغاد اهل الخداع والمكر  
والدهاء والغدر وهكذا تعمل دولة الانراك دائماً بسياسة الغدر هذه وقس على ما مر  
بك ما اوقعته وتوقعه على رعاياها من يوم الى يوم تلك الدولة المنعوتة بالمعادلة بتلك  
العرضحالات عفواً

وبما اشكل علينا به ورود اسماء الشعب مقسوما الى قسمين عبيد ورعايا ونظن  
ان الفاري ادرك مثلنا ما يريدون بالعبيد وما يعنون بالرعايا ونحن نظن ان العبيد هم  
اولئك الذين كانت تلزمهم الدولة بحمل كيس الحاجة وتجعل ذلك عليهم قانوناً للعمل  
وتكدهم على التسخير للمسلمين . . . . . والرعايا يراد بهم عامة الاسلام لانهم على دين الدولة  
التركية وهكذا كانت تعتبر المسيحي عبيداً وليس حراً . وكانت تحت الرعايا على معاملته  
كذلك رغماً عن كونه كان صاحب البلاد وحرّاً في بدء الاسلام ان اعملنا الفكرة قليلاً  
هان علينا تصديق ما سنورده من فظائع هذه الدولة مع اولئك العبيد الذين جاء اسمهم  
مراراً وتكراراً منعوتين بالعبيد الذين يعرفون بالارقاء او الرقيق



وكانت حالة اولئك العبيد احط حتى من الرق ولا تفرق عن حالته الا ان الاخير يباع ويشري ويلتزم مولاه بتقديم حاجيات الحياة ورعاية الجانب لانه متاعاً له ينظر اليه كمال ينفعه في دنياه

اما الاولون (العبيد) او نصارى لبنان خصوصاً وسوريا عمومًا فكانوا ارقاء لعامة الرعايا (المسلمين) وعليهم شرعا الاسترقاق لهم بكل ما يطلب هؤلاء منهم بكل ما بكلمة الاسترقاق من المعنى وعليهم ان يقوموا بقود انفسهم وعيالهم معامن شغل ايديهم وهكذا كانت حياتهم المرة بظل ظليل اسياهم الاتراك الاحرار وزعم الاغبياء الذين خيم الجهل والتعصب فوق عيونهم والمنازعات الشخصية على عقولهم ففضلوا الشخصيات على العموميات توصلوا لما آربهم الدنيئة بدلاً من هز الحسام لقوم ظلمهم واذلهم واذاقهم العذاب الوانا

وكانت هذه العرضحالات نكتب ونختم في اوائل سنة ١٨٤٢ عقب حوادث السنة التي قبلها حيث كانت الدولة ترغب في تعيين وال تركي على لبنان كما فعلت وعينت عمر باشا كما سيجي

## الفصل الثاني والثلاثون والمائة

### في مآثر الدولة المصرية بسوريا

ان اعمال الدولة المصرية في سوريا وماثرها التي تذكر فتشكر عليها كثيرة منها العدل والمساواة ورفع ظلم المشايخ عن الشعب واعطاء كل ذي حق حقه على احدث طريقة جارية عليها الدول المتقدمة ورغماً عن احداثهم على الرعية ضرائب عديدة واثارة هؤلاء عليهم فهم قد نفقوا السور بين نفعا عظيماً واشهر هذا النفع رفع يد الامراء والمشايخ عن استرقاق الاهالي والتمتع بالهم ومتاعهم واستباحة عرضهم الى اخر ما هنالك من المحرمات والمنكرات ولا يعاب عليها الا امر واحد وهو عظيم وكان داعياً الى سقوطها في سوريا واضعاف قوتها بمصر وذلك عدم اشهار استقلالها عن الدولة التركية وارغامها على الاعتراف به مع انه كان لها من اسهل الامور بعد ان اكتسحت البلاد واستولت على اكثر ايلاتهم وعدم تسميتها عزيز مصر وزيراً عاملاً باسم السلطان لانه كان يسترف له





جند محمد علي

بالسلطة المعنوية فقط تلك السلطة سهلت للدولة التركية استجارتها بالدول كما تقدم فلو  
اشهر محمد علي باشا نفسه ملكاً مستقلاً وارسل من قبله السفراء لعواصم الدول الاجنبية  
وعقد معها المعاهدات الدولية لاعترفت له بالملك بالرغم عن مقاومة دولة بني عثمان له  
او لو طلب منها الاعتراف بملكه واستقلاله عن الدولة التركية عقب حادثة قونية لاجبرتها  
على الاعتراف بسيادته لانه استحبال عليها اخراج جنوده من سوريا او صد هجمات  
ابراهيم باشا وتقدمه الى قلب عاصمتها

انما تهاونه قادهما الى عدو دولته فرعاً منها والحق ينزل لها قطع ذلك الفرع اذا  
اعتراه فساد باعتقادها وعلى هذا المبدأ تغلبت على استمالة الدول الى جانبها واجلت  
دولة مصر عن سوريا ووضعت حداً لنموها واجبرتها على الاعتراف انها راع منها  
وهذه السقطة وحدها كانت الباعث لسقوطها في سوريا ومصر معاً اذا أصبحت فرعاً  
من دولة الانراك مقيدة بادارتها تدفع لها مالا معلوماً ثمن استقلالها الداخلي ولا علاقة  
لها بالدول الاجنبية الا بواسطة هذا ما جعل الدول الاوربية تنظر اليها بعين  
الاستهفاف لا تعتبرها كدولة مستقلة ولهن الحق بذلك لانهن لا تعلم عن استقلالها شيئاً  
فلو تلافي محمد علي باشا هذا النقص لما كان من المستحيل ان نرى دولة عريضة



تجاري الدول المتقدمة نمواً وارتقاءً وكنا رأبنا على اربكة الخلافة العربية رجالاً من سلالة  
فليمتبر القوم ويتعظ الخلف من اغلاط السلف ويعلموا ان تحاسد الدول  
وحده وان يكن بحد ذاته عظيمًا انما لم يكن وحده كافياً لسقوط الدولة المدبرة بل  
الباعث الوحيد عدم اشهار استقلالها عن الدولة التركية كما تقدم وبسطناء آفك — ولا  
نعلم كيف تهيب محمد علي وثقاعده عن اشهار استقلال دولته وارغام الاتراك على  
الاعتراف بها بيد انه لم يتهيب من تدويج البلاد وخضد شوكة السلطنة التركية عن يد  
ولده الذي كاد يستولي على اكثر ولاياتها

وباليتنه انتبه الى ضرورة الامر وسعي وراءه وباليتنه عمل ذلك واراح بلاده وخلفاءه  
من مداخله الاتراك بشؤون دولته وقد قدر الله له رجالاً شجاعاً وقائداً حاذقاً يضاهي اعظم  
قواد العالم شهرة وخبرة بفنون الحرب وذلك الرجل هو ابراهيم باشا الباسل صاحب الاقدام  
والهمة العالية يذل له الصعاب ويحقق له امانيه

### الفصل الثالث والثلاثون والمائة

#### في رجوع المشايخ المنفيين

كان من محمد علي بعد انسحاب سلطته عن سوريا انه سمح للمشايخ جنبلاط  
وعماد ونكد الذين حكم عليهم بسكنى مصر بالرجوع الى وطنهم بعد ان اتم على بعضهم  
بالالقب السامية وفي وصولهم حصل لهم ما في زاهر ونزل احدهم ناصيف الذي تلقب  
بالبيك في بيت مشافة لان داره اندثرت اثارها بامر الحكومة اما الشيخ سعيد جنبلاط  
الذي كان موظفاً بالجندية المصرية تمكن من الهجاء ووضع يده على املاك  
آل جنبلاط قبل مباحرة ابراهيم باشا البلاد وصار يدفع عنها الخراج الى الدولة  
كجاري العادة وشرعت الدولة بتحصيل الخراج من الاهالي كما كانوا يدفعون الى  
الامير بشير فالدروز لم يمترضوا على مطالبتها انما النصارى اعترضوا وادغموا اعتراضهم  
بالبراهين المعقولة واخذوا يعقدون الجلسات خصوصاً اهالي كسراون ومن جاورهم اكثر  
من الشكوى وادعوا الفقر والعوز وقفل الارض واستشهدوا بفقراء لبنان المنتشرين بمدن



سوريا وقراباها وان ثلاثة ارباع الاراضي بلك المشايخ والامراء والاديرة وتسعون بالمائة من هذه الاملاك معفية من الخراج وبلغت الفحة والجهالة منهم الى تهديد الدولة بالعصيان . ومن قولهم الذي رفعوه الى خالد باشا ليقدمه الى الاستانة ان الجزية تؤخذ من القوم الذين يكلفون الدولة حمايتهم وليس من الذين بقدرهم على حماية انفسهم الى غير ذلك من قوارص الكلام وقد نصح لهم خالد باشا بعدم تقديم شكواهم على هذا الاسلوب الخشن ولم ينتصحو

وامتناع اللبنانيين عن دفع الجزية سوف يجلب عليهم نكبات كثيرة واغترارهم بمقدرتهم في مقاومة الدولة تدل على قصر باعهم في سبر غور الامور واصبحت الدولة بعد مجاهرتهم علناً بمزمهم على شق عصا الطاعة عليها لا تأمن جانبهم خصوصاً تصريحهم انهم ينتمون الى دولة اجنبية اذا لم تأخذ بيدهم على رفع الجزية عنهم التي عدوها ظمناً . وبما جعل لهذه الحركة وقعاً سيئاً سوء تدبير الامير قاسم وعدم اهليته للمركز الذي يشغله وكان كثير الخزل سفيه الكلام مع مشايخ الدروز الذين تأبى طبايعهم وآدابهم اسفاهة لا سيما وقد اعتادوا الرزانة وحرمة الجانب من الامير بشير فباتوا ينظرون اليهم شزراً وسرهم انقلاب الدولة عليهم . وقائل يقول ان الدولة اوغرت صدورهم على النصارى واتخذتهم آلة لتنفيذ سهمها في من خرفوا حرمتها واظهروا مقدرتهم عليها وهم غافلون عما تدبره لهم من الاحن والكروب والمذاج الاهلية والله اعلم بما تكنه الصدور

## الفصل الرابع والثلاثون والمائة

في ايقاد نار الفتنة بين الدروز والنصارى

اقبلت سنة ١٨٤١ على اهالي الجبل والناس في قلقلة ونفور ورائد الطرف يحكم لنفسه ان حركة القوم غير عادية واذا توغل في الاستقصاء يتجلى له استفحال الامر وجسامته الخطب ويشاهد فريقاً على تأهب واستعداد كأنه مدفوع الى الكفاح وفريقاً لاهياً كأنه امن حوادث الزمان وكروب الايام وكانت الدولة قد فضحت مساعيها وثقت في صدور الدروز روحها السامة فملاهم وما عاد بنقصها عن الانفجار الا سبب لثيف يساعدها على ذلك . ومن الصدق ان رجلاً ديرانياً من النصارى ذهب يوماً لصيد الطير الى ناحية بعقلين المأهولة بالدروز فتصدى له درزي دفعه عن غرضه فاندفع



عليه واشتد الجدل بينهما وادى الى خصام عنيف واخيراً الجأهما الخصاص الى السلاح وكان ذلك في ١٤ ايلول سنة ١٨٤١ عقب خروج المصريين بقليل . فترا كضت اهالي بعقلين للدفاع عن ابن بلدتهم ودبر القمعر عن ابن مذهبهم ودار القتال بين الفريقين فقتل من اهالي دير القمعر ثلاثة رجال ذلك مما دعى الى توسيع الخرق فركبت مشايخ آل نكد وقصدت محل الحادثة لفصل بين المتقاتلين ولكن لدى وصولهم رأوا غير ما كانوا يظنونهم شاهدوا عدداً كبيراً من قرية بعقلين تقابل بضعة من رجالهم وقد اثنوهم بالجراح وفتكوا ببعضهم عند ذلك هجموا عليهم وفرقوهم وارجعهم الى داخل القرية وشدوا الحصار عليهم واسفرت هذه الحادثة عن اثنين وثلاثين قتيلاً من الدروز واربعة من النصارى . وبعد ان كانت اهالي بعقلين اصدقاء لسكان دير القمعر اصبحت من الاعدائهم وتحرك الدروز للفتك بهم وحرصهم على ذلك مشايخهم آل جنبلاط وعماد وبانوا يتأهبون لاختذ النار ورفع العار عنهم

### الفصل الخامس والثلاثون والمائة

في ارسال الدولة سلاحاً الى الدروز

انتشر الخبر عن حادثة بعقلين وبلغ الشام وكان الدكتور مشافقة يتردد على سليمان افندي امين وكالة الحج باسغال لتعاقب بامراء آل شهاب فسأله سليمان عن الحادثة فاخبره مشافقة بما حدث بايجاز وقد خفي عليه ان والي الشام وولاة الامور مطعون على حذاقيرها وهم ساعون لتنفيذ غاية الدولة بالنصارى عن الدروز . وبعد ايام تكاثر عدد الدروز في الشام واستمر وفودهم اليها من اطراف لبنان . وصدف للدكتور مشافقة انه سمع سليمان افندي يكلم وجيهها درزيًا في شؤون هامة وشاهد الشيخ قاسم القاضي قادماً من دير القمعر فاقام بالشام اياماً وقفل راجعاً الى حيث اتي وقد اصحبه نجيب باشا والي الشام بكية كبيرة من الرصاص والبارود ليوزعها على رجاله الدروز وكان مشافقة نظره مع بعض من حضر من الدروز في بيت سليمان المار ذكره ومن هذه القرائن ادلة قاطعة على دسيسة الدولة وقيام رجالها في تميمها . وقد ناكده ان مشايخ آل نكد لا يسمحون لآخوانهم الدروز ان يفتكوا بنصارى الدبر لانهم متموت لهم وهم قوتهم وسبب بقاء وجاهتهم وان الشيخ قاسم القاضي نسب للمشايخ وبالطبع يحافظ جهده على كرامتهم



وتعزيز قوتهم

وكان بدمشق عدد كبير من مهاجري دير القمر يشتغلون فيها فجمعهم الدكتور مشافه وقص عليهم ما وقف عليه بطريق الصدقة وتداول واباهم في الشراون الحاضرة وفض عقدهم على اعلان نصارى دير القمر وتحذيرهم من الدروز واقترح عليهم ان يتلافوا الامر بالنفي هي احسن ولكن اذا كتب لقوم الشقاء ومنوا بما كم جاهل عبثا تحاول الافراد منه رد مكروه واطفاء ثورة وخصوصا اذا كان هو الدافع والتحد ضدها كما كان عمال الدولة بذلك العصر

## الفصل السادس والثلاثون والمائة

### في حادثة دير القمر الثانية

مرت الايام على حادثة بعقلين والدروز في خلالها في حركة وذهاب واباب وعقد مجتمعات وتأهب بخلاف نصارى دير القمر الذين ناموا الى معاقل ال نكد وظنوا انفسهم في مأمن منيع من طوارق الحدثان وكانوا يذهبون من مكان الى آخر بدون تحذر ويشاهدون قدوم الدروز وتكاثر عددهم من يوم الى آخر ولم يفتنوا الى مغبة غفلتهم واقبل دروز اقليم المناصف الى الدير ليلاً وباتوا عند اخوانهم بدون ان يشمر بقدمهم احد من النصارى او شعروا ولم يكتثروا بهم لانهم كانوا على ثقة وهمية في اخلاص جيرانهم ومشايخهم آل نكد لهم . وبيناهم على ذلك واكثرهم متغيب عن البلدة في مدن سوربا ونواحيها غير عالمين بما تولده الليالي اذ هجم عليهم دروز المناصف فافاقوا من رقادهم على صوت البارود وفرقة السلاح

وعند ذلك تراكضوا الى سلاحهم والتقم القتال ودافعوا دفاع الابطال عن منازلهم وشرف بسالنتهم ولكن عددهم كان قليلاً بالنسبة الى عدد الدروز الذين ظهروا عليهم فجأة واحاطوا بالمدينة باقل من وقت يذكر فاشتد عليهم القتال وحصرهم الدروز في بيوتهم ولكنهم قاتلوا قتال الاشداء وردوا عنهم غارات الدروز المتواصلة

والتجأ بعض سكان حارة الدروز الى مشايخ آل نكد وطلبوا منهم الحماية ومراعاة حقوق الجار فلم ينالوا جواباً غير لقاء حتفهم من ايدي الذين كانوا يجاربون عنهم غير ان الشيخ حموداً تقدم الى ابراهيم مشافه وقال له كن على ثقة لا يقترب احد الى بيتك ولا



يسك ضرر من رجالنا

ولما علمت نساء الحلي بتأمين بيت مشافة اقبالن اليه مستغيثات . وحدث ان ابراهيم مشافة تفقد ولده فلم يجده في البيت فخرج يفتش عنه وبعد خروجه بمدة قصيرة هجم على البيت سبعون من الدروز بتقدمهم احد اتباع الشيخ حمود وكان في البيت اندراوس مشافة ورجل آخر فدافعا عن الحرم جهدهما الى ان صرعا وعند ذلك لما لم يعد من يدافع عن الدخول الى البيت دخلوه واغتصبوا باب غرفة الحرم بخلاف عادتهم وغرضهم ليس الفحشاء بل النهب وعلت الضوضاء وملاً صراخ النساء الفضا وكادوا يظفرون بأربهم لانهم قتلوا خادم الغرفة وهو وراء الباب ولم يقبل ابراهيم مشافة ومعه اربعة بواصل وهزمهم بعد عراك طال مدة وقتل فيه واحد من الاربعة . وبعد ذلك نقل النساء الى مراري الامير حيث كانت الرجال تدافع عنهم بكثرة وبسالة ودامت الحرب قائمة سحابة ذلك النهار ونصاري الدير يزددون نشاطاً على الفتنك بالدروز وقد ابوا بهم بلا حسناً وردوا كيدهم في نحرهم . . . . مضى ذلك النهار ولم يقدر الدروز على امتلاك البلدة ولا اخراج اهلها منها الا انهم استولوا على قسم من الجانب القريب من مساكنهم بيوتهم متفرقة واغاب رجاله غائبون

وهجم الشيخ عباس بن ناصيف بك ابي نكد على محلة الكنائس لعله ان العادة في حدوث الفتنة ان يتركض الاهالي باموالهم الى الكنائس ورام مع رجاله ان يغتصب بابها ولكن النصاري اصلوه نارا حامية واصابوا منه مقتلاً فوقع عن جواده قتيلاً وفر رجاله من امام النصاري الذين ظلوا يعملون بهم الى ان ارجعهم الى مراكزهم وفي ثاني الالام هجم ثلثائة درزي على كنيسة مار الياس للروم الكاثوليك وتصدى لردم عنها ثمانية وافلحوا ومن هؤلاء روفائيل مشافة ونقولا جبور صوصة الذي قيل انه القاتل للشيخ عباس في حادثة الامس وسوام من اهل المحلة فتقدم الثانية بقلب واحد واصلوا الفرقة الهاجمة نارا اكلة حتى ارغمهم على النقمرة وخرجوا في اثرهم الى الجبانة وهناك اصيب نقولا جبور بطلق من وراء ومثله اصيب روفائيل مشافة وبعد وصول جبور الى بيته قضى نحيبه والطاق عليهم كان في بيت بالقرب من الجبانة من دروز بعقلين عند ما شاهد انهزام فرقة كبيرة العدد من وجه بضعة من الرجال هزته الحمية فرمى نقولا جبور واصاب منه مقتلاً ولحق بروفائيل مشافة العطب ولكنه شفي من جراحه وهجم الشيخ قاسم القاضي برجاله على احدى الكنائس واقى نحيبه وذهب عدد كبير



من رجاله طعاماً لنار حمامها البواسل  
وكان شأن الدروز عند ما ينتهبون بيتاً ويستولون على موجوداته انهم يلقون به النار  
فاحرقوا بيوتاً عديدة وكان اكثر النصارى نكبة بيت مشافة لما اشتهر عنه ان فيه  
مالاً طائلاً وموجودات ثمينة فتردد اليه الدروز وسلبوا ما وصلت اليه ايديهم ولما  
ابقنوا يخلوه من المتاع احرقوه  
وكان من قواد الدروز انهم قبل الهجوم اوقفوا رجالاً على الطرقات ليقطعوا المواصلات  
بين اهالي الديرو وبين من تدفعه الحمية الى نجاتهم وقد افلحوا بذلك لان نصارى  
الباروك اقبلوا الى نجدة اخوانهم وعند ما وصلوا الى بيت الدين وشاهدوا حامية الدروز  
محيطه بالمدينة رجعوا على اعقابهم بالرغم عن تحريض قائد السجاء ابراهيم صقر لهم  
وحثهم على الهجوم ولما لم ير منهم اقداماً تركهم وشأنهم ولقد قدم الى الامام ومعه اولاد  
عمه فاخترق صفوف الرجال وكانت الدروز تطلق عليه النار من الخارج واهالي الديرو  
من الداخل ظنوا منهم انه خصمهم . وظل هاجماً واحداث ضجة عظيمة ولم ينته من  
التقدم مالا فاه من العقبات ولما اقترب من الديرانين رفع لهم علامة عرفوه منها فحولوا  
رصاصهم عنه وصوبوه على خصمهم وتم له ودخل المدينة مع اولاد عمه وكلهم سالمون  
وقبل وصوله كان الشيخ حمود قد استولى على حارة الصيادنة وتركها ملأها للنار وتقدم  
منها الى بيت بطرس الجاويش . وكان داخل البيت ثمانية عشر مقاتلاً فاقام على حصاره  
وتكاثرت الدروز حولي البيت وبلغ عددهم خمسمائة تحارب وشددوا عليه الحصار فدفعهم  
الجاويش برجاله وبينما هو في اشد الضيق بلاقي هجمات الدروز يسالة غريبة وصل اليه  
ابراهيم صقر واولاد عمه لنجدة ودخلوا عليه من الباب الخلفي وبرزوا مع المدافعين  
واستأنفوا القتال واخيراً امشقت سيفه وخرج اليهم وتبعه اولاد عمه واقتدى به بقية  
الرجال واعملوا سيوفهم برقاب الدروز حتى ابعدهم عن الحارة  
واقبل ثالث الايام والحرب سجالاً اما حارة الخندق شرقي البلدة فلم يتمكن  
الدروز من الوصول اليها لتلاصق بيوتها وبعدها عن حارة الدروز  
وفي اليوم الرابع من الحادثة وصل الى الديرو السيد عبد الفتاح الاسكندري من  
قبل والي صيدا ففض جماهير الدروز وعاد يصحبه الامير وكثير من رجاله من  
نصارى الديرو  
وانجحت الحادثة عن مائة وتسعة قتلى من النصارى وعدد كبير من الدروز

بالرغم عن نكتهم وثلاثة عشر من المشايخ وما دفن النصارى قتيلاً منهم الا ولقوا بالجبانة عدداً جديداً من قتلى الدروز ولا عجب من كثرة قتلى الدروز لانهم كانوا مهاجمين والنصارى مدافعين والتعرض الذي يلاقيه المهاجم غير ما يلاقيه المدافع وبلغ عدد قتلى الدروز ما ينيف عن خمس مائة رجل

ولما ظهر للنصارى غدر مشايخ الدروز بهم في هذه الحادثة تفروا منهم نفوراً تاماً وطلبوا من الوزير حاكماً عليهم من قبله ورفع سلطة المشايخ عنهم فاجابهم الى ذلك لان هذا ما كان يرغب فيه ولولاه لما كان الاتراك يختمون العرضحالات ظعننا على امراء الجبل ويحضون اهلهم على الفتن

### الفصل السابع والثلاثون والمائة

في حادثة زحلة

وبعد مضي شهر كامل على حادثة دير القمر اجتمع الدروز ثانية وتأهبوا للاجهاز على نصارى زحلة فانضم اليهم شبلي اغا العربان بفرسانه الذين تحت قيادته المحافظة على ارواح واموال الرعية وتقدموا بعد ان اكتملت معداتهم الى مدينة زحلة واشهروا قتالاً شديداً ولكن اهالي زحلة كانوا على استعداد مثلهم فردوهم وفتكوا بهم فتكاً زريعاً واصيب شبلي برمية كادت تذهب بروحه فرجعت الدروز عن زحله بالفشل وبعد الحادثة شرعت اهالي المدينة في اقامة المتاريس والحصون واعداد معدات الدفاع ولكن الدولة امرت بهدم ما بنوه مدعية ان ذلك حيلة في شأنها وكان عدد المهاجمين على زحلة من الاتراك خمس مائة رجل نجدة للدولة فتأمل

### الفصل الثامن والثلاثون والمائة

في حادثة جزين

رات الدولة ايد الله شوكتها بعد الحوادث المار ذكرها ان تزيد عنايتها في السهر



على راحة الاهالي فارسلت مصطفى بك بفرقة كبيرة من جنودها المنظمة يجعل في البلاد  
الراحة وبلقي بين الاهالي سلاما وفي وصوله ظهر ميله الى تحقيق امانتي الدولة فيه فصار  
يامر وينهي وبعدهم من النصاري كل من عرف له مكانة وكأنت الدروز طمعوا  
برضى الدولة منهم فاشهر جماعة منهم من سكان الشوف الحيطي العداء على نصاري  
اقليم جزين وهجموا عليهم وقد احسن النصاري الدفاع عن كرامتهم وتغلبوا على  
خصمهم بقيادة بطلم الشجاع ابي ممر غانم من بكاسين وردوهم على اعقابهم والحقوا  
بهم رصاصهم حتى ادخلوهم بيوتهم في عماطور وكان ابو ممر ينوي اللحاق بهم الى النهاية  
ولكن محل عزمه وصول فرقة من الجند المنظم الذي كان مقيماً بالمختارة فرجع برجاله ولم يشاء  
مقاومة الجند انما قائد الفرقة التي القبض على اربعين رجلاً من اهالي جزين وارسلهم  
الى بيروت عند الوزير لتجري محاكمتهم وبعد مدة من وصولهم اطلق مراحهم لانهم  
لم يشوورا الا بامر الدولة وتحريرهم عما لها بسوريا والي صيدا ووالي الشام بامر من صهر  
السلطان الذي قدم من الامتانة بهذه المهمة لذبح العبيد المارقين بزعمه كما مر بك

### الفصل التاسع والثلاثون وللمائة في تعيين عمر باشا حاكماً عاماً على لبنان



عمر باشا

ارسلت الدولة الى لبنان عمر باشا وهو غساي الاصل اعتنق الاسلام وتقلب  
بوظائف الدولة وكان نزيها شجاعا وعقب وصوله الى الجبل سكنت الاحوال وراقت  
مما لبنان بالرغم عن الاعاصير والزوايع التي كانت تهدده والتي القبض على اهل الزعامة من  
الدروز وارسلهم بالقيود الى الوالي ليؤم الناس ان الدولة بريئة من الحوادث لانافة  
لها فيها ولا جمل ولكن بدس هذا الزعم عدم صدور حكمها على واحد من المذنبين وعلى  
اثر ارسال اهل العصابة من الدروز الى بيروت اجتمعوا اتباعهم وهجموا على عمر باشا  
وهو في سراي بيت الدين وقطعوا الماء عنه فخرج اليهم وتهددهم بالعقاب الصارم فرجعوا  
عنه الى الشوف الحيطي وحضر اليهم شبلي العريان يجنده المنظم وتقدموا الى السمسكانية  
وهم في الطريق التقوا بفرقة من عسكر الارناؤوط فادما الى عمر باشا ليرسلها الى تاديبهم  
ولما ادركوا غرض قدوم هؤلاء الى بيت الدين اصلوهم نارا فارتدت عليهم العساكر  
بالقرب من ضفة نهر الحمام وهزمتهم وظلت متقدمة الى ان وصلت الى عمر باشا الذي  
قام لساعته ولحق بهم وهم نازلون في السمسكانية وهناك اشتبك القتال بينهم  
وكان مع الدروز شبلي العريان وباقل من ساعة هزمهم عمر باشا وولوا الادبار  
وكان نزاهة عمر وعدالته لم تطابق ماؤرب الدولة فنزلته عن لبنان وقسمت  
الجبل الى قسمين شمالا وجنوبا والحد الفاصل بينهما طريق الشام وعينت على القسم  
الشمال الماهول بالثف درزي فقط حاكما مسيحيا وعلى القسم الجنوبي الذي خمسة  
وسبعون بالمائة من سكانه نصارى والباقي دروز حاكما درزيا وابقت مدينة دير القمر  
مستثناء حسب طلب اهاليها فظل حاكما ياتمر بامر والي الولاية

### الفصل الاربعون والمائة

#### في حادثة حاصبيا

في سنة ١٨٤٥ أرسل والي الشام محمد باشا قبر صلي اعلاما الى دروز حاصبيا  
وحضهم على قتال النصارى ومدهم بالسلاح والذخيرة واوعز الى دروز حوران  
ان يقدموا على مساعدتهم ومثل ذلك سال مسامي البفاع ان يعضدوهم على نصارى  
حاصبيا وفي اوائل الحركة وقبل نضوجها قر رأي النصارى في تلك المدينة على تركها



والقدوم الى زحلة هرباً من القتال وجباً بالسلام فقاموا عنها مثقلين بالاحمال وقام معهم الامير بشير شقيق الامير سعد الدين وفي وصولهم الى راشيا خرج عليهم الدروز وباشروهم القتال وكان قتال المسيحيين دفاعاً لان عيالهم واولادهم وموجوداتهم من الامتعة ارغمتهم على اتخاذ جانب الدفاع فدافعوا طافتهم والامير اجهد نفسه بالدفاع ولم يفلحوا وانقض عليهم الدروز انقضاض الباشق على طير صغير او الاسد على فريسته وسلبوهم وفتكوا بمظلمهم ومنهم من ولّى الادبار والتجأ بمسلي البقاع فكان نصيبهم نصيب من تركوهم وراءهم القتل والمذاب الموت ومنهم من فضل الرجوع الى حاصبيا فاستقبلهم الدروز فيها والحقوهم بقتلاهم وفريق ظل مع الامير وجدوا المسير الى زحلة فواصلوها سالمين وبعد ايام ارسلت حكومة الشام تطلب الامير بشيراً فتقدم اليها وعينته حاكماً على حاصبيا لكنها لم تسمح له بمعاينة المعتدين وزعماء الفتنة وهذه المعاملة بعدم معاقبة المذنبين من دروز لبنان برهنت على ان للدولة يد في هذه الحوادث

### الفصل الحادي والاربعون والمائة

#### في ثورة دروز حوران

في سنة ١٨٥١ امتنعت دروز حوران عن دفع الخراج لوالي الشام كالعادة فقام محمد باشا بفرقة من الجنود لاختصاصهم واجبارهم على تقديم المفروض عليهم ولكنه رجع بالفشل والخيبة بعد معركة طالت بضع ساعات ولولا القليل كانوا فتكوا به واستولى الدروز على الذخيرة والمدافع ورجع الباشا الى الشام وجنوده افراداً وازواجا وبعد مدة توسط المسترودود فارجعوا الى الحكومة مسلوبات عساكرها

### الفصل الثاني والاربعون والمائة

#### في مقاصد الدولة والدول

لما كان غرضنا بيان اصل جرثومة المذابح وما فعلته الدولة من ايقاد نيران التتن وايقار صدور رعاياها من دروز ومسلمين على النصارى المستغلين بظلمها - اضطررنا



ان نرجع بالفارى الى المعاهدة المتفق عليها بين الدولة التركية والدولة الافرنسية لما لها من العلاقة المهمة في موضوعنا الآن. بعد ان تبوأ نابليون الثالث عرش فرنسا بحث في المعاهدات الدولية القديمة فوجد المعاهدة التي تخول لدولة فرنسا الحق بحماية مسيحي الشرق التابعين للكنيسة رومية ومصادق عليها من سلاطين الاتراك القدماء فطلب من الدولة التركية تجديد حمايتها. واورنة لبنان واعترفت له الدولة بذلك الحق اعترافاً مبهماً وجددت له المعاهدة والحماية. وفي سنة ١٨٥٤ علم بهذه المعاهدة قيصر الروس بولس الثاني فرام الغاها لانه كان يريد الحط من منزلة نابليون الثالث لاسباب لا نسترسل بذكرها واخذ يسعى لدى الدولة بالغاء تلك المعاهدة ولم يفلح

ولما لم ينجح في اسقاط حقوق فرنسا في الشرق عموماً وسورياً خاصة طلب منها ان تخوله حق حماية نصارى الشرق من الروم الارثوذكس فلم تجبه على طلبه مع ان قيصر الروس كان على جانب عظيم من الابهة وعلو الشأن وكان يرى تضعف الدولة التركية وضعفها وقرب زوالها ورأى ان دول اوربا مشغلة عنه بنفسها ورأى ما كان عليه من قوة الجيش واشتغال الدول بهام شؤونها وضعف دولة بني عثمان ان الوقت لا كساحها قد آن وميعاد ضمها الى مملكته وتنفيذ وصية بطرس الكبير سلفه اقرب. وحتى يجعل له سبيلاً لمقاتلتها اخذ يكرر طلبه منها حقوقه حماية روم الشرق ابتداء بدولة فرنسا ومن طبع الدولة التركية المماثلة. فاخذت تماطله وهو يتأهب ويعيد طلبه حتى اكتملت معدات الحرب من تاهيب الجند وتحضير السفن الحربية وكانت دولة الانكاز وفرنسا تفضلان الاتراك على الروس وتعدان الدولة التركية بمساعدتها لانهما انتهتا الى الخطر المحدث بدول اوربا اذا استولت دولة الروس على الامانة لذلك صممتا على قتال روسيا لا دفاعاً عن الاتراك بل حفظاً لاوربا من خطر روسيا عليها

وفيا كان قيصر الروس يطالب بحقوقه في حماية بني مذهبه في الشرق والدولة تماطله على جاري العادة هجم الاسطول الروسي في بحر الاسود على الاسطول التركي وحطمه وكان ذلك كافياً لاشهار الحرب بين الدولتين وعند ذلك زحفت الجيوش الروسية وتقدمت الى الامتانة وكان لها من النصر ما ذكره التاريخ ولا حاجة الى اعادته انما نذكر ان الدول ادركت دنو الخطر لانها ايقنت ان روسيا الظافرة — فاشتركت كلها على مقاتلتها وطالت تلك الحرب ثلاث سنوات كان النصر فيها حليف الروس من البداية الى النهاية غير ان مداخلة الدول اضطرت روسيا الى ارجاع ما امتلكته واعادت دولة بني عثمان



الى الوجود بعد ان كاد يقضى عليها ودفعت دولة الانكليز اكلاف الحرب وحصلت الدولة الروسية على مطالبيها وامتيازات فوقها مثل اجبارها الدولة التركية على مساواة حقوق النصارى بالمسلمين بعد ان كانت الدولة التركية تدعوهم عبيد آفقت هذه الشروط ولكنها لم تبرزها الى الوجود بل كانت تؤجل العمل بها والدول تلح عليها في انجازها وكثرت تشكيات فواصلها من سوء تصرف الانراك مع النصارى خصوصاً بسوريا وعند ذلك رأت الدولة الافضل لها ان تفرض هذه الفئة من رعاياها وتربح نفسها من مضايقة الدول لها لاجلهم . وعلى هذا الراي اتحدت من رجالها الصادقين صادق افندي وارسلته الى سوريا لزرع جراثيم الفتنة واثارة الدروز والاسلام على النصارى وفرضهم ولم تتجاسر على اظهار غايتها او العمل بها راساً خوفاً من قيام الدول عليها بل عملت عمل نيلاطس البنطلي حيث غسل يديه من دم المسيح بعد ان امر بقتله

### الفصل الثالث والاربعون والمائة

#### في وصول صادق افندي الى الشام

قدم صادق افندي الى الشام في اواخر سنة ١٨٥٩ مرسلًا من قبل الدولة لزرع بذور الشقاق بين الاهالي وكان مشهورًا في عالم السياسة وله فيها القدر المثل في بيروت ثم حضر الى الشام وعين احمد باشا المشير الشاهاني والبايعي ولاية الشام وشرع في انجاز مهمته وكان كثير الاجتماع بمشايخ الدروز والمسلمين المتعصبين وكانت المشايخ تحصل على وعود باهظة اسمها انهم لا يقاصون على فتكهم بالنصارى وان اتقوا ما عهد اليهم من التثكيل وفرض الكثرة بنالون المراتب العالية وغير ذلك من المواعيد . ولم تنطل هذه الحركة على العاقل المتبصر فبات من لحظ هذه الشرارة يتربح تأثيرها بقلب واجف وقد تبين ان جل مهمته محصورة في هذه الفئة التي تزوره ويكثر من الاجتماع بها دون سواها من بقية الاهالي وحيث قام عن سوريا في قضائها وقبل ان يعود الى الاسنانة وردت اليه تعليمات من الدولة تشير عليه ان بوصي الوالي بحفظ المبادي التي زرعها ومساعدة البذور على النمو وبعد تركه الشام انقلبت سياسة الوالي مع النصارى بطنًا لظهر وذلك مما يؤكده انه تاتي اواخر جديدة من صادق افندي لم يكن يعلم بها من قبل ولا خطر له



العمل بموجبها فقط

وبعد قيام صادق افندي من سوريا حدث في جوها بروج ورعود اكد ظهورها انها طلائع حرب هائلة ومجازر ليس بعدها مجازر وبدأت غيوم العداء تتجمع في لبنان الشرقي وتمتد منه الى الغربي حتى شملت فوق حاصبيا ومقاطعة وادي النسيم وامتدت منها للبنان الغربي حتى عمت مقاطعة المتن الغربية من بيروت وخيمنت فوق قرية بيت مري وغيرها

فقام الدروز بتجريض الدولة على يد صادق افندي واستعدوا للحرب واكثروا من التعدي على امراء شهاب حكام راشيا وحاصبيا منذ القديم وقتلوا عدداً من اتباعهم ونهبوا املاكهم وغير ذلك من التفرش ولا نعيد التنبيه لخبيلة القاري ان الدولة دفعت الدروز لذلك وكان تعديهم هذا افتتاحاً للفتنة ليحملوا المسيحيين على دفعهم وردة القوة بالقوة لان الحكومة لم تكن تنصفهم ولا تقتص لهم من مضطهدتهم

فقتل رعا الدروز بضعة عشر رجلاً في اقل من شهرين فاكثر المسيحيون التشكي للحكومة ولا حياة لمن تنادي وكان خورشيد باشا والي ايلة صيدا يدفع الدروز بامر الدولة ويحثهم على الفتك بالنصارى ويمدهم بمعدات الحرب من ثكنات الجند

وبينا الامور على ذلك والناس واجسة خائفة هجمت شراذم الدروز على قرية بيت مري في ٣٠ آب سنة ١٨٥٩ واشهروا على اهلها الحرب وبيت مري قرية بالقرب من بيروت تبعد عنها مسافة ستة اميال فقط ولو صاح الرجل منها لخورشيد باشا والي لسمعه ومع ذلك لم يسمع حتى فرقة البنادق وصليل السيوف وكان جمهور من الدروز يسكن بيت مري مع اهلها النصارى

فاتخذ الدروز مع ابنا دينهم المهاجرين على جيرانهم المسيحيين واشتد صعبير الحرب فدفعهم النصارى واحسنوا الدفاع وبعد ساعات قليلة اجلوا الدروز عن القرية وهزمهم شر هزيمة فولى الدروز منهزمين بعد ان تركوا في ساحة الحرب عدداً كبيراً من القتلى رغمًا عن كثرة عددهم وقلة عدد مدافعهم واتسع الخرق وتقدم يوسف عبدالمالك احد مشايخ الدروز برجاله فسلب واحرق ثلاث قرى مسيحية وقتل بعض رجالها

ولما وصل الامر لهذا الحد نهض خورشيد باشا من بيروت بفرقة من الجند وكانت معدات المذبحة لم تتم بعد فغمر الدروز للسكينة ريثا تم المعدات وبأ تي لنصرتهم اخوانهم من



حوران ووادي النيم وغيرها من الاصقاع الآلة بالدروز فأخذ الدروز للسكينة وموعدهم  
فصل الربيع المقبل من سنة الاهوال

### الفصل الرابع والاربعون والمائة

في سنة الاهوال والاستعداد

وبعد حادثة بيت مري الاولى تجرك المسلمون في مدن وقرى سوريا يريدون  
الفتك بالنصارى على جاري عاداتهم لانه كان يميز عليهم ان يروا قوما كانوا  
بالامس بدعوتهم عبيداً ويسترقونهم واليوم اصبحوا احراراً نظيرهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم  
بفضل حرب القرم واكره الروس الانراك على اعتناق النصراني واعتباره حراً كالمسلم  
امام الشريعة . وكان ذلك ياباه المسلمون ويتربصون فرصة ليقفوا بهم لانه عز عليهم  
ان يروا العبد حراً

فتقاطر اشياخ الدروز الى بيروت وقضوا فصل الشتاء بها ضيوفاً على خورشيد باشا  
وهو يولي عليهم كيفية قضاء المهمة وذبح القطيع او العبيد كما كان يعرف الانراك لقب  
النصارى

وفي اول فصل الربيع من سنة ١٨٦٠ هـ مشايخ الدروز الى اوطانهم وبدأوا  
باعداد معداتهم وحشدوا عصائبهم وبدت وفود الدروز من وادي النيم وحوران وغيرها  
تقد على المختارة مركز آل جنبلاط مشايخ الطبقة الاولى من الدروز  
وفي شهر نيسان من تلك السنة ورد أمر الى خورشيد باشا من السلطان باعدام  
المسيحيين وبأمره باطلاق ايدي الاوباش وذبح النصارى عن آخرهم . وللحال اشتتر  
الامر في بيروت وعلم القوم واشتد خوفهم وايقنوا بدنو الاجل  
وللحال ارسل خورشيد باشا بالامر الى سعيد بك جنبلاط واعلمه بفرمان السلطان  
المرسل للدروز والمسلمين بأمرهم بالفتك بالمسيحيين وقطاع دارهم والح عليه ان يصدر  
بالامر ويأمر المذابح

وما بلغ جنبلاط بك الامر حتى بث رجاله لايصاله لمشايخ الدروز الآخرين وأمرهم  
بالمهجوم على النصارى فتقدمت شرذمة من الدروز وقتلت بضعة عشر شخصاً من النصارى  
في الطرقات ثم لدير عميق وقتلوا رئيسه وهو على فراشه وبضعة من خدام الدير ونهبوه .

ثم حدث لهم مناوشة بقلب دير القمر فقتل منهم جماعة وعادوا مخذولين  
أما سعيد بك جنبلاط لما كان عالماً بالامر السلطاني العالي باعدام المسيحيين عن  
اخرهم قدم الى بيت الدين وطلب مقابلة مطران الكاثوليك وجبرائيل مشافه واخيه روفائيل  
وبضعة غيرهم من اصدقائه واخذهم معه الى المختارة  
أما روفائيل مشافه أب راجعاً الى دير القمر على نية ان يرحل عنها الى بيروت  
لعبد ولده خليل الذي كان ترجمانا مقيماً لفنصل الانكليز بها — ولكن طاهر باشا الذي  
كان مقيماً في الدير ومعه فرقة من الجند الشاهاني للحفاظ ( كما تدعي الدولة ) صدّه  
عن الخروج من المدينة كما منع سواه من الذين طلبوا المهاجرة من تلك البلدة النعمية التي  
اصبحت نقطة لمذبحة هائلة

وكانت مشايخ الدروز تجتمع بطاهر باشا وتناقى الاوامر الشاهانية منه فكتب روفائيل  
مشافه لستيفه ابراهيم في بيروت بما وقع له مع طاهر باشا وهذا اطلع الفنصل على الخبر  
وفي الحال ارسل الفنصل الى بشير بك ابي زكند وطلب منه مساعدة روفائيل  
على الخروج من دير القمر ووصوله الى بيروت وبعد محاطلة وتكرير طلب تمكن روفائيل  
من البلوغ الى بيروت بغياله

وكتب الفنصل يومئذ سعيد بك جنبلاط بجبرائيل مشافه . وكان يقال عن البيك  
المشار اليه انه نزيه ولا حاجة الى توصيته ولو امكنه منع القلاقل على الاطلاق  
لكن ضحى كل ثمين على منعها ولكن اذا كانت الدولة تبغي احداث الفتنه والفلك برعاياها  
ماذا تفيد استقامة الفرد . وكثيرون مثل سعيد بك يودون الوثني والوثنام عن  
المذاكية والخصام

### الفصل الخامس والاربعون والمائة

مجزرة دير القمر وجزين في اول حزيران الى ٢١ منه

كان من طاهر باشا انه ارغم نصارى دير القمر على تسليم ملاحهم له وعقباً اولوا الخصاص  
من اوامره لان عساكر الدولة كانت منتشرة في المدينة تنزع السلاح منهم وجماعه  
الدروز رابضة على الطرقات تمنع عليهم الخروج منها لذلك لم يقدر الديرانيون على



رفض اوامر طاهر باشا فجمعوا سلاحهم وسلموه اياه غير ان المطران ومن كان معه من  
النصارى في بيت سعيد بك جن بلاط تمكنوا من اقيام عن تلك البقعة الى صيدا . وبعد  
ان فرغ طاهر باشا من جمع السلاح سمح للدروز بالمحجوم على المدينة فدخلوها واعملوا  
سيوفهم في رقاب الاهالي وكانوا يذبحونهم ذبح العاج وطلبت النصارى الالتجاء الى  
السراي فصددهم الجند وساعد الدروز على التكيل بهم بدون شفقة ولا رحمة ولو انهم استجاروا  
بعدوهم الدروزي ربما وجدوا بقلبه نوعاً من الرحمة والحنان ولكن الاتراك ابت نفوسهم  
ان يكون لها هذا الحنان

فسالت دماء الابرار انهرت في شوارع المدينة ودامت الحال ثلاثة ايام متوالية لم  
ينج من النصارى الا عدد قليل . ومن كان له صديق من الدروز مخلص دافع عنه او  
سعى بنجاته وفي نهاية المجزرة نهب الجزارون البيوت ولم يتركوا فيها غير الذي شاؤوا  
ان يكون مطعماً للنار فاحرقوا مساكن النصارى ولم يتركوا منها مسكناً واصبحت تلك  
الحلة بما كان فيها من السكان قاعاً صفصفاً تنعق في فضاها اليوم والغربان . كل ذلك  
حدث ووالي صيدا مقيم بعساكره في الحزمية لم يظهر اكثر انما كانه قدم من عالم آخر لا  
علاقة له بعالم الديار وحوادثه مع انه علم بما جرياته الاولى وربما كان عالماً به من  
قبل وله ضلع بجمع السلاح الى آخر ما هنالك من التحضير والتأهب بامره

الا ان قناصل الدول تقدموا اليه وشدوا عليه بالقدوم الى الديار والذب عن النصارى  
وكان بإمكانه قطع المسافة ببضع ساعات لو شاء المدافعة عن غنم المسيح لكنه جعل  
مسيره بكل بطء فلم يبلغ محل المجزرة الا بثلاثة ايام كانه اراد ان يفسح للدروز  
مجالاً للفتك وفي وصوله وجد بيت الجاويش لم يزل قائماً والدروز يقيمون على حصاره  
والقارى ينتظرونه المدافعة عن البيت ومسكانه وارجاع الدروز عنه فهو لم يفعل من  
ذلك شيئاً بل ظل واقفاً يشاهد بطش الدروز بما كان في داخله من النفوس حتى اذا  
ابادوها التفوا في جوانبه النار وعاد شملة فرماداً

ولم يصدر امره بالامان حتى اكذب برأى عينه ان جميع الاهالي مفروشة  
على الحضيض جنباً هامدة عند ذلك لعل المادي بصوته بالامان ولم يبق حياً حتى  
يسمع مناداته سوى النساء المولولات على فقد رجالهن واولادهن واصبحن نائبات لا  
ثياب تجال حرمتهم ولا قوت بسد جوعهن . نعم بالبراري وطفن على المدن والقري  
المجاورة نائبات نائحات من اصابعهن من الويل والعسف والجور ودرن على البيوت



متسولات بحالة تدمي الفواد

ولم يكف الدروز عن الحرب حتى اكذبوا انهم غدروا بكل حي ونهبوا كل متاع ذات قيمة

اما الجنود التركية فارثكت المنكر كعادتها واستباححت المحرمات وهناك العرض ومن شب على خلق مات عليه وبلغ عدد قتلى مذبحة الدبر ما يقارب ألفي نفس من رجال بالغين ونساء واطفال رضع

وقام الدروز من دير القمر ومن بوابة بيروت وما في طريقهم الى الشام كانوا يفتكون بمن تصدى لهم من الاحياء او عثروا عليه من المتاع

والتقوا بالامير بشير القاسم في طريقه الى منزله وقتلوه ولدى وصولهم الى جزين اعملوا سيوفهم بالاهالي ونهبوا ما وصلت اليه يدهم وازاحوهم عن وطنهم وحدث انه قدر لواحد من النصاري النجاة والفرار الى قرية جباغ في بلاد الشقيف ونزل على الشيخ عبد الله ضفحة فاغاثه وكان لهذا الشيخ منزلة رفيعة عند الشيعيين لتضامه بالعلوم ولحسن سيرته ومسيرته الا ان درزيًا تتبع اثر المستغيث حتى وصل الى باب الشيخ وعند ذلك قامت قيامة المتاوله عليه وعلى رفاقه ونهبوا نهضة واحدة لمقاومة الدروز اذا لم يراعوا حرمة شيخهم الجليل . وكان من الوزير لما علم بما وصلت اليه حالة المتاوله والدروز انه امرع اليهم ووصل الى الشقيف في ثاني الايام مع ان المسافة عن بيروت اضعاف المسافة من بيروت الى دير القمر ولو سار على معدل مسيره ذاك لما كان وصل الى بلاد الشقيف باقل من اسبوع فتأمل كيف ان الانسان آفة غايته . وفي وصوله منع المتاوله من الهجوم على الدروز واصلح بينهم

## الفصل السادس والاربعون والمائة

في مذبحة حاصبيا

من يوم الجمعة ٢٤ ايار الى اول حزيران سنة ١٨٦٠ في خلال هذه الحوادث استعفى الامير سعد الدين من حكومة حاصبيا وعين والي الشام ولده الامير احمد خلفا له وكان احمد باشا والي الشام يظهر للامير سعد الدين كل تودد واعتبار ويخاطبه كما كان يخاطب والده



فارسل اليه امراً يستحثه للحضور الى حاصبيا وجمع نواقي الخراج من الدروز وارسل فرقة من العساكر لشد ازره ولما علم الدكتور مشافة بعزم الامير على القيام اجابة لطلب الوالي منه اشار عليه بعدم الذهاب واعفاء نفسه من هذه الورطة لانه رأى من طالع الحال الخطر عليه من ثورة الدروز ولا يبعد ان يفتكوا به فاعتذر الامير اولاً وثانياً عن عدم امكانه للذهاب ولكن الوالي اصر على كلامه وكرر طلبه فقام الامير بالجنود من الشام الى حاصبيا ونزل في مركزه

وبعد وصوله طلب من الدروز البواقي للحكومة وكان هذا الطلب كافياً لاثارتهم عليه فتألب دروز راشيا واقليم البلان مع دروز حاصبيا وتجدل شمس من شعراء الحولة المشهورين بالشدّة والاقدام ونزلوا بالقرب من حاصبيا بقرية شوبا وعنيقة . ولما اكتمل عددهم هجموا على البلدة ولم يلاقوا مقاومة عنيفة من النصاري لفلة عددهم غير ان عدد مخلي الطرفين كانت متساوية مع وجود هذا التفاوت . وبعد ساعات تراجع النصاري وتحصنوا في بيوتهم ولحقهم الدروز وفتكوا بهم واحرقوا مساكنهم فامر الامير قائد الجنود بالم هجوم على العصاة بعساكرهم وردم عن بيوت الاهالي فتردد بالمجاوبة على طلب الامير واخيراً تظاهر بالم هجوم ولكنه لم يطاق ولا ابر الجنود باصابة الرماية وكان معه مدفع ادعى تعطيله بعد ظلي واحد في الفضاء . والآنكى من ذلك انه لما رأى الدروز لا يتجاسرون على الدنو من السراي خوفاً من حاميتها المعززة بالسلاح عمل على ازالة هذا الحاجز فطلب من الحامية سلاحها وتعيد بارجاع الدروز عن المدينة فلم يسع اولئك الا البطل الا الامثال خوفاً من انهم اذا رفضوا طلبه يتخذ بعساكره مع الدروز عليهم وبعد ان جمع سلاحهم تظاهر بارساله الى الشام والحقيقة انه صار تسليحه الى الدروز ولما لم يبق ريب عند النصاري في اتحاد الجنود مع الدروز عليهم طلبوا الفرار ارج عيون وهي على مسافة اربعة اميال عنهم ولكن حال دون خروجهم من السراي العساكر الشاهانية

وكان قناصل الدول يلحون على الوالي كي يرسل الجنود ويفرج عن الاهالي من ضغط الانراك وفساوة الدروز وقر رأي الوالي على ارسال فرقة كبيرة من الاكراد بقيادة احمد بك صاحب الشهامة الذي طلب من الوالي ان يسمح له بضرب الدروز اذا لقي منهم مقاومة في الامثال لاوامره فلم يسمح له بذلك . ولما رأى عدم التساهل في اجبار الدروز على الكف عن النصاري استعفى من القيادة وعند ذلك استقصر الوالي



الشيخ كنج العماد وارسله مع باوره الى حاصبيا وفي اثناء الطريق استغاثه بضع عشرات من النصاري فاغاثهم واحضرهم معه الى المجزرة وفي وصوله الى السراي ومفاوضته مع قائد الجنود التركية قررا بينهما على ترك الدروز ان تدخل على النصاري وتقتلهم وفي ثاني الايام نفخ الجنود عن باب السراي فدخل الدروز وقتلوا كل من كان فيها بعضهم بالرصاص والبعض الآخر بالسيوف والذي كان يفر منهم كانت الجنود ترجعه وتقدمه للذبح . وبعد ان اجهزوا على الرعية صعدوا الى الطابق الاعلى حيث الامير وصهره موجودان وقتلوا الذين استغاثوا الشيخ كنج واغاثهم واحضرهم معه . وقتلوا أربعة من امراء الدروز ذهبوا ضحية الغلط والطياشة ظناً منهم انهم من النصاري ونهبوا المدينة واحدثوا النار في معظم بيوتها وتركوها خراباً ومن جملة قتلاهم الشيخ ابو صلاح الذي اصيب بجرح . وقبل وفاته احضره الى قرية شوية وعالجوه وكان قائد الجنود يزوره ويصف له علاجاً . وعند وفاته اظهر كدره الشديد عليه وخلع على شقيقه ابي صلاح فرواً وعزاه وشاطره الامسى على فقده . ومثل هذه المعاملة والمثاله كثير مما ثبت للملأ اشتراك الدولة في هذه الحوادث التي نرويها لك . وبلغ عدد القتلى ٧٢٤ من المسيحيين و ٤٠ من الدروز وجند الاتراك

### الفصل السابع والاربعون والمائة

في مجزرة راشيا الوادي من ٣ حزيران الى ١٢ منه سنة ١٨٦٠

في ذات النهار الذي جرت به مذبحه حاصبيا بعد ان نزع قائد الجنود من النصاري سلاحهم كما تقدم بفت دروز حوران نصاري راشيا الوادي في بيوتهم وفي السراي وعلى مرأى الجنود التركية وبمساعدهتها اجهزوا على جموعهم وقتلهم مع امراء شهاب ولم ينج منهم سوى اميرين ثم نهبوا بيوتهم وتركوها غاربه خالية . وقيل ان عدداً منهم استغاث باهل الاستقامة من الدروز واغاثهم وردوا عنهم نكبات اخوانهم وبلغ عدد قتلى راشيا الوادي خمسمائة رجل وطفل وامراة



## الفصل الثامن والاربعون والمائة

في اجتماع الدروز علي زحلة من اواخر حزيران الى ٤ تموز سنة ١٨٦٠

لا ريب ان القاريء يذكر حادثة زحلة سنة ١٨٤١ حين هجم الدروز عليها وشاهدوا من اهلها الاحوال وكيف ارتدوا عنها بالفشل والخيبة وكيف ان الالهالي ابقت المتاريس والحصون عتيب الحادثة وامرت الدولة بهدم ما بنوه وغير ذلك مما رويناه في ذلك المقام والذي ترويه الان حدث بعد ان فرغ الدروز من الفلك باهالي راشيا وحاصبيا اذ تحولوا الى شن الغارة على هذه المدينة التي ابقت في قلوبهم غصة فاجتمعوا من كل حدب وناد وتقدموا اليها وقلوبهم واجفة خائفة من شجعانها وعدم استسلامهم الى مواعيد الدولة واعتمادهم على قوتهم الذاتية وكان ما راوه من غدر الجنود التركية باخوانهم في دير القمر وسواها من المدن دعاهم الى اليقظة والمذر لذلك رفضوا مساعدة الدولة لهم ولم يسمحوا للجنود في الدخول منهم فنزلت العساكر الشاهانية خارج المدينة وكانت مختلطة بعد اد الدروز كانوا واياهم على وفاق صريح في مهاجمة العدو ولم تكتف الجنود بهذه المسألة والملاحقة لهم بل كررت طلبها من النصارى وهم داخل المدينة بجمع سلاحهم وارساله لها وكانت اهلالي زحلة اكبر من ان يوخذوا بهذه الخديعة فسخروا بالطلب واحتقروا صغارة الطالب وكان من اسماعيل الاطرش انه وهو في طريقه الى زحلة مر بقربة كناكر وقتل من عثر به من نصارى اقليم البلان الذين كانوا ملتجئين الى الشيخ من سكانها المسلمين وفي وصوله الى زحلة اجتمع بقايد الجنود بدعوة منه واطامه على قدوم بطل لبنان يوسف بك كرم الاهدني برجاله الافوياء لنجدة اخوانهم الزحلاويين وحرضه على الامراع بالمهجوم على المدينة قبل وصول الاهدني ورجال شمال لبنان البواسل واطامه على ان الوالي بذل جهده بصدده عن التقدم ولم يفلح

فاستصوب الاطرش راي القائد وديجم برجاله على المدينة وخرج حماة الخلة اصحاب النفوس الكبيرة الى ملاقات حراهم ورضاصهم وارجعهم عنها مراراً وطال القتال يومين في نهايتهما قفل الدروز راجعين الى الراء واقلعوا عن زحلة مخذولين



الفصل التاسع والاربعون والمائة  
في قدوم يوسف بك كرم الى زحلة



يوسف بك كرم

ولما انتشرت اخبار الحوادث والمذابح وفنك الدروز بالنصارى على السواء ومساعدة الدولة لهم في الممهور وبلغت شمال لبنان نهض يوسف بك كرم الذي اسمه يعني عن بيان مقامه برجال البواسل لنجدة اهالي الجنوب وفي طريقه مر بكسروان . وهو على مقربة من مار الياس شوييا كانت الدروز قادمة الى ضرب بكفيا بقيادة الشيخ حسين تلحوق وعددهم خمسة عشر الف مقاتل . وعند ما علم الشيخ تلحوق بقدوم بطل لبنان ووجوده في تلك النواحي حول عزمه عن بكفيا فتركها وشأنها كانه ادرك خطارة الموقف واكد ان وراء الاكمة رجالا كوامر ولكنه ارسل اعلم الوزير بعدوله عن مقابلة المدفوع لقتالهم والاسباب التي دعت الى العدول . وعند ما اتصل الخبر بالوزير اسقط بيده وبالخال ارسل تهديدا الى يوسف بك كرم اذا ظل في امطراده . وبالوقت ذاته اعلم قناصل الدول واوغر صدورهم عليه بقوله لهم انه يخشى ان يوسف بك كرم لا يعود يرى امامه



الدروز فقط بل يتحش بالجنود الشاهانية فيوسع الخرق الذي هو صاع به كيف  
انه باذل قصارى جهده في غل ايدي الدروز عن النصارى وعلى مساعه  
بالوقت العاجل

فانطلقت الحيلة على عيون القناصل واخذوا كلامه حجة لا ترد وقرراهم على سوال  
كرم بك العدول عن متابعة سيره الى زحلة فكثبوا له رسالة بذلك وطلبوا منه الرجوع  
الى بلاده وانه اذا تردد عن اجابة طلبهم بلاقي منهم مقاومة ليس من الدولة والدروز  
فقط بل من دولهم

ولدى تلقى كرم هذه الاوامر ادرك ما دبره له الوزير وكيف انه بسعابته حمل  
القناصل الى الاعتقاد بصحة دعواه فاسف لحدوث هذا التلاعب وانطلاتها على عقول  
من كان يقدرهم اكبر من ان تقوى عليهم برقشة الوزير فكثب على الاثر رسالة وارسلها  
الى بيروت عرض بها للقناصل افكاره وما يعلمه من فساد نوايا خورشيد باشا واستشهد  
بمحوادث دير القمر وحاصبيا وراشيا وبرهن لهم ان الوزير يترقب الفرص ويحث الدروز  
على الفتك بالنصارى عموماً وباهالي زحلة خصوصاً وارسل الى الوزير خورشيد باشا  
رسالة هذا نصها . « اني مطلع ايها الوزير على سهرك على راحة الرعية الامر الذي لا  
ينكره عليك احد وكيف ينكر لك الفضل ومذابح دير القمر وغيرها من البلدان بعد ان  
جردت اهلها اخواني النصارى من سلاحهم وزربتهم وساقنهم جنودك الى الذبح الا  
تعلم ايها الوزير اني عالم بصدق خدماتك النبيلة هذه ؟

« الا تذكر رسالتك السابقة الي التي بها تنهددني وتطلب مني العهدة ان لا افوم  
الى نجدة اهالي الجنوب ولو قامت الاحوال وما اكتفيت بذلك كله بل سوت لك  
نفسك الشريفة والنفس امارة بالسوء واوغرت علي صدور مسلمي عكا وطرابلس والضيعة  
وحمص وحرضتهم على العبث بناحية الشمال التي افتخر برجالها لتقيم امامي عشرة وتشغلني  
عن مناصرة الجنوب ورد السوء عن اهاليه الاما جد

« واعلم ان الرجال الذين ردوا غارات اولئك القوم وبددوا جموعهم المقتتلة لم يزلوا  
احياء وهم معي الان فيهمحتهم القعساء وعلو نفوسهم السماء افتحم صفوف الرجال ولو كانت  
بعدد الرمال واقتلع اركان المدافع ولو كانت باعز مكان يقدر ان يتصوره الانسان نعم  
ان لا رابطة سياسية تعلقني بالجنوب ولكن رابطة الوطن والمذهب وحب الفضيلة وقطع  
الفساد كل هذه الروابط وواحدة منها تفوق الاولى تدفعني الى تضحية نفسي ونفوس



رجالي الاعزاء في الذود عن اهالي الجنوب فتدبر وكن حكيماً  
وبعد ان ارسل الرسالتين رجع بافكاره الى رسالة القناصل له فرأى انه واقع بين  
شرين وكلاهما ذوخطارة ان رفض اوامر القناصل يحقدون عليه وان عمل بموجبها يوخزه  
ضميره على تقاعده عن مساعدة اخوانه وقر رأيه على الطف الشرين واخف الوبالين فانقخب  
من رجاله مائة وخمسين مقاتلاً وارسلهم الى زحلة بقيادة الامير داود مراد وانهى اليهم  
ان يطلعوه على ماجربات الاحوال وان راوا تفاقم الازمة واقترب الخطر على الاهالي  
يقوموا بهم الى بعلبك ومضوا

ولقيت هذه الفرقة الصغيرة كل حفاوة وترحاب من اهالي المدينة واطاعوهم على  
الاسباب التي منعت بطلهم من الوصول اليهم وكيف ان الوزير خدع القناصل باقواله  
المارقة وتغلب على دعم كلامه ببراهين قاطعة

واخر الكلام اشاروا عليهم بالقيام الى بعلبك وهجر المدينة  
فقر رأي الجمهور عندئذ على العمل باشارة البك وبدأوا بالتأهب والاستعداد  
وبعد ايام سيروا النساء والاطفال مع حامية الى بلاد بعلبك وبقي الجانب الاكبر  
منهم بالمدينة ينتظرون ما يأتي به الغد

## الفصل الخمسون والمائة

في مقاصد خورشيد باشا

وصل الى الوزير كتاب يوسف كرم فوقع عليه كالصاعقة على ما فيه من الخشونة  
والحماسة وخاف على نفسه من اطلاع كرم على دسيسته الى القناصل وان ما دبره للرحليين  
من الاحن يذهب ضياعاً اذا لم يسرع في طلق اخر سهم يجمعته وقام لساعته واجتمع  
بالقناصل واعترض على كلام كرم بك اعتراضاً شديداً مفتحاً وكرز وعوده الاولى لهم  
بالمحافظة على راحة الرعية بالسواء وكان كتاب كرم وصل الى القناصل فوقعوا بنجيرة بين  
الاثنين هل يصدقون كلام الوزير ويعمان به ام بكلام يوسف بك كرم وكان المواجهة  
الشخصية اثرت بهم اكثر من الكتابة فركنوا الى مواعيد الوزير وكتبوا الى كرم ثانية ما  
كتبوه اولاً وقالوا له ان علمت بهجوم الدروز على زحلة لك عندئذ ان تقدم الى  
نجدة الاهالي



وفي رجوع خورشيد باشا الى مركزه ارسل الى الدروز اعلمهم بعزم كرم وما يبغيه من المساعدة والدود عن النصارى وحشهم على الهجوم وضرب المدينة ثانية بالقرب العاجل قبل ان تنأكد القناصل فساد العمل ثم كتب الى قائد الجنود ان يساعد الدروز ويمدهم بالرجال والذخيرة ويبطش بكرم ورجاله ان تقدموا الى احباط مسعاهم وبلغ الدروز انه لم يبق لهم من الفرصة لضرب زحلة سوى يوم فان ابطأوا الى اكثر ندمهم قوة الشمال المشهورة

## الفصل الحادي والخمسون والمائة

### في نكبة زحلة

وصل لكرم بك جواب القناصل وفي الوقت ذاته وصل للدروز ولقائد الجنود كتاب الوزير واجتمعوا وقرروا بهم على اعمال الخديعة وفي ثاني الايام ارسل الدروز فرقة منهم الى اسفل زحلة لقتالها فهدم الزحاليون واحسنوا الدفاع وارسلوا فرقة ثانية من الجانب الآخر ونشروا بينها اعلام ويارق شمال لبنان وغير ذلك من الرموز فانخرج بهم اهالي المدينة وظنهم رجال يوسف بك كرم قادمين لتجديدهم فخرجوا لملاقاتهم بالعراضات كما هي العادة وعند ما اقتربوا منهم على مرمى الرصاص شعروا بالخديعة وانجالت لهم الدسيسة حيث اطلق عليهم الدروز رصاصهم وفتكوا بمعظمهم . ولما كانت بنادقهم خالية من الرصاص رجعوا مدحورين الى المدينة وتبعهم الدروز على الاثر ودخلوا ورائهم وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً كما كد نلاهي صدق نبوة كرم بك وقرروا ان يتركوا المدينة ويقوموا مع رجال الشمال الى بعابك لئلا يصيبهم ما اصاب اهالي دير القمر وراشيا وهكذا فعلاوا وعند اخلائهم المدينة دخل الدروز والجنود العثمانية واعملوا سيوفهم بين وجده من المتخلفين ونهبوا ما عثروا عليه وارتكبوا المنكر واهدثوا النار في معظم بيوتها وبعد ان نهز الدروز مهنتهم برحوا المدينة واخلفوا بها العساكر التركية ترتكب الفحشاء وتهتك حرمة العذارى وهجموا على دير الراهبات الذي لم يدم منه الدروز واغتصبوا الراهبات ونهبوا ما عثروا عليه من المتاع فيه وفي بقية الكنائس وقاموا بما امرهم به الوزير احسن قيام



وقد بلغ الخبر مسامع يوسف بك كرم في منتصف الليل فنهض للجال برجاله واسرع في المسير ولم يصل اليها الا صباحاً بعد ان لعبت بها ايدي الدروز وتمتعت بمحصناتها وحوش الجند الشرهة وفي وصوله رجعت تلك النفوس الدنيئة الى معاقها ونظارت بتخفيف المصاب عن الاهالي غير ان هذه المظاهرات لم تنطل على رجال الشمال وبطلها المغوار فتحمسوا بما شاهدوه واخبروه وعولوا على البطش بالقايد وعساكره ولولم يردهم بظلمهم وقد اعتادوا طاعته لما ابقوا منهم مخبراً

فقام الجنود عن المدينة كأنهم راوا حواجة مركزهم وتحولت رجال يوسف بك الى اعانة الاهالي ووردت الاعلام من قناصل الدول الى يوسف بك كرم على تعقب الدروز واظهروا اسفهم لعدم اتخاذهم كلامه ثقة والدروز كانوا تفرقوا بعد انجاز مهمتهم شذرو مذروا بابعاز من الوزير لاذوا بالسكينة بعد ان قتلوا ونهبوا كل ما وقعت يدهم عليه وحادثة زحلة كانت اخر الحوادث اللبنانية وتعد طفيفة بالنسبة لحادثة دبر القمر وحاصبيا حيث رفض اهلها دخول الجنود الى المدينة وابوا ان يسلموا سلاحهم ولم يقتل منهم فوق المائة

وهكذا كانت نكبات لبنان عن يد دولتهم الفضيحة التي ارادت ان تميم منهم عزة النفس والاقدام المشهورين بهما ورات اخضاعهم واذلالهم واضعافهم عن مقاومة رجالها الذين كانت ترسلهم لا يتراز ما لهم وكأنه ساءها ما شاهدته بهم من عزة النفس وحب المدافعة عن حقوقهم فعزمت على فرضهم ولم يكن التركي رحوماً فيشفق ولا شهماً فيبرد المعروف بمثله

## الفصل الثاني والخمسون والمائة

### في مخابرة القناصل دولها

وفي انقضاء نكبة زحلة ايقن القناصل بفساد مقاصد الوزير واكدوا ان له يداً بمحادثات لبنان كلها وانجحت لهم عهوده الباطلة فارسلوا قراراً لدولهم شرحوا فيه حوادث الجبل حادثة حادثة واسبابها ومن هو العامل في اثارها وطلبوا منها الاسراع واعمال التدابير في حفظ حياة من بقي من النصاري في سوريا واطلعوا دولهم على ماقررت الدولة العثمانية سرّاً وهي لم تنزل ساعية الى انجازه وقرارها قرض النصاري عموماً من سوريا ولبنان



لترفع عنها ثقاله مطالبتكم بهم وكيف كانت جنودها تعمد الدروز بكل فرصة سخط لهم . وطلبوا منها التشديد على الدولة وارغامها على ما قرره  
وعند ما وصلت تقارير الفناصل الى مراكزهم وعلمت الدول مقاصد الانراك وعملهم الفظيع طلبوا بلهجة واحدة من الدولة التركية التوقيع على المعاهدة لحماية النصارى واحق هذه الدول في الطلب دولة فرنسا واجتماع الدول على المطالبة بذات الحق لا يراد به الا التحويل ولما كانت الدولة مفضورة على الماطلة رجعت تماطل الدول كماداتها وخافت ان يجبروها على التوقيع قبل ان ينفذ سهمها في قلوب علة هذه المطالبة فارسلت الى امورها عموما والى احمد باشا والى الشام خصوصا وطلبت منهم ان لا يتركوا واسطة الا ويطرفونها لفرض النصارى من بين بقية رعاياها لان وجودهم يقضي مراقبة الدول على اعمالها الجزئية والكلية وذلك مما يحبط بعظمتها ويحول دون استطراد حكمها على رجالها المسلمين

### الفصل الثالث والخمسون والمائة

في التدابير التي اتخذها احمد باشا لمذبحة الشام

فيل ان مذبحة الشام لاعلاقة لها بحدوث لبنان ولا تعزي لها الاسباب التي عزيت لتلك وان من اسبابها الاولى عبث النصارى بالشريعة التي احدثتها الدولة على اثر حرب القريم مكرهة من دولة الروس على وضعها ومفاد الشريعة مساواة الرعايا بالحقوق لمفدية واعفاء النصارى من الخدمة العسكرية وهذه الشريعة على ما فيها من الغبن بحقوق المسلمين كانت الباعث على انشاء الضغائن والاحقاد لما فيها من الممايزة وكانت الدولة تنقاضي النصارى بدلا عن الخدمة العسكرية خمسين ليرة ومن المسلم مائة فهذا التمييز المحسوس حمل النصارى الى المظاهرة ونفخ صدورهم تعنتا وزاد عقولهم تصلا وصاروا يتباهون به وظنوا انهم قبضوا على مفتيح السماء وكان يكفي للمسلمين التعصب الديني والعداء المذهبي لاغارة احقادهم على النصارى فجاءت هذه الشريعة ضغنا على ابالة وقيل : ان الدولة رغبت في وضع هذه الشريعة التي يقال عنها المساواة وهي ليست على شيء منه لتثير خواطر شعبها على النصارى وتجعل لهم سبيلا لبغضهم ومقتهم ولو كان النصارى وقتئذ على شيء من الحكمة لرفضوا اعفاءهم من الخدمة العسكرية التي جردتهم

من الوطنية وابكمت لسانهم عن المطالبة بحقوق جنسيتهم واعدادهم من الدخلاء تلك  
هفوة كبيرة واكبر منها اتخذهم شريعة المساواة غير ماخذها فتجاوزوا بها جزافاً وعبثوا  
بحقوقها المقدسة وضلوا عن الهداية وتناسوا ماضي ايامهم وكيف كانوا يسامون وبعاملون  
من الرعايا المسلمين انواع العذاب واشده من الحطة كاحط واحقر معاملة نالها الرقيق  
بايام رقه وعبوديته

وكان مسلمو دمشق عموماً وسوريا خصوصاً على الاطلاق لا نري بهم اهلية للحرية  
وكانوا يسفون على الدولة التركية عملها الذي قامت به مضطرة عقب حرب القریم كما  
كان بسفه سكان جنوب اميركا دولتهم على تحريرها العبيد الارقاء ببلادهم  
وكثير تدمر المسلمين من الدولة مع التفرع فاجابتهم انها لم تفعل ذلك الا مضطرة  
وبلغ من حقد المتعصبين انهم تأمروا والى الجمعيات السرية يطلبون بها خلع الدولة  
التركية وابدالها بدولة تعيد مجد الاسلام والاسترقاق للمسيحيين وبلغ الانراك امرم  
فاوغروا صدورهم على النصارى ليأثمهم عنهم ويقتلوا من شرهم والله اعلم . ولما وصلت  
تعليمات الدولة للوغد احمد باشا انتبه الى طريقة فراج الدولة من هذه المعضلة وكأنه  
لحظ ان الافكار تهيات وعلى استعداد لبث شكرها الى السيف

فاستحضر وجوه النصارى وطلب منهم دفع ثمن بدل الخدمة العسكرية عن  
عموم اخوانهم وهددهم بالسجن اذا لم يسرعوا بتحضير طلبه ولما لم يكن لهم مقدرة على  
مجاوبته كما يريد اعتذروا له وعند ذلك امر بسجنهم الى ان يتعهدوا له بدفع كل ما  
يطلب للحكومة من نصارى المدينة

وكان يلقي القبض على كل من علم بمقدرة فاشتلات السجن وتعتلات الاشغال  
وعلا صراخ العيال من الجوع والغافة واصبحوا بجالة يرنى لما فذهبوا الى بطريرك الروم  
الارثوذكس ليستغيثوا به واسوء الحظ كان غبطته متغيباً عن الكرسي ولم يكن في البطريرك خفاة  
غير نائبه المطران يوسف اسقف . ولما رأى مضرتهم قدوم الجمهور اليه على تلك الحالة  
داخله الرعب نظراً لجهله عوائد البلاد ولغتها وللحال كتب للوالي وعرض له ان النصارى  
تجمعهم واكصاة وارادوا الايقاع به

وقصده بذلك ان يبرهن للوالي عن حالهم ونقرهم وعدم مقدرتهم حتى على تحصيل  
معاشهم فكيف دفع مطالب الدولة منهم . وغلب عنه ان الحكومة تشاءهم من كلمة  
عصاة وليني عليها القصور العالية لاسيما اذا عنت النصارى وان لها وفقاً سيئاً باذهاب



مسلم المدينة الذين كانوا منتظرين سنوح الفرصة للايقاع بالنصارى لانهم كانوا ينظرون اليهم نظر الحاسد المنتقم المتعصب خصوصاً بعد ما بدا من النصارى على اثر شريعة المساواة المباهاة وعدم الاكتراث بمن حوالهم فشق على المسلمين ان يروا رقيةهم بالامس اصبحت يقاسمهم الحقوق والنوذ بعد ان كان بقبضة يدهم يتصرفون بالهوارثه ويتجرشون بعرضه متى وكيف شاءوا حتى انهم كانوا يطلقون عليه احقر الاسماء التي تدور بمخيلتهم ويحلون بمجالسهم عن ذكره حتى بقلب مركز الحكومة فضلاً عن الشوارع والازقة فجاءت كتابة المطران يوسف الى الوالي عن ثورة النصارى سلاحاً ماضياً بيده على الفتنك بهم فاثار الخواطر ونفخ بصدور رعايا المسلمين روح الفساد فاما ط عنها الضغائن الكامنة ولم يشاء ردع النصارى رأساً فاناط بتاديبهم رعايا المسلمين الذين كانت الحكومة تحشى بطشهم ولا تنجاسر على مطالبتهم بدفع الضرائب وكانت الدولة غير راضية منهم لانتكسار بعض وزرائها وامتناعهم عن اجابة مطالبها ورغبة احمد باشا باثارتهم على النصارى كي يتخلص منهم او من بعضهم فيقل عددهم وتضعف شوكتهم ويصبح اخضاعهم لاوامر الحكومة مكفوفاً فيرد عن دوله الخطر الذي كان يتهدها به مسلمو الشام الذين جاھروا بخلع دولة الانراك عنهم وراسلوا دولة مصر لئلا ينجدهم ولم يفلحوا

### الفصل الرابع الخمسون والمائة

في بؤادر ثورة الشام

وما زاد العائين بلة هو ما كانت باتيه احمد باشا من الاعمال والاستعدادات وذلك انه :

امر بنصب المدافع على ابواب الجامع الاموي واعان ان غرضه من ذلك الاحتراس من غدر النصارى بمن يكون داخله في اوقات الصلاة وغايته ليزيد المسلمين حقدًا وكرهًا للنصارى ويزيح الرماد عن النيران الكامنة بصدورهم . وهل يغفل ان المسلمين الذين هم اصحاب الحكومة ولهم ولاء الجنود ومعداتهم الحربية من مدافع وقلاع وزخيرة ويبلغون نحو ثلاثين الف مقاتل بالمدينة ومائة الف بجوارها يحشون بطش وغدر بضعة آلاف رجل كثيرهم لا يعرفون نقل السلاح ولا يصلحون للقتال ومعظمهم لا يقدم على ذبح ديك او حمامة فيحلمها الى الجزاء هرباً من الوقوع تحت جرم القتال فهل يصدق

العاقل ادعاء احمد باشا بان حياة مائة وثلاثين الف يخطر من ثلاثة آلاف مسيحي  
تسعون بالمائة منهم لا يوجد عندهم قطعة سلاح تصلح للدفاع وان وجد عند بعضهم لا  
يحسنون المدافعة ولا المقاومة

فاحمد باشا كان يفعل ذلك كله ليشير احقاد المسلمين على النصارى وخصوصاً الرعايا  
منهم وهذه المظاهرات لم تجعل تأثيراً على عقول الخاصة ولا انطلقت عليهم انما كانت  
تأثيرها في اشدّه على عقول العامة فتسكروا بها واستعدوا للفتك بالنصارى عند اول  
اشارة تصدر من الوالى الحكيم

وبينما كان النصارى بالحصار منهمكين باشغالهم ومنفردين لاعمالهم في جوار المدينة  
ثار عليهم الدروز والمسلمين معاً وسدوا عليهم الطرقات فوقع عليهم الخوف وتولاهم  
الرب وكثير منهم جاء من امكنة بعيدة فتعذر عليهم الرجوع الى محلاتهم فاضطروا  
للبقاء تحت الخطر المهدق بهم ونصارى المدينة لو تمكنوا من الخروج وترك المدينة لما  
ترددوا لحظة انما آثروا البقاء على القيام لعلمهم ان على الطرقات بلاقوت منهم مع  
ان بقاءهم لم يكن اخف خطراً على حياتهم

## الفصل الخامس والخمسون والمائة

### في احتفال الحكومة لنكبة زحلة

رابع تموز سنة ١٨٦٠

ولما بلغت الحال هذه الدرجة من التفافم والحراجه اجتمع قناصل الدول بدمشق  
واعترضوا على الوالى لعدم اكترائه لما يجرى امامه وعلى مسامحه من الحركة والقلاقل  
واضطروه لتلافي الخرق الذي احدثه قبل اتساعه فيجب اموراً وخيمة العاقبة  
فماطلهم بالجواب ولم يحتفل بكلامهم وعند ما رأوا منه ذلك طلبوا مقابلته ولم  
يسمح الا لواحد منهم ينوب عنهم فارسلوا بورغا كي نائب قنصل دولة اليونان فقابلته  
وعرض له ما تراتيه بقية القناصل من وجوب تسكين الخواطر وايجاد الامنية وهدهده  
بالمسؤولية ومطالبة الدول منه ما يقع على النصارى من الضرر ورجع عنه بالخفية  
والقنوط وفي هذه الاثناء ورد خبر نكبة زحلة وتغلب الدروز مع معاضدة الجنود على



فتحها ونهبها وكان لوصول الخبر وقع حسن في دوائر الحكومة وبقية المسلمين فامر احمد باشا باقامة الافراح وتنوير الشوارع احتفالاً بفتح زحلة كأن الدولة استولت على عاصمة القياصرة او قلعة سياستبول او جبل طارق او غيرها من الممالك والقلاع الحصينة في العالم

الا ان محمود افندي حمزة استاء من هذه المظاهرة واقامة الزينة والاحتفال وامر باطفاء الانوار التي كانت بالقرب من منزله . اما النصاري فلم يعد عندهم ريب بحلول مصابهم وقرب اجلهم عن بد الحكومة . وانقطعت آمالهم بها وتكاثرت النصارى عدداً عن ذي قبل لصعوبة الخروج من المدينة ومن جوارها فاضطر عدد عظيم من الفقراء الى المجيء اليها ليحصل على سد رمقهم او لتقديم اعنائهم للقطع والحصد وقائل يقول انهم جاؤوا لفقد الامنية في النواحي التي كانوا يقطنونها فقدموا الى الشام ليستجبروا من الرضاء وكان النصارى بأنونها من راشياً وحاصبياً وبقية القرى المجاورة لها وكثر حشدهم وضافت المدينة على رحبها بهم . ولما لم يكن محلات كافية بأوون اليها اضطر اكثروهم مع عيالهم واطفالهم ان يتوسدوا الثرى في الشوارع وباحات الكنائس وجعلوا الارض فراشهم والسماء غطاءهم

و بالرغم عن الفاقة التي بها نصاري المدينة كانوا يشفقون على اخوانهم ويمدونهم بكل ما في وسعهم

وقد خصصوا لهم فرناً من افران المدينة ليقدّم لهم ما يخبزه من العجين لسد جوعهم واضرب المتوظفون بدوائر الحكومة من النصاري عن عملهم خوفاً على حياتهم وتفاقم الخطب وقرب يوم العصب . . . . . ووقفت حركة الاعمال حتى في دواوين الحكومة حيث اكثرت الكتبة منهم . والقل لاقل نزداد يوماً فيوماً وقدوم الدروز الى المدينة على تكاثر من يوم الى آخر

كل ذلك واحمد باشا لائذ الى السكون لا يحرك صامتاً ولا يسكت صائحاً وقد تقرر من سكوته ومروره عند ما بلغه نكبة زحله انه العامل القوي في حدوث الاضطراب والنشويش وكثيراً ما كان يقول اللهم اهلك الكافرين بالكافرين مخدياً خورشيد باشا والي صيدا النذل

## الفصل السادس والخمسون والمائة

### في مأثرة الامير عبد القادر الجزائري

فقط النصاري من النجاة من مغالب الحكومة وشراسة الانراك وحقد المسلمين وقساوة الدروز وابذلوا بالعاقة فقنطوا من الحياة جوعاً وتعبدت عليهم المصائب وكثر ارتباكم ولكن قدر لهم ان يكون بين المسلمين شهم يرق لحلمهم ويرثي لمصائبهم . وهذا الشهم الذي نغنيه هو الامير عبد القادر الجزائري الذي طبق ذكره الخافقين وعم فضله وكرمه نصارى الشام على السواء . وكان لا يترك فرصة تفوته من الدفاع عنهم واجتمع بالوالي مرات وباعيان المدينة ووجوه قراها وحضهم على السكينة والاخلاد الى السلام والافلاع عن الثورة وترك النصارى وشأنهم وقد بين لهم وخامة العواقب التي تسقط على رؤوسهم اذا عملوا على الفتك بهم وكيف تخرج البلاد من ابديةهم واطهر لهم عدم جواز قتل المسيحيين شرعاً ودينياً وافرغ قصارى جهده في ارجاعهم الى الهدى والصواب ولم يتركهم حتى استوثق منهم بالوعود باجابة طلبه وفي السابع والثامن من تموز سنة ١٨٦٠ رافت الاحوال ورجع شيء من الطمأنينة الى قلوب النصارى . واصدرت الحكومة امراً للكتاب بالعودة الى اشغالهم وتمهلت وجوه النصاري وتفاءلوا من هذه الهدنة خيراً وخرج اصحاب الاعمال الى اشغالهم وعادت الحركة التجارية والصناعية الى سابق عهدها

## الفصل السابع والخمسون والمائة

### في مذبة ناسع تموز سنة ١٨٦٠

خرجت اصحاب الاشغال الى العمل وافكارهم هادئة نوعاً غير عالمين ما تولده الابام من الاحن والكوارث . وامر الحاكم احمد باشا في عصرى النهار باخراج بعض الرعاع المسجونين من المسلمين بقصد تطوافتهم بالشوارع وهم مكبلون بالقيود ارباباً للتواور من المسلمين والدروز معاً . هذا ما اشاعه به انما غرضه من تجول المحاييس على تلك الصورة ليس الارهاب كما كان بوم البعض بل ليحرك عواطف المسلمين ويجعل لهم سبيلاً الى الفتك والتخرش بالنصارى لان عمله كان قد نضج



وفي وصول الحاييس الى باب البريد هجم بفرقة من المسلمين على الخفر وبعثوا به  
وخله واوقفهم من القيود ونادوا بالجهاد لقتل الكفار وكان ذلك النهار بدء المذبحة  
العظمى والمصيبة الكبرى والنكبة التي ليس فوقها نكبة عمت نصارى المدينة وكادت تكون  
الفاضية عليهم

وكان النصارى متفرقين بالمدينة ذلك مما زاد ضعفهم فهجم اوباش المسلمين عليهم  
في بيوتهم وتغلاتهم واين ما عثروا عليهم اعملوا بهم السيف

وقد اختطفوا حرمة العرض فدخلوا البيوت وقتلوا الرجال وسبوا العيال ونهبوا وارنكبوا  
المنكر ولم يتركوا امرأ قبيحا الا وفعالوه ومحرما الا واستحلوه حتى انهم نهبوا الكنائس  
 وقتلوا الرهبان في مخادعهم والحقوا اضرارهم بالمسلمين اصحاب الرسالة من الانكيز وسواهم  
 ولم يبقوا ولم يذروا فقتلوا القوي والضعيف الصغير والشيخ الكبير المريض بفراشه والكسيع  
 في ساحته والضرب على عنكازه ورجال الدين وهم سجدوا او نيام . وكان فتكهم بالنصارى  
 الذين جاؤا المدينة ملتجئين الى حكومتها ذريعا فقتلوا منهم عددا كبيرا وامتنعوا  
 المحرمات وقصدوا مستشفى البرص والجذام وقتلوا بالمرضى ونهبوا ما وجدوه من المال  
 واحرقوا مكاينهم ثم قصدوا دير الرهبان الاسباني وقتلوا ثمانية من رهبانه ونهبوا ما عثروا  
 عليه من المتاع واطلقوا النار في المحل وقصدوا دير العازرية الفرنساوي وصدم حاميته  
 القوية عن الدخول اليه بضع ساعات حتى قدم لنجدتهم الامير عبد القادر الجزائري  
 برجاله وافرج عن الرهبان وحفظ حياتهم انما لم يبقوا على حفظ الدير من النار والمال  
 الموجود به من السلب فنهبوه واحرقوه ولم يكن هم الامير الا المدافعة عن الحياة

وارسل احمد باشا قوة عسكرية الى حي النصارى بقيادة صالح زكي بك ليوم  
 الشعب اخلاصه لهم وفي وصول هذه الفرقة وقائدها الشجاع افرج عن النصارى وبدد  
 جموع المسلمين عنهم ولم يكن ماذونا برماية الثوار محلا قاتلا فكان يطلق عليهم طائشا  
 ومع ذلك لكونه تغلب على طردهم من حي النصارى فل غضب احمد باشا وكدره فاستقدمه  
 وحاكمه وارسله الى الاسنانة تحت جرم الخيانة ولم تكن جرميته سوى انه غل ايدي  
 الثوار عن النصارى كانه كان جاهلا بمقاصد الدولة واحمد باشا الوغد بهم

وفي مساء ذلك النهار اجتمع الامير عبد القادر الجزائري باحمد باشا واعضاء مجلس  
 الشورى وسالمهم مساعدتهم على اطفاء شرارة الثوار وبين لهم براهين ادعاهما بايات  
 الشرع تقضي على الحاكين بمقاتلة الثوار ولو كانوا من اهل الشريعة وساعده على



الامير عبد القادر الجزائري

تثبت دعواه مفتي الولاية طاهر افندي فقر رايهم على معاقبة الثائرين ومقاتلتهم اذا  
ثابروا على ملاحقة الثورة والفتك بالنصارى . وقفل راجعاً الى بيته بعد رجالة الى الغد  
ولم يمض على رجوعه عن احمد باشا بضع دقائق حتى الحقه برسول وعرض له عدوله عن  
ضرب الثائرين وارجاعهم للطاعة . عند ذلك حول امنيته لتخليص من يقدر على  
خلاصه من العيال والرجال بفض الله وجهه

### الفصل الثامن والخمسون والمائة

في مدافعة الجزائري عن النصارى

ولما قنط الامير عبد القادر من مساعدة احمد باشا بالمدافعة عن النصارى امر رجاله  
بالذهاب الى حبيهم وعزم ان يضحيمهم في الذود عن عيالهم واطفالهم ما استطاع لذلك  
سبيلاً واوصى رجاله ان يحضروا اليه من النصارى رجالاً ونساء واطفالاً وكل من  
يقدر على الوصول الى تخليصه من مغالب الثائرين  
واقترى به اسعد افندي حمزه وطاف برجاله شوارع المدينة واغاث الملهوف  
واحضره الى بيته



وعلى هذا النحو جرى الشيخ سليم المطار وصالح اغاشور بجي وسعيد اغا النوري وعمر اغا العابد جاؤا الى حي الميدان ودافعوا عن سكانه دفاعاً مشكوراً مع ان رعا المسلمين كثروا في ذلك الحي وزاد بطشهم

وكان هؤلاء الابطال يتباهون بكثرة ما تحضره رجالهم من النصارى وقد اجتمع عند صالح اغا بضع مئاة وكان يقدم لهم كسوة وطعاماً وكان الحشد في بيت الجزائري عظيماً وفي ثاني الايام لم يحدث في المدينة غير استحضار ما بقي من النصارى الى بيوت اولئك الابطال المار ذكرهم الذين ثابروا على تخفيف الكرب واطفاء شرارة الثورة جهدهم وقد نجحوا في ذلك النهار وفازوا بنسكين الخواطر وقع العصاة نوعاً انما اتى نهار الاربعاء وهو النهار الثالث من حدوث المذبحة بيمشه وجنده وهدم ما بنوه بالامس وذلك انه خرج جمهور من رعا المسلمين في ذلك الصباح ونشروا اوامرهم في انحاء المدينة على كل مسلم اغاث النصارى في بيته ولم يزل مستحفظاً عليهم ان يسلمهم ليفتكوا بهم وان خالف واصر على رفض طلبهم بهجمون على بيته ويبطشون به وبعياله ومن كان داخل بيته وبعد ان يجهزوا على الارواح وينهبوا موجودات البيت يحرقونه

فخارت قوى بعضهم وخافوا على حياتهم من بطش الرعا بهم ولم يروا بدءاً من تسليم النصارى الذين اغاثوهم للثوار بعد ان تكبدوا المشاق لتحضيرهم فادخلوا العصاة عليهم وهناك علا صراخ الاطفال وعويل النساء وانين الرجال وكانوا ياخذون الاحداث والرضع عن صدور امهاتهم وبذيقونهم حنقهم على مرأى منهن بلا رحمة ولا حنان

وقدم بعض الثوار الى الصالحية واطلقوا الصوت على سكانها من المسلمين وحمسهم على نجدة العالم الشيخ عبدالله الحلبي وطرد النصارى الذين هجموا على بيته يريدون الابقاع به وبكل من وجدوه في البيت فهب مسلو الصالحية وهجموا على المدينة وقصدوا بيت الامير عبد القادر الجزائري حيث بلغهم انه محتفظ على عدد كبير من الكفرة فتجمعوا حول منزله وراموا الفتك به اذا ابى ان يسلمهم النصارى الموجودين عنده ولم يكن الجزائري ممن يهولهم التهديد والوعيد فخرج اليهم برجاله الامناء وتهدهم بصرامة العقاب ان تحرخوا بجرمته واظهر لهم انه مستعد تمام الاستعداد لمقابلتهم بالقوة ويمطر عليهم ناراً تبنيهم على الاطلاق ولما شاهد العصاة انه على اهبة ان يكيل لهم الكيل وازود تركوه خوفاً من سطوته وشدة باسه

الا ان الاكراد ونصراءهم قد اتوا اعمالاً بربرية في ذلك اليوم تخلد لهم



الذكر في تاريخ المجازر التي عجز عن مجاراتهم بها الامم الهمجية فقتلوا المئات من النصارى ونكلوا بالآخرين ممن وقع بأيديهم . وكان قواد الجند من الاتراك والاكراد مثل اسمعيل اغا شمدين وفرحات اغا وسواهم من المتحمسين يحرضون الجنود على التوغل بالفتك وكانوا يبرون احياناً أمام السراي ليشاهدتهم احمد باشا ويثني على بسالتهم وصدق اخلاصهم له كل ذلك واحد باشا قد طاب له السكوت ولذلك استبسال رجاله وقساوة المسلمين والدروز فلم يبد حراً كأنه سكر بنجرة الانتصار

ولا نضن عليه بذكر مائة وهي بحافظته على الكتاب الذين سألهم الرجوع الى اشغالهم فعند ما شبت نار الثورة بالمدينة ابقاهم داخل السراي ليستفيد منهم وبذلك ابقى لهم حياتهم وقديكون الذي حمله الى ذلك حاجته لهم . اما النصارى سكان شرقي المدينة مع مطران السريان الكاثوليك فتركوا المحلة قبل وصول النوار اليهم وذهبوا الى قرية صيدنايا وتحصنوا بديرها المنيع وكان بالقرية عدد كبير من النصارى وكلهم يشهد لهم بالقوة والبأس

فوجه احمد باشا لقتالهم دعاس اغا الجيروري بفرقة من الجند بمن التف حولهم من المسلمين . وعند وصوله الى الدير خرج لقتاله ورده اهل الحمية واحسنوا لمدافعة ولم يتمكن دعاس اغا من الحاق اذيته بالمحاصرين الذين كانوا يخرجون اليه ويبطشون برجاله ويعودون الى رفاقهم سالمين وظل الحال بينهم الى ان ارغموا دعاس ورجاله على العودة فرجع مخذولاً

ومثل هذه التعديات من عسكر الدولة ورجالها الامناء كانت تنوالى على النصارى من يوم الى آخر وقد دلت دلالة واضحة على ان للدولة اصعباً بها . واكبر برهان على صحة هذا الزعم تقاعد الوالي عن قمع العصاة واخضاعهم للشرعية ولو انه طاف بشوارع المدينة او ابدى اقل اهتمام بتسكين خواطر الشعب الهائج كما تقتضي وظيفته لامكنه مع ماله من القوة ان يمنع حدوث ما حدث . . او لو انه عهد لصالح زكي او سواه من اهل الاستقامة في اخاد الثورة لكان اتقذ الوفاً من النصارى من تجموع كاس الجمام على تلك الصور الفظيعة

وما ثبت اشترك احمد باشا بالحادثة اخلافه مع الامير عبد القادر كما مر بنا وكيف انه تعهد له بضرب العصاة وصادق المجلس على قوله ووعدوه ولما خرج الامير من حضرته ليعد رجاله لمعاودة الجنود طاد قانئى له عدم مقدرته على اخضاع الثائرين



وفضلاً عن ذلك انه لم يرسل فرقة الى حي النصارى للمدافعة عنهم والانكى  
انه بعد ان فتك المسلمون بالارواح واستولوا على المال والمتاع امر باطلاق قبلة على  
احد البيوت فالتهب وامتد الالهيب ببقية بيوت النصارى في ذلك الحي والجنود تراقب  
انتقال النار من بيت الى آخر ولم تبد حراكاً مع انه اتفق ليهودي انه تقدم الى  
احمد باشا وطلب منه رجالاً لاطفاء النار من بيته وللحال اجاب طلبه وارسل معه  
رجالاً ولدى وصولهم شاهدوا الالهيب في غير بيته فرجعوا على اعقابهم بدوّن ان يمدوا  
يداً لذلك البيت فقد وصل تعصبهم حتى الى الجهاد فما هو ذنب البيوت والاملاك هل  
هي تعقل فارادوا تأديبها

وقد اظهرت الحكومة في اثناء الحادثة ولاء وثقة بالشعب الاسرائيلي اكثر من  
ذي قبل وبالرغم عن العداء الكامن بين الشعبين كنت تشاهد مساويات النصارى في  
بيوت اليهود وكنت ترى الاسرائيلي يحتفل بقدوم المسلمين والجنود بها ويقدم لهم  
ماء قراحاً اخلاصاً وتودداً ولو كان المسلمون والجنود التركية غايتهم النهب فقط لرأوا  
مغنياً وافراً عند اليهود اضعاف ما حصلوا عليه من النصارى بالاف من المرات

### الفصل التاسع والخمسون والمائة

في مائة صالح اغا

غصت دار الامير الجزائري بالنصارى وكان عددهم يتضاعف وعلى ازدياد من  
وقت الى آخر وفي النهار الرابع من المذبحة والخامس كان الوفود عظيماً ومع ذلك لم  
تقرر همة رجال الامير عن التفتيش بالابار والكهوف عن التائهين واحضارهم الى  
منزله ولكن لما رأى ان عددهم يتزايد ورأى منزله اصبح ضيقاً على رجليه  
قدم الى احمد باشا وسأله ان يسمح له بالقاعة ليجعلها مأوى لهم وهكذا كان كلما وصلت  
اليه شردمة ارسلها الى القلعة يخفها برجالها ولا اعلم كيف استسلم لوعود الباشا بعد ان  
اختبره وقبل منه ان يقيم الجنود على باب القاعة ولكن اذا جهلنا السبب فما علينا ان  
نكذب الواقع

في النهار الخامس اصدرت الحكومة امراً بفصل الرجال عن النساء والاطفال وكان

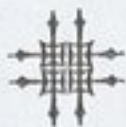


وقوع الخبر على النصارى عموماً عظيماً لأنهم قدروا نصيبهم من هذا الانفصال بما احتسبوه من حوادث ذير القمر وراشيا وحاصبيا وباتوا بحذر وخوف على حياتهم من غدر الحكومة بهم كما غدرت بغيرهم . وكان حذرهم بمحله لأن أحمد باشا أرسل فاستقدم دروز جوران لافتك بهم وهم داخل القلعة وبالذين في حماية صالح آغا في محلة الميدان ولولا استقامة صالح آغا لنفذ بهم المقدور ونالهم من الدروز ما أصاب اخوانهم سابقاً لكن وجود صالح آغا وشهامته القمساء دفع عنهم الضرر ورد جماهير الدروز بالخيبة بعد جدال وعراك دام ثلاثة أيام

### الفصل الستون والمائة

في تعيين معمر باشا بدلاً من أحمد باشا

وصل الى الشام في صباح الثامن عشر من شهر تموز اي بعد ان مر على الحادثة ثمانية أيام معمر باشا والياً على ولاية الشام وفي وصوله انزل أحمد باشا عن كرسي الولاية ونشر اعلام السلام في المدينة وبالجمال اعاد الامنية ورفع التعدي واسكن القلاقل وربما يسأل القارئ كيف تأتى لمعمر باشا ارجاع الامنية واخماد الثورة في حال وصوله ولم تغدر ذلك على أحمد باشا . والجواب يحضر نفسه ويحكم على ان الدولة لها ضلع في حوادث لبنان وسوريا على السواء واتى للدروز او الاسلام الاقدام على ملاحقة تمدياتهم وبطشهم بالنصارى من مكان الى اخر بدون ان يحسبوا للحكومة حساباً اذا لم يكونوا على ثقة من رضاها عليهم وارتياحها الى اعمالهم وفي اخلاصهم الى السكينة والطاعة طام اشعرتهم بالكف عن سوابق اعمالهم عن يد معمر باشا برهان على عدم اقتدارهم على مقاومتها كما كانت تدعي وفي عدم معاقبة الدولة لهم بما اتوه من المنكر والفظائع والعيث براحة رعاياها شاهد لا يدحض على مشاركتها لهم بكل ما جرى اولاً ولا حقاً





## الفصل الحادي والستون والمائة

في الاضرار التي لحقت عائلة مشافه

رابنا من الواجب ان نضم هذا الفصل الى حوادث الكتاب لما فيه من الحقائق  
الرائية التي دونها الدكتور مشافه على اثر حدوثها له والتي نسال القاري ان يتخذها  
قياساً محسوساً على ما اصاب بقية العائلات من المشاق والاختار ونحن نتوخي ان  
نلقي نفس كآبتها بها على غاية ما يحولنا المقام قال :  
« لما كنت متخذاً قباله ظهر نهار الاثنين الواقع في تاسع تموز من سنة ١٨٦٠ استيقظت  
مذعوراً على الصباح واثر قرعة قوية على باب الدار فسالت من هو الطارق وسبب الصباح  
ف قيل لي ان الاسلام نهضوا للذبح النصاري وباداوا بذلك فخرجت خارج البيت الى  
باب الدار لا تحقق الامر بنفسه فنظرت القوم تراكض من كل حدب فتأكد عندي  
حقيقة الخبر وقلت راجعاً الى البيت انتظر قدوم قواص القنصل الانكليزي المستر  
برانت الذي كان ولدي ناصيف موظفا عنده . وفيما انا على ذلك دخل علي رجلان  
من اتباع محافظ الحلي وصحبتهما رجل مسيحي كان التجأ الى بيت المحافظ فارسله الي و بعد  
قليل حضر القواص المسلم وعند حضوره ارسلته الى الامير عبد القادر الجزائري وطلبت  
منه رجلاً ليوصلني اليه . . . فما لبث ان رجع وقال : ان الامير كان غائباً عن البيت  
وحضر في ساعة وصولي ودفع الي ستة من رجاله انما لم يمكنهم الوصول مع لانهم اعزال  
والطرقات مزدحمة بالناشرين فلا بقدرتون على المحافظة عليك بدون سلاح  
« فلبثت انتظر قدومهم بعد ان يتسجلون وفيما كنت منتظراً هجم علي شرذمة من العصاة  
وقصدوا الابقاع بي ولما لم بقدرتوا على اغتصاب الباب جعلوا يضربونه بالباطات  
والفؤوس حتى كسروه ودخلوا الدار وتقدموا الى البيت وصاروا يطلقون على النوافذ  
الرصاص والحبوا الباب ليخلعوه  
« وعند ما أدركت الخطر ولم يحضر لنجدي أحد خرجت من الباب الخلفي بعد أن  
أخذت معي مبلغاً من المال ولم استصوب نقل السلاح لئلا يزيد هياج الثوار علي . .  
وتبعني القواص وولدي ابراهيم وابنتي واتخذت وجهتي دار الامير وبينما انا اعدو بمن معي  
قابلي جمهور من الثوار وهجموا علي مشهرين السلاح فرشقهم بقبضة من المال فرجعوا



لجمعها وابتعدوا عني فنجوت منهم وواصلت سيري وقبل ان ابلغ المحل المقصود اعترضني جمهور آخر ففعلت معهم كما فعلت بالاواين واشغلتهم بالتقاط المال الذي رمية به وتراجعوا عني قليلاً واصبح الموت وراي وامامي قد دخلت في زقاق ضيق يمكن الوصول منه الى دار الامير ورجوت عدم وجود احد على الطريق ظاناً ان اهل جواره ذهبوا للجهاد الى حي النصارى وخاب فالي حيث رجال الزقاق كانت قد عادت من اشغالها لاخذ سلاح من بيوتها وتذهب لذبح الكافرين

«فالتقيت بهم ولم يعد لي منهم منج فخطوني من كل الجوانب وتقدموا الي يبعون سلمي اولاً وقتلي ثانياً وكانت ابنتي تصرخ املوني قبل والدي وابتقوا عليه او اقتلونا قبل ان توفعوا به شراً فتقدم احدهم الى ابنتي وانتهرها بالسكوت ولما لم تفعل ضربها فشج رأسها واسال دمها ثم اطلقوا علي النار واخطاوني مع ان المسافة بيني وبينهم ستة اقدام فقط

«ثم هجموا علي بالبلاطات والنباييت فجرحت بيهجتي وتهشم جانبي الايمن ووجهي وذراعي من ضرب نباييتهم وكثرة ازدحام اقدامهم حولي ولم يعودوا قادرين على اطلاق الرصاص لخوفهم من اصابة احد منهم

«فخذعتهم بقولي اني كنت ذاهباً الى البك محافظ الحلة بشغل له انما اجتمع القوم وحشد الجماهير اوقفني عن اتمام مهيتي فخذوني اليه وصدف ان جماعة منهم من اخلاء البك المذكور فقالوا نحن نأخذك اليه

«فساقوني اليه عقب ان سلبوا مني ما تبقى معي من المال حتى لم يتركوا علي رامي طربوشي واخذوا ساعتى وتبعني جمهور كبير وفيما نحن سائرون بالطريق لحقنا درويش التعصب يزيد بتعصبه على كل افراد الجمهور وكان متعمداً بعمامة خضراء وشعوره مدلاة مكحل عيونه ويده عصا طويلة وضع على راسها منجلاً

«وكان يمد عصاه من فوق روس الرجال المحذقة لي ليقطع راسي بمنجلة فما توفق للعمل ونجوت منه ومن معي ووصلت الى دار المحافظة بمصلبة باب توما فلاقني المحافظ المذكور وفرق عني الجموع واعتذر الى اسنان علي ما لحق بي من الاهانة ثم وضعني في بيت احد اتباعه ولا يوجد به سوى امرأة عجوز وهي صاحبة البيت واطلعتني مع القواص الى قصر بطل على الطريق وكان باقى من النهار ثلاث ساعات ولما خلوت بنفسى ضربت فكري لعائتي وما ترى كان امرها مع المتعصبين وماذا جرى لكل فرد منها وما اذ



كانوا ينجوع ام عري وفيما اذا احرق الثوار دارى ام ابقوها ثم اذا كانوا احياء فعلى اي فراش يتامون وبأي غطاء يتغطون . . لانني ابقيت الثوار بعالجون الباب وانهم سوف لا يبقوا عليه ولا يذروا ثم لا علم لي بما وقع لهم افرادا واجمالا وخصوصا ابني التي ضربها ذلك الوغد بالبلطة وشج رأسها وفيما هل وجد بين اولئك الطغاة من بقلبه حنان كافر ليضمدها جرحها ثم اطلقت تصوراتي نحو زوجتي وطفلي الرضيع ووالدتها وخالتها اللواتي فارقتهن بالبيت عند خروجي منه فماذا حل بهم بانري

« ثم افكرت باولادي الكبار وماذا حل بهم وهكذا كانت تنازعني الافكار والهواجس وانستني الي وواجاعي

« ثم سمعت صوت دوي البنادق والنار ببيوت النصارى التي كانت تقصف كالرعد وكثرة وفود الدروز واسلام القرى المجاورة للحدبة واشتركوا بالجريمة والمذبحة كل ذلك كان من البواعث التي انستني الامي . . فطليت من احدى نوافذ المقصورة فنظرت المحافظ اتيا لبيته بجحلة عيال ورجال فكثرت كيف انه لم ياخذني الى بيته اذا كان يقصد الذب عني وترجع عندي انه يضعر لي الشر ولولا ذلك لما اتى بي الى هذا المكان المجهول فهو ينتظر سدول الظلام ليرسل من يقوم بقتلي لانه لا يتجرأ عليه جهاراً

« فكثرت بعرض افكاري هذه على القواص لثلا بصيحه سرّاً بسبي لانهم قد يفتلونه مسي لا خفاء الجريمة فقلت له ما انا مفكر به ورجوته ان يخفي نفسه لاني عازم على النجاة بالهرب بعد سدول الظلام لبيت المحافظ الذي لا يبعد اكثر من ثلثائة خطوة

« ولا يلزم لي اكثر من دقيقتين فاوصل اليه وهناك عنده ما ينيف عن النهاية من المتجشئين وهناك اطلب رجالاً من الامير الجزائري فيرسلهم الى نصرتي

« فاستوصب القواص افكاري ورأيتي وقال لي اذا كان المحافظ يريد بك شرّاً فسوف ينتظر الظلام ليرسل من يفتك بك والا فلا . اما انا فلا اريد ان افارقك البتة بل اريد اواصلك لبيت المحافظ ثم اذهب بخبرك للامير واذا خرجت الآن وتركتك اخشى من ان يعاقبوني على الفرار وتركتك لوحدك فلا افعل وانا كذلك منتظر سدول الظلام ليقضي ربك امراً كان مفعولاً

« وبت منتظراً الظلام وأنا على مثل الجمر والطريق مزدحم بالمارة بتواردتهم من القرى رغبة في القتل والسلب وعند سدول الظلام نظرت سبعة رجال شاكين السلاح



جاءوا وطرقوا باب الدار ففتحت لهم العجوز فسألوها اين هو ميخائيل مشافة  
فدلتهن على المقصورة التي تضمني داخل جدرانها حينئذ قنطت من الحياة ولبت منتظراً  
تسليم الروح فاشترت على القواص بتسليق الجدران والذهب بخبري لثلاث اذهب ضياءاً  
وفيا انا على ذلك سمعت صوتاً ندهني يامخائيل مشافة انزل لعندي انا صديقك  
السيد محمود السوطري جئت برجال الامير عبد القادر لكي تكون عندي آمناً فلا تخاف  
فما عليك من بأس

فنزلات اليهم فالبسوني هدم المغاربة ومشوا جماعة خلفي وامامي ومعهم ابن شقيق  
المحافظ وكنا ندوس فوق جثث القتلى بالازقة حتى وصلنا لدار الامير فوجدناها مزدحمة  
وقد ضافت رحبها بالعالم الملتجئين اليها من دفع عنهم الامير الاذى واغاثتهم وكان هذا  
الشهم الباسل منقلداً سلاحه ومعه رجاله البواسل ودام على هذا المنوال ثمانية ايام  
وثماني ليالي لم ينزع سلاحه ولا حذاه ومثله رجاله وان اعياء النعاس كان ينام قليلاً على  
حصير بياب داره

« فالتمس السير محمد السوطري من الامير اخذني الى بيته لشدة الازدحام عنده  
ولكوني مثقناً بالجراح فيلزمني الراحة فاجاب الامير ملتصقاً وذهبت مع هذا الشهم لبيته  
وبعد ان استقر بنا المقعد سألني عن عائلتي وما جرى عليها واين هي ليستحضرها  
لعندي فاجبته بما جرى واني لا اعلم من امرها شيئاً سوي ان ولدي كان معي وابنتي  
وعندما ضربوني وضربوا الابنة فرقوني عنهما ولا ادري كيف ال امرها وزوجني وطفلها  
الرضيع ووالدتها وخالتها تركتهم بالبيت عندما هاجمه المتعصبون وانباي الكبار احدهم  
بقنصلية الانكليز والآخر بمدرسة بطريركية الروم الارثوذكس ولا ادري ما اتصلت  
اليه حالهم فقال لي: ان قنصلية الانكليز دون باقي القنصليات لم ينتهك حرمتها الثائرون  
فكن مطمئن على ولدك بها : اما باقي العائلة فسوف امضي للبحث عنها في هذه الساعة  
واحضرها اليك انما اخشى من انهم لا يعرفوني لعدم سابق معرفتي فيهم فاطلب اليك  
ارسال القواص معي ليطمئنهم عنك ويخبرهم بانني لا اريد بهم شراً

فاجبت فليكون ما تريد ايها الشهم الهام واصحبت معه القواص فذهبا سوية  
وفتشا عن العائلة وبعد قليلاً رجعا بها الي الأ ولدي سليماً فذهب للفتيش عنه فعاد  
ولم يقف له على خبر فظننا انه بين المقتولين ثم سألت سوطري انما عن كيفية معرفته  
بجمل اقامتي اجاب اننا عند بدء المذبحة كنا ظننا ان المسألة جزئية وان الوالي لا يدع



الخرف يشع لهذا الحد

« وعند ما خبرنا ما جرى يباب البريد وددنا منع اولاد النصارى من الاشتراك مع  
النائرين فقلعنا باباً من القصب ووضعناه في الزقاق الموصل لحي المسيحيين فجاء جمهور  
من اكراد الصالحية وكسروا الباب وتقدموا الى جهة الحي حيثئذ نرجح لدينا حصول  
الاذى عليك وعلى بيتك

« فحضرت وفحصت عنك فعلت ما توقع لك فذهبت لمحافظة المحلة وطلببتك منه فانكر  
وجودك اولاً فذهبت واطلعت الامير على حقيقة الامر فارسل معي رجاله الافراج  
عك بالقوة وجئنا للمحافظة وارغمناه على الاقرار بمكانك فارسل ولد شقيقه معنا ليدلنا  
على مكانك وكان ما علمت

« وفي ليلة اول المذبحة حضر القنصل الانكليزي ليفتقدني فاطمني عن ولدي ناصيف  
فبقي ولدي سليم لم افق على خبره مدة ثلاثة ايام المذبحة الاولى ولم يثر عليه بين  
القتلى التي ملأت الشوارع والازقة والابار والخراب وبعد وقوع التنبيه والتهديد من  
المنعصبين على المسلمين الذين اغاثوا مسيحياً عندهم حضر مسلم تركي الى قنصل الانكليز  
واخبره بانه متزوج بابنة علي اغا خزينة كاتبي في بيتها الذي يسكن به ضمن الدار  
الخارجية المستر رابصون المرسل الانكليزي وكان عندها سليم مشافه مخبئاً ونحشى عليهم  
من فتك الرعاع

« فارسل ولدي ناصيف فاطمني عن شقيقه سليم وان جنداً من المغاربة ذهب ليحضره  
الى مركز القنصل فتطمعت قليلاً الا انني بت اوحس خيفة على دار الامير عبد  
القادر من سطو رعاع الاسلام عليها لان او باش هذه الطبقة كانت حانقة على الامير  
لا نقاذ النصارى من مخالفتهم

« فارسلت ابراهيم الى عند اخوته لدار القنصاية المزدحم بها المسيحيون من وطنيين  
واجانب الذين عندما نظروا احترامها هرعوا للاحتفاء بها اما القنصل فلم يهمل امر  
صيانة داره من الاو باش القهسمين بل احضر جنداً من رجال الامير الجزائري  
للذب ونفراً من طرف الوالي

« اما انا فبت بيت سوطري اغا منشغلاً بتضميد جروحي ومداداة رضوضي التي  
احدثها ضرب النبوت وزد على مصابي هذا افلامي لانه لم يبق لي ما اشترى به لوازم  
الحياة والطرفات مسدودة ولا وصول لي الى ما يلزمني فاحد العلماء المشهورين انتقدني

بشوب من ملابسه لان ثوبي كان مخضباً بالدم مع بعض ريبالات ظننتها مزدوجة اشدة حاجتي اليها

« فاشترت بها ما كان لازماً لي وهكذا ولدي ناصيف ارسل لي ما كان معه من الدراهم وبعد حضور معمر باشا ومناداه بالامان سلكت الطرفات وحضرت لي دراهم من الخارج اشترت بها الكسوة التي تلزم لي واعيا لي

« وبقيت شهراً بدار سوطري اغا الى ان شفيت من جروحي اما يتي فلم يحرقه الثوار لقربه من بيوت المسلمين انما اخذوا اخشابه وبلاطه وقطعوا اشجاره وخرّبوا منه ما امكهم تحريبه ولما لم يعد يصلح للسكنى فحضرة الشريف محمود افندي حمزة الذي هو مفتي الشام في تلك الابام اخلى داره الخارجية ودعاني للسكنى عنده فقبلت شاكرًا وانتقلت لداره فاقمت بها الى ان قدم فواد باشا لدشق فعينوا لي بيتاً للسكنى يتخافرون من تعمير ما تهدم من بيتي وما تعزيت به على مصيبي هو اني لما كنت مقبلاً بدار محمود حمزة حضر لعيادتي السيد محمد امين مفتي بلاد دمشق فقال لي يا صديقي ماذا جرى لكم . اجبته ما نراه فقال : ان دماءكم سفكت ونساوكم سبيت ويوتنكم هدمت بيد بعض اسلام دمشق فهل جرى عليكم غير ذلك . اجبته افلا يكفي ما حل بنا من النكبات وما دهمنا من الكروب قال : يجب على العاقل ان يتنامى في مصيبة غيره الا طالعت نوار يخ الاسلام اليس الذين قتلوا حفداه النبي وسبوا حريمه وهدموا الكعبة المشرفة كانوا من اسلام دمشق ؟ قلت بلى قال : اذ اتأسوا بما اصاب المسلمين منهم قبلكم « وكاث الاسلام يخبرون النصارى اما بالاسلام واما بقتلهم وقد اقدموا على المجائب » انتهى

هذا الذي لحق الدكتور مشافة مع الوسائط التي له وغيره محروم منها فقس على ما قصه لنا بما لحق بقية النصارى بذات النكبة التي ما بعدها نكبة وبلغ عدد قتلى دمشق اكثر من ستة آلاف نفس

## الفصل الثاني والستون والمائة

### في قدوم الحملة الفرنسية

ورغماً عن حالة لبنان وما جرى به من التدي على النصارى كسلب اموالهم ومتاعهم وحرق بيوتهم وذبح من وقع بايدي رجالها والدروز منهم كل ذلك والدولة لم تحرك



سأكنّا نجمع الثوار وارغام العصاة على الاخلاص الى السكينة بل كان وزراؤها ومأموروها كصيادي الارنب يبطشون بفرستهم وكانوا يرون تمزيق جوانب الرعية واضعافها وهم صامتون ودامت الحال اكثر من ثلاثة اشهر حتى عم اخبار الحوادث في تلك الربع الخافقين حتى ان رجال الاستانة لم يكتروا بما كان يجري من الويلات والهوائ وعند ما نظرت الدول نفاعد الدولة عن حماية النصارى قررت ارسال مراكب حرية لياه سوريا مع حملة من الجنود الفرنسية لانقاذ الثورة الاهلية الموجهة لقطع النصارى ولا ذنب لهم سوى دينهم



فؤاد باشا

وعندما رأت الدولة الخطر بقرب منها بسرعة خافت من الدول ان تستولي على بلادها فارسلت للملافاة هذا الخطر اعقل وادهي رجالها وهو فؤاد باشا وزير الخارجية ولكنها تباطأت في ارساله ورجعت لسياستها الاولى من الماطلة ظننا منها ان الدول ان تنفق على ارسال حملة لما بينهم من التحاسد والضعينة ولم تحرك سأكنّا حتى وصلت مراكب دولة فرنسا الى قبرص وحينئذ تحقق لها اتفاق الدول على اخضاع العصاة وشن الغارة عليها

فامرعت بارسال فؤاد باشا السوريا وبوصوله الى بيروت وصلت حملة كبيرة من الجنود الفرنسية وفي وصول هؤلاء الجنود اخلد الثوار الى السكينة وهدأت الاحوال في سوريا

وحضر فؤاد باشا الى دمشق وامر بجمع المسلوبات من سكان دمشق والقرى المجاورة لها وكانت تسلم المأثورين اقامهم فؤاد باشا لذلك الغرض وكان المأمور لا يعطي وصولاً بما استلمه ولا اشعاراً بما وصل ليده فزادت اطماعه وغرته كثرة ما يرد اليه من المسلوب

وكان من فؤاد باشا انه التقى القبض على المشتبه بهم ومن كان له ضلع بالنزوة وشدد عليهم بتحضير المسلوب ذلك ما اجمم كثيرين عن تقديم ما كان عندهم

وعقب صدور الامر بتفتيش بيوت المسلمين وان كل من وجد عنده من متاع النصارى يكون عقابه صارماً وقع الرعب في قلوب معظمهم وصاروا يطرحون ما عندهم على الطرقات والشوارع وكان اليهود يلتقطون ويشترون اشياء ثمينة باسعار تافهة ولم نتجاصر النصارى على الخروج الى الشوارع ليلتقطوا مثلهم مع انهم احق من اليهود بها لذلك كانت الخسارة فادحة عليهم وبالعكس على اليهود

وليس كل ذلك كان من فؤاد باشا فانه كان يقتل وينفي ويغرم كل زعيم من المسلمين وكانت الغرامة جسيمة وفادحة اجابة للدول فاضطر المسلمون الى استقراض المال من اليهود بربا فاحش بين ٣٠ و ٣٥ في المئة ذلك ما ضاعف ارباح هذه الفئة وزاد ثروتها عما كانت عليه وصح قول القائل مصائب قوم عند قوم فوائد

### الفصل الثالث والستون والمائة

في قدوم فؤاد باشا الى القلعة

ثم حضر فؤاد باشا الى قلعة المدينة وشاهد الاحوال ورأى الرجال والنساء والاطفال حفايا عراة الاجسام يتنون جوعاً ويتوسدون الغبراء وعقب مشاهدته هذا المنظر المحزن اذرف الدموع

وامر بترميم منازل النصارى في المدينة وخبرهم بالذهاب الى بيروت على نفقة



الحكومة فهاجر من شاء المهاجرة والذي فضل البقاء انلى لهم من مساكن المسلمين وامر  
ان تعطى لهم معايدهم ليقوموا بفروض دينهم اذا رغبوا فرفض التصاري بالشكر هذا الكرم  
لهم ان في ذلك يكفرون المسلمين عليهم وولد بهم حب الانتقام في مستقبل الايام  
وعند رفضهم سؤاله عين لهم بعض البيوت لذلك الغرض ثم رتب لهم قوتاً كان  
يأتيهم يومياً بحسب افرادهم ثم دفع لهم الاقشة وما يحتاجون اليه من الكسوة

### الفصل الرابع والستون والمائة

في تقي بعض المسلمين

وبعد ان ازال فؤاد باشا عن المنكوبين بعض الضنك حول عنايته الى اعيان  
المدينة من المسلمين الذين نفخوا بوق التعصب كما امرتهم الدولة وحرضتهم على ذبح  
اخوانهم بالوطنية وقد فعلوا وانهم بعضهم انه رام ان ينفهم عن المدينة ليطمس على  
هذه الحقائق الراحنة

فتفى طاهر افندي مفتي الاحناف وعمر افندي مفتي الشافعية واحمد افندي عجلاني  
نقيب الاشراف والشيخ عبد الله الحلبي شيخ العلماء واحمد افندي الحلبي وعبد الله بك  
العظيم وولده علي بك الذي منحه الدولة رتبة باشا وعبد الله بك سبط ناصيف باشا  
وفردوس بك ومحمد بك العظيمة ومحمد سعيد بك شحدين الكردي

وارسل بعضهم الى جزيرة قبرص والبعض الآخر الى جزيرة رودس والى بلاد  
الاروام وحدد لهم مدة بقائهم في تلك الاماكن خمس سنين

وتوفي بعضهم وهم بمنفاهم وبعضهم رجع الى الشام وعينت الدولة راتباً للشيخ عبد الله  
الحلبي ثمانية عشر الف غرش سنوياً جزاء اصدعه لاوامرها . وعينت طاهر افندي  
قاضياً على حماة براتب جسيم وانعمت على محمد سعيد بك وعلي بك العظيم بلقب باشا  
مجازاة لهم على اعمالهم البربرية

## الفصل الخامس والستون والمائة

### في ارسال احمد باشا الى الاستانة

وارسل فؤاد باشا احمد باشا الى الاستانة يسلم اوراقه الخصوصية الى مراكرها خوفاً من ان تقع بيد الدول وفي وصوله قدمها مخفوفة بالتجولة والاكرام وأعادته الدولة على الاثر الى الشام لتصير محاكمة فيها وحكم عليه المجلس العسكري بالاعدام وصار اعدامه رمياً بالرصاص فنال جزاء ما دبره على قتل الابرياء

وحكم المجلس باعدام اميرالاي الجنود الذي كان حاضراً مذبحة حاصبيا والبكباشي الذي شاهد مذبحة راشيا

يبد ان طاهر باشا الذي كان حاضراً وبامر صار ذبح اهالي الدير لم يحدث عليه مكروه بل ابقته الدولة بوظيفته

ثم تشكلت محكمة دولية لتحقيق المجرمين وسمي هذا المجلس مجلس فوق العادة وكان رئيسه محمد افندي رشدي الذي ارتقى بعدئذ الى الوزارة

وبعد هذا التشكيل طالب من النصارى ان يقدموا شكواهم على الذين سطوا عليهم فكان من النصارى انهم لا ذوا الى السكوت ولم يقدموا شكوى على احد وكان جوابهم انهم لا يعرفون غير الذين احسنوا اليهم

وكلامهم الواقع لان الذي يعرف اصحاب الجرائم قضي عليه وقدموا لائحة لفؤاد باشا اجابة لطلبه بالذي كان له ضلع بالثورة وشرع على موجب الاسماء المدونة باللائحة المتقدمة له صار يحضر اصحابها وكان من المقبوض عليهم البك محافظ محلة النصارى واولاد اخته واما ولده الوغد ففر من وجه العدالة

وجرت التحقيقات فكان عدد المجرمين من الدرجة الاولى اربعة وخمسين رجلاً منهم محافظ المحلة واولاد اخته والذين هجموا على الدكتور مشاقة وشجوا رأس ابنته وذلك المصعب الذي اركز على عصائه منجلاً ورام قطع عنق مشاقة به صار اعدامهم شنقاً وفر واحد منهم من ايدي رجال التنفيذ ولم تقبض عليه الحكومة ثانية عفت عنه

ومائة واحد عشر رجلاً من الدرجة الثانية صار اعدامهم بالرصاص ومن الدرجة الثالثة عدد كبير كان جزاء اغلبيهم الخدمة العسكرية



واما الدروز ومسلو القرى من الذين قتلوا ونهبوا واستباحوا الحرمات واتحيوا النساء  
لم يعاقبوا وظلوا يعيشون في البلاد فساداً

## الفصل السادس والستون والمائة

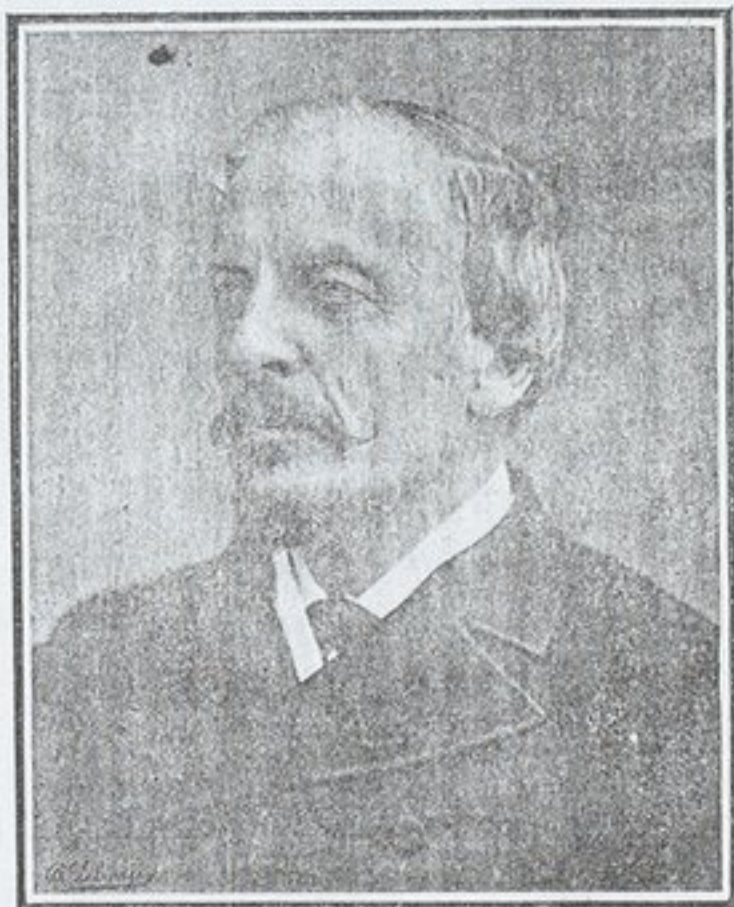
### في قدوم نواب الدول الى دمشق

وبعد ايام قلائل حضر نواب الدول الى الشام وشاهدوا ما حل بالنصارى من  
النكبات ففرضوا على الدولة دفع غرامة جسيمة وترميم بيوت المنكوبين وتعويض ما فقد  
لهم من المنافع وادى هذا الحكم الى تشكيل مجلس كومبارس يرأسه محمد افندي رشدي  
واعضاه من جميع الطوائف وبعض من مأموري الحكومة . وصار التحقيق عن خسائر  
النصارى وتعمدت الدولة بدفعها ما عدا المسلوب من المال وقد دفعت لهم مئذات عليها  
وكان المحتاجون يبيعونها الى اليهود بالخصم عشرين بالمائة واكثر وعلى رائر الوجوه  
كنت خسارتهم عظيمة لانهم كانوا يقبضون الليرة العثمانية على سعر مائة وسبعة  
وعشرين غرشاً حال كون سعرها مائة واحد عشر . . . والحال كما قبل بهذا السعر لانه  
كان يدفعها المنكوبين به ولكن عند ما كان يحصل الخراج منهم كان يحاسبهم على  
الليرة مائة غرش فقط وهذه المعاملة جعلت النصارى لا يصيبهم من التعويضات التي  
حكم المجلس بها غير شطرها وبعد حضور قبولي باشا كان يأخذ مئذات الدولة بنصف  
القيمة ناكاً

اما نصارى قرابا الشام فلم يعرض عليهم ما يساوي جزءاً مما فقد لهم بالثورة بل تعين  
لهم مبلغ اقسموه بينهم بحسب مفقوداتهم

حاسبته الدولة بخراج الاراضي عن سنة النكبة ثم مال الجزية وخراج قديم  
والفردية عن الاموات والمهربين وارسلت اليهم جباة لتحصيلها منهم وارتمتهم بالقيام عندهم  
وارغامهم على تقديم علق الخليل حتى يدفعوا المطالب منهم وهو ما يعبرون عنه بالحوالة  
والذي كان يطلب منه بقدر ماله على الحكومة من مال التعويض دفعوا عنه  
الحوالة وسلموه الوصل والذي زادت اموال خراجه على ماله ضمن الحكومة كتبت عليه  
تعهد بدفع الباقي على تراخي الايام فرفض معظمهم هذه المعاملة واعترضوا عليها واتخذوا  
حجة لهم عدم تحصيل الدولة من الدروز

ولم تقبل الدولة منهم الماطلة بل ارغمتهم على المصادقة على الوصولات او دفع  
مطلوبها منهم وظلت تعاملهم هذه المعاملة ثماني سنين بعد حدوث حادثة السنين ذلك  
ما حصل عليه نصارى القرى المجاورة لمدينة الشام من التعويض  
ثم وضع فواد باشا ضريبة على ولاية الشام مائة وخمسين الف كيس ثمانية آلاف  
على دروز حوران وباقي الضريبة توزعت على البلدان



الورد دوفرين

وقد عين مجلساً في بيروت للنظر بتعويض ما فقده الاجانب وقال الدكتور مشافة  
ثلاثة ارباع ما فقد له  
وبالاجمال نالت الدولة شيئاً من غايتها ولم تخسر من خزينتها مالا بل كانت  
الخسارة على الرعية مسلمين ونصارى على السواء  
وربما اذلال الشعب لها وخضوعه التام لكل ما تفرضه عليه من الضرائب حيث



اضعفت الحوادث عصبيته واسترسل الى الطاعة والسكون وامانت نفوذ روساء العشائر  
ونزعت منهم استقلالهم بحكومة بلادهم في الداخلية

## الفصل السابع والستون والمائة

في ما آل اليه لبنان

امر فؤاد باشا فالحقي القبض على عدد كبير من دروز حاصبيا وراشيا وكاذ بأمر  
باعدام خمسمائة من عددهم بدون محاكمة الا ان النصارى طلبوا منه محاكمتهم واعدام  
من توجب الشريعة قتله وهكذا صارت محاكمتهم وانجحت عن تبرير مساحتهم لعدم وجود شهود  
ثبت عليهم الجريمة ولم تكن الحكومة تقبل شهادة المسيحي لانه خصمهم وكان من اصعب  
الامور على الدرزي ان يشهد على اخيه في مثل تلك الظروف  
اما زعماءهم من بكوات ومشايخ فارسلوا الى بيروت وحكم عليهم بالنفي مدة رجعوا  
في انقضائها الى بلادهم وعينت لهم الدولة راتبا

وتوفي منهم سعيد بك جنبلاط قبل ان يبرح بيروت وقيل انه مات مسموما .  
وخطار بك العماد توفي على اثر رصاصة اصابته عنقه في حادثة جرت بينه وبين الجنود  
المقبلة الى حوران انما بشير بك نكد رجع من منفاه وكافأته الحكومة بوظيفة

وبعد ذلك صرح فؤاد باشا ان جنوب لبنان قد انتظمت اموره ولم يبق علينا غير  
اصلاح شماله وفي ذلك التصريح دلالة على ان الحوادث التي جرت في الجنوب كانت  
على رضى الدولة وبارادتها وعلى اثر وصول فرمان الوزارة له ارسل فرقة الى شمال لبنان  
ليخضع بطلها وبذل رجاله ولم يفلح لان الجنود كانت اقصر من ان تداني رجال الشمال  
بالقتال والقوة فرجعت بالخيبة

وكانت نهاية القتال تسليم يوسف بك كرم على يد قنصل دولة فرنسا وتقيته الى  
باريس كما جاء بتاريخه

## الفصل الثامن والستون والمائة

### في استقلال لبنان

وانهى المؤتمر الدولي في بيروت قراره على منح لبنان استقلاله الذي يرتفع به الآن وان تنصب عليه الدولة وزيراً مسيحياً من خارج سوريا بموافقة الدول عليه وعينت مدة حكمه خمس سنوات تقبل التجديد ان ظهر منه الكفاءة وفرضوا على الجبل سبعة آلاف كيس الى الدولة تقدم سنوياً وان الجند اللازم لحفظ راحة اهاليه يكون من ابنائه وفرضت على الدولة دفع رواتب المأمورين ولو زاد راتبهم عن المفروض عليه وصار تقسيم الجبل الى قائمات ومديريات وغير ذلك مما هو معروف عند الجميع ولا حاجة الى تدوينه

وعينت الدولة داود باشا متصرفاً عليه وهو اول حاكم جاء لبنان وحكمه عقب الثورة وعلى اثر الاستقلال وخلفه فرنكو باشا والد المتصرف الحالي

## الفصل التاسع والستون والمائة

### في ترجمة استقلال لبنان الحالي

لما كنا نعتقد ان هذا الكتاب كبير الاهمية وجدنا من الضروري تعليق نظام الجبل به لنتم الفائدة التي نرمي اليها ولما كان عزمنا اعلام اللبنانيين معرفة قوانين حكومة جبلهم المحبوب ليكون لهم تمام المعرفة في قوانين وسنن الاحكام الاساسية التي قررتها الدول الاوربية المتحابة بمصادقة جلالة السلطان والتي اشتركت في مؤتمر بيروت ننقل ذلك عن كتاب (حسر اللثام عن نكبات الشام) وهالك ترجمة النظام المذكور :

### ارادة سنية من جلالة السلطان

لما كان الاجل المضروب مدة ثلاث سنوات للنظام الذي وضع وللقرار الذي تقدم صدوره بخصوص ادارة الجبل تحصيلاً لاسباب رفاهه وأمن الرعايا النابعين لدولتي العلية القاطنين والمستوطنين جبل لبنان المذكور وكان من المقدر انه عند انقضاء المدة المعينة يعاد التذاكر في مقتضى الحال وقد انقضت الآن اجري التعديل والتنقيح في



بعض المواد الواردة في لائحة هذا النظام وعند عرضها على جناب سلطنتي الاشرف والاستئذان فيها تعلق شرف صدور ارادتي السنية الشاهانية باجراء مقتضاها على هذا الوجه و بموجبها لزم اعلان النظام المذكور على المنوال الآتي بيانه :

( المادة الاولى ) بتولى ادارة الجبل اللبناني متصرف مسيحي لتصبه الدولة العالية ويكون مرجعه الباب العالي رأساً وهو محتمل العزل بمعنى انه لا يستمر في منصبه ما دام حياً ويكون على عهده القيام بجميع خطط الادارة الاجرائية متوفراً على حفظ الراحة والنظام في انحاء جبل لبنان كلها وان يحصل منها التكاليف . وبحسب الرخصة التي من لدن الحضرة الشاهانية بنصب تحت عهده مأموري الادارة المحلية وتبلاواحكام القضاء ويعقد المجلس الكبير ويتولى رئاسته وينفذ الاعلامات القانونية الصادرة من الحاكم الخارجة عن القيود التي متذكر في المادة الثامنة

( المادة الثانية ) ينبغي ان يكون للجبل كله مجلس ادارة كبير مؤلفاً من اثني عشر عضواً اثنان مارونيان بنوبان عن قائمية كسروان وثلاثة عن قائمية جزين اقدم ماروني والثاني من الدروز والثالث مسلم . واربعة عن قائمية المتن الاول ماروني والثاني من الروم والثالث من الدروز والرابع من المتأولة وعضو واحد درزي ينوب عن قائمية الشوف وآخر عن قائمية الكورة من الروم وعضو آخر عن قائمية زحلة من الروم الكاثوليك . . . . . ومجلس الادارة هذا يكون مأموراً بتوزيع التكاليف والبحث في ادارة واردات ومصاريف حكومة الجبل وبيان ارائه من وجه المشورة فيما يرضه عليه المتصرف من المسائل

( المادة الثالثة ) ينبغي ان ينقسم الجبل اللبناني الى سبعة افضية الاول يشتمل على الكورة مع الجهة النجبية والاراضي المجاورة الآهلة باقوام على مذهب الروم الارثوذكس باستثناء قسبة القلمون الآهلة بالمسلمين وموقعها على ساحل البحر . والثاني يشتمل على شمالي لبنان ويضم جبة بشرى والزاوية وبلاد البترون . والثالث يشتمل من الشمال المذكور بلاد جبيل وجبة المنيطرة والفتوح وكسروان الاصلي حتى نهر الكلب . والرابع يشتمل زحلة ونواحيها . والخامس يضم المتن مع ساحل النصارى وارض القاطع وصلبا والسادس يبتدىء من جنوبي طريق الشام حتى جزين . والسابع يضم جزين واقليم التفاح . وفي كل من هذه الافضية السبعة المار ذكرها ينبغي للمتصرف ان ينصب مأمور دائرة منتخباً من ابناء المذهب الغالبين هناك عدداً في النفوس أو اهمية في الاملاك



والاراضي الجارية بتصرفهم

( المادة الرابعة ) يجب ان تنقسم الاقضية الى نواح على نخط قريب الشكل من اقسام الاقضية فيلي كل ناحية مأمور ينصبه المتصرف بناء على انتهاء القضاء وان يكون في كل قرية شيخ صلح ينصبه المتصرف بعد انتخاب اهله

( المادة الخامسة ) قد تقرر امر المساواة بين الجميع في شمول احكام القانون ونسخ والغاء كل الامتيازات العائلية لاعيان لبنان خصوصاً اصحاب المقاطعات

( المادة السادسة ) ينبغي ان يكون في جبل لبنان ثلاث محاكم ذات درجة اولى يقوم كل منها بمحاكم ووكيل ينصبهما المتصرف ومعهما ستة وكلاء دعاوي رسميين تتخبرهم الطوائف . ويكون في مركز ادارة الحكومة مجلس محكمة كبير يتألف من ستة احكام يتخبرهم المتصرف ويعينهم من الطوائف الست القاطنة الجبل وهي المسلمون السنيون والمتاولو والموارنة والدروز والروم والروم الكاثوليك وبلحق بذلك ستة من وكلاء الدعاوي الرسميين لكل طائفة وكيل معين . واذا وقعت دعوى لاحد المذاهب المتخبرين بالمداهب الاخرى كالبروتستانت واليهود فيضاف الى المجلس حاكم ووكيل دعاوي رسمي من اهل كلا المذاهب علاوة على الاثنى عشر عضواً المار ذكرهم . . . اما رئاسة هذه المحكمة فتتألف بأمور مخصوص ينصبه المتصرف . وان اقتضت حاجات البلاد زيادة فللمتصرفين ان يضاعفوا عدد المحاكم ذات الدرجة الاولى . واجراء الحكومة مجراها المتسقى ينبغي لهم ان يعينوا منذ الان الاماكن الصالحة بان تكون فيها هذه المحاكم

( المادة السابعة ) ان لمشايخ القرى الذين يقومون بوظيفة حاكم الصلح ان يحكموا في الدعاوي التي لا يتجاوز قدرها مئتي غرش حكماً غير مستأنف . واما الدعاوي المتجاوز قدرها مائتي غرش فتري في مجالس المحاكم ذات الدرجة الاولى . على انه لو عرض امور مختلفة كالدعاوي التي تقع بين اثنين مختلفي المذهب الديني والى ايها كان قضاء حاكم الصلح فيها لكونه على مذهب المدعى عليه فتحال وان قل قدرها الى محاكم الدرجة الاولى . ثم ان جميع الدعاوي ولو وجب فصلها بحسب ماهيتها بغالبية آراء الاعضاء الا ان للمدعي والمدعى عليه التهدي المذهب ان يردوا الحاكم لاختلاف مذهبهم غير ان الاحكام المردودين من هذا الوجه لا بد من حضورهم للمحاكمة

( المادة الثامنة ) تقتضي المحكمة في الدعاوي الجزائية ان تكون على ثلاثة وجوه



وهي ان يرى في دعوى القباحة شيوخ القرى المتفلدون خلة حاكم وان الجبحة والجرائم  
تنظر بها المحاكم ذات الدرجة الاولى . وان الجنابات تجري محاكمتها في مجلس المحاكمة  
الكبير واعلامات الحكم الواجب صدورها من هذا المجلس لا يمكن وضعها موضع التنفيذ  
مالم تكمل المعاملات والمراسم الجارية بها في سائر الممالك المحروسة الشاهانية

( المادة التاسعة ) ينبغي ان يرى في مجلس تجارة بيروت كل الدعاوى العادية  
الواقعة بين واحد من ذوي التبعية الاجنبية او احد الداخلين في حماية دولة اجنبية  
وبين امرى آخر من اهل الجبل ترى في المجلس المذكور . على ان المنازعات البادية  
بين اللبنانيين والاجانب متى تأتى فصلها بمعرفة محكمين عن تراض من المتنازعين  
فيجب والحالة هذه على مأموري لبنان المحليين وقناصل الدول المتحابة الفخيمة ان ينفذوا  
اعلام المحكمين — وان تعذر تراضي الخصمين على التحكيم في الدعوى واحيلت الى  
محكمة بيروت فتجب تأدية المصاريف على الخاسر دعواه بحسب التعريفة التي وضعها  
متصرف جبل لبنان وقناصل الدول جملةً واتفاقاً وقد جرى عليها التصديق من جانب  
الباب العالي . . . ومن المقرر انه يجب في الصك الحاوي تراخي المتنازعين على اتخاذ  
محكمين ان ينظما ويمضيا وفقاً لاصوله وان يستجلا في بيروت وفي مجلس المحاكمة  
الكبير بلبنان

( المادة العاشرة ) للمتصرفين حق نصب المحكمين الا اعضاء مجلس الادارة فهو لاء  
ينتخبون بمعرفة مشايخ القرى كما انه يكون انتخاب المشايخ المذكورين بمعرفة سكان  
القرى . ثم ان اعضاء مجلس الادارة يحدد انتخاب ثلثهم كل سنتين ويجوز تكرير انتخاب  
من انقضت مدتهم

( المادة الحادية عشرة ) يجب ان يكون المحكمين باجمعهم موظفين وان اقدم  
احدهم على ارتكاب « الرشوة » او تبين بالتحقيق انه آثر مالا يليق بصفة مأموريته  
فهو مستحق للعزل بل مستوجب ايضاً للنأديب على قدر ذنبه

( المادة الثانية عشرة ) يجب في مجالس القضاء على الاطلاق ان تكون المدافعة  
علنية وان يعهد بضبط الدعوى الى كاتب مخصوص وما عدا ذلك فحيث ان هذا  
الكاتب يكون مأموراً باتخاذ سجل لقيود الصكوك المختصة بفراغ وانتقال « بيع »  
الاموال الذبنة « العقار » فلا تكون هذه الصكوك معمولة بها مالم تقيد بحسب اصولها  
في السجل المذكور



( المادة الثالثة عشرة ) ان المتهمين من اهل جبل لبنان بارتكاب الجرائم في غير الولاية فرجع الدعوى عليهم هو اللواء الواقع فيه الجرم . وكذا مرتكبو الجرم من اهالي سائر الولاية داخل حدود جبل لبنان . وبناء على ذلك فان المتهمين في جبل لبنان سواء كانوا من اهاليهم الوطنيين او من نزلائه المعدودين من اهل ديار أخرى اذا فروا الى لواء آخر فكما ان على ضابطه ان يقبضهم بمقتضى الاعلام الوارد من قبل ادارة الجبل ويسلمهم الى حكومة لبنان كذلك يلزم ادارة الجبل ان تلقي القبض على الفارين اليه من المجرمين في احد الولاية لبنانيين كانوا او غير لبنانيين وتدفعهم الى اللواء المذكور بموجب اشعار ضابطه . وأمور الادارة الذين يتسارعون في اجراء الاوامر الصادرة باسترجاع امثال هؤلاء المتهمين الى المحاكم المنوطة بها دعاويهم او الذين يميزون تأخيرات لا يمكن اثبات بنائها على اسباب شرعية فتجري عليهم الجزاء بمقتضى قانون الجزاء كسائر الذين يوارون ويخفون امثال هؤلاء المتهمين عن الحكومة . والحاصل ان العلاقات اللازم اجراؤها بين حكومة لبنان وحكومة الولاية المجاورة كالواصلات الجارية والمتخذة دستوراً للعمل بين باقي الالات في ممالك الدولة العلية

( المادة الرابعة عشرة ) ان سبيل المتصرف الى اقرار حفظ الراحة واثبات القوانين في الازمنة العادية انما يكون بمعرفة فرقة ضبطية مجموعة من الاهلين بحسبان سبعة انفار تقدر على كل الف من النفوس من سكانه . ويجب نسخ الحوالية وفرض سككها وابطال نزول الضبطية على البيوت والاعتياض عن ذلك باسباب اكرامية كامتياق المحكوم عليه الى السجن . فبناء على ذلك يمنع مأمورو الضبطية بقيد التأديبات الشديدة ان يصادروا اهل البلاد بشيء من الاجرة نقدًا او عينًا . ثم يجعل للضبطية ملابس رسمي او ازياء مميزة لهم في خدمتهم . . وان تبقى طرقات بيروت والشام وصيدا وطرابلس تحت محافظة العساكر الشاهانية الى ان يصدق المتصرف على ان جند لبنان صاروا اكفاء لانتماء جميع الوظائف المنوطة بهم في الازمنة العادية . وهذا الجند يكرر لدى المتصرف وبارادته والمتصرف ان يطلب من الحكومة العسكرية بسورية الامداد بالجنود المنظمة في الاحوال الغير العادية اذ دعت الضرورة بعد ان يستشير مجلس الادارة الكبير - ويلزم الضابط المعين بالذات لرئاسة هذا العسكر ان ينظر مع المتصرف في تقرير التدابير الواجب اتخاذها وهو ( اي الرئيس الموما اليه ) وان كان مختاراً ومستقلاً



بأمور الجند المحضة كاجراء الحركات والنظامات الجندية الا ان عليه مدة وجوده في الجبل ان يلزم معية المتصرف ويجري العمل تحت عهده وفي حال اعلان المتصرف لقائد الجند وافادته رسميًا ان قد زال السبب الذي من اجله ورد العسكر الى الجبل يجب عليه اخراجه منه

( المادة الخامسة عشرة ) ان الدولة العلية تحافظ على حقها المعلوم بتحصيل ويركو الجبل المعين الآن ثلاثة آلاف وخمسمائة كيس وذلك على يد المتصرف على انه يجوز ابلاغ هذا القدير الى سبعة آلاف كيس عند الامكان بحيث ان المال المتحصل يخص باديء بدء لادارة الجبل ونفقات منفعه العمومية فان فضل منه شيء رد الفاضل الى الخزينة وان اقتضت شدة الضرورة الى تحسين مجرى الادارة مزيداً على التكاليف المعينة فيرجع في تسوية المزيدي الى مصاريف الخزينة الجبلية اما واردات البكاليك اي حاصلات الاملاك الهايونية فحيث انها ليست بداخلة ضمن الويركو فينبغي اذخارها في صندوق الجبل لحساب الخزينة الجبلية . على ان السلطنة السنية لا تقوم باداء مصاريف المنشآت العمومية وسائر النفقات النير العادية ما لم يتقدم قبولها لها وتصدقها عليها

( المادة السادسة عشرة ) يجب تعجيل الشروع في احصاء نفوس اهل الجبل محلاً محلاً وملة ملة ومسح جميع الاراضي المزروعة ونظم خريطة مساحتها

( المادة السابعة عشرة ) كل الدعاوي الكائنة بين افراد رهبان الاديرة وخوارنة الكناس يكون فيها المظنون به او المتهم تابعين للحكومة الرهبانية الا ان تطلب الاسقفيات احالة ذلك الى مجلس الدعاوي العادية

( المادة الثامنة عشرة ) يمتنع في عموم اماكن الرهبان مطلقاً اجارة اللاجئين اليها ممن تطلبهم الحكومة رهباناً كانوا او من عوام الناس ( ا هـ )

ان الثاني عشرة مادة المسروقة آتفاً هي النظامات الاساسية لجبل لبنان يجب اتخاذها دستوراً للعمل الى ما شاء الله تعالى . ومن مقتضى ارادتي القاطعة السلطانية ان يتوفر على الجميع كمال الاعتناء والدقة في اجرائها ولتنفيذها حرناً وحرقةً والحذر كل الحذر من مغالفتها . . . . . وابداناً بذلك صدر فراماني هذا العالي الشأن . وقد كتب في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر لسنة احدى وثمانين ومائتين والـ الف هجرية الموافقة لسنة ١٨٦٣ مسيحية ( ا هـ )

## الفصل السابع والمائة

## في خاتمة الكتاب

ختم جامع حوادث كتابنا بمجموعة في سنة ١٨٧٣ بقوله ان ما دونته على صفحا  
كتابته من حوادث سوريا عمومها ولبنان خصوصا لا يقصد به الخط من مقام الد  
العثمانية ولا لاشهار ملامتها بما اوقعته على رعاياها من مسلمين ودروز ونصارى من الا  
والمصائب لان كل ما فعلته كانت تعتقد به واجبا لبقاء سلطتها وحفظ البلاد له  
بدون منازع بل لاشهار سوء تصرفها معهم على تلك الطريقة طريقة الخداع والنفاء  
وللامامة ذلك الشعب الذي ساعدها على تنفيذ غايتها

وان قصده الاول وهو الوحيد يظهر للملاء حقيقة ما اختبره وتوصل الى معرفته  
ولكي يشهر استبداد الامراء وتصرف المشايخ مع الشعب الخامل وان الذي كتبه تحت  
حدوثة بنفسه والبعض من الحوادث اخذها عن ثقات القوم وهو يرجو القاري الماعذ  
عن المفوات اللغوية والغرض عن سقم البشارة . وكان الفراغ من جمع كتابه من  
السبت الواقع في ٢٢ ت ٢ سنة ١٨٧٣





OLIN  
DS  
97  
.5  
.M57  
1908a